

بين ذلك سبيلا ١١٠ وقل الحمد لله
له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل
سورة الكهف
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتب ولم يجعل له
قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين
يعملون الصلحت أن لهم



سُورَةُ الكَهْفِ

للعلامة والداعية الإسلامي/
أبو بكر العدني بن علي المشهور



الحمد لله الذي إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه، وفتح بابه، وأسدل حجابه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ابن عبد الله صفوة أحبابه وآله الكرام وصحابته الأعلام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الصفا للإنتاج والتوزيع تضع بين يديك ألبوماً من أنفاس أهل القرآن وخاصته فضيلة العلامة أبي بكر العدني بن علي المشهور، ويضم تفسيراً علمياً غزيراً وافياً لسورة الكهف، فإليك الشريط الأول من قوله تعالى ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾ إلى قوله تعالى ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾.

فلنستمع متدبرين ومنصتين:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد بن عبد الله النبي الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

نفتتح تفسيرنا بكتاب الله ﷻ لسورة الكهف، وهي من السور المكيّة، والمقصود بـ(المكيّة) ما نزل قبل الهجرة، وآياتها (١١٠) آيات، هذه السورة يطلق عليها سورة الكهف، وكما سمعتم من قبل فإن تسميات السور تسمية توقيفية، أي أن السور بأسمائها نزل بها جبريل على رسول الله ﷺ، فهو الذي سماها (سورة الكهف)، وبالطبع يطلق عليها (سورة الكهف) لما ورد أثنائها من قصة أصحاب الكهف، وهذه السورة هي واحدة من خمس سور بُدئت في مَطْلعها بـ(الحمد لله)، والسور التي بدأت بالحمد لله هي: الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، وفاطر، وفيها إشارة عظيمة إلى تمجيد الله ﷻ وتقديسه والاعتراف له بالعظمة والكبرياء والجلال والكمال، وفي هذه السورة ثلاث قصص قرآنية عظيمة، وكل القصص القرآني عظيم، ولكن جُعِلت هذه القصص في (سورة الكهف) لما لها أهداف ومدلولات يحتاج إليها كل عبد مسلم يستفيد مما وصف الله ﷻ فيها من الأحداث والأخبار، ففيها إشارات لما يلزم من تثبيت عقيدة الإنسان المسلم، والإيمان بعظمة الحق ﷻ، وسنرى في أول قصة منها - وهي قصة أصحاب الكهف - كيف كانت تضحية جماعة من الشباب في سبيل دينهم وعقيدتهم بأن تركوا بلادهم، فَجَرَتْ لهم قصة من أعجب القصص التي غيرت مدارك العقل وخرقت العادة وأظهرت الكرامة العظيمة للصالحين، حيث أن أصحاب الكهف ليسو بأنبياء وإنما من سائر الناس، وسنرى كيف جَرَت كثير من الكرامات لأن ما نسميه خرق العادة للصالحين ليس بمعجزة، إنما المعجزة هي ما يجري على أيدي الأنبياء والرسل، أما ما يجري على أيدي الأولياء والصالحين فيسمى كرامة، والمقصود بالكرامة مِنَّةٌ من الله ﷻ تجري لأجل إحقاق

حق أو إبطال باطل، وهي مما يسمى عند أهل العِلْم بانفعال الظواهر أو خرق العادات، وسنمر على هذه القصة بإذن الله تعالى لنرى العجيب من تفاصيل هذه الحكاية العظيمة التي فيها إشارة لمن أراد أن يتعلم معنى الثبات على العقيدة والدين والصبر في سبيل الله وكيف يتعرض الإنسان المؤمن منذ أزمان طويلة للأذى والنصب والتعب، ثم كيف يثمر هذا الصبر والتحمُّل آيات عظيمة ويبرز للأمم والأجيال مواقف ربما لا تستسيغها أو تتحملها العقول القاصرة والضعيفة، وهي العقول الكافرة والمنافقة، أما عقول أهل الإيمان والإسلام والإحسان الذين يؤمنون بأن كل شيء من عند الله، وأن الخير والشر بيد الله، وأن الضر والنفع من عند الله ﷻ؛ فلا شك أنهم سيحسّون برعاية المولى ﷻ للصالحين من العباد في كل زمان ومكان، كما أن في هذه السورة قصة سيدنا موسى مع الخضر ، وفيها دلالات أخرى من عَظَمَة العِلْم في ذاته، وكذلك المولى ﷻ يشير إلى كيفية التواضع في العِلْم وأنَّ الله تعالى يدعو العباد الذين علموا نصيباً من العِلْم أن يتواضعوا ويتعلموا اللطف وأن لا يظن الإنسان أنه قد عَلِم كل شيء، فإن من ظن أنه قد عَلِم فقد جَهِل، وفوق كل ذي علمٍ عليم، وهذه فيها قصة من المعاني والإشارات البديعة التي تعلِّمنا آثار القصص في حقيقة إيمان المؤمن وزيادة علم المسلم وكيف يجري الله ﷻ أيضاً الانفعالات على أيدي عباد الله سواء كانوا أنبياء أو غير أنبياء، وفيها كذلك من قصص الغيب التي أخفاها ﷻ حتى على موسى ، فكيف بعد ذلك تفسَّرت وتبينت وتفصلت بعد أن انتهت قصة موسى مع الخضر، ثم بعد ذلك جاءت في السورة قصة ذي القرنين، وهو مَلِك من الملوك مكَّن الله ﷻ له بتقواه وصلاحه حُكْم الأرض وبسط يده وسلطانه على كل أرجاء الدنيا، وملك مشارق الأرض ومغاربها، وبنى في آخر قصته السد العظيم الذي كان سد يأجوج ومأجوج، هذا كله يرينا في هذه السورة فوائد عظيمة وهي أن القصص جرت لعباد من عباد الله بلغت بهم الطاعة والعبادة واليقين مع الله ﷻ مبلغاً عظيماً، ولعلنا سنرى في هذه السورة أن القصص الثلاث تدور على محاور عباد لله ليسو بأنبياء، سواء كانت قصة فِتْية أهل الكهف أو قصة الخضر مع موسى، ولو أن بعض أهل العلم قالوا أن الخضر نبي وموسى نبي، وعلى أي حال سنرى كيف جرت هذه القصص بما فيها قصة ذي القرنين الذي وصفه ﷻ في آخر السورة، وكان له حكم وملك عظيم.

وهذه السورة أيضاً من السور التي ندب الإسلام على كل رجل وامرأة أن يكثروا من قراءتها خصوصاً في يوم الجمعة، فإن فيها ثواب عظيم، وقد ورد في قراءة هذه السورة يوم الجمعة أن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أعطاه الله تعالى نوراً من بلده إلى مكة وزيادة ثلاثة أيام، سبب ذلك ما فيها من عجائب العلم والإعجاز والتسليم والعطاء الإلهي للعباد على صور شتى ومتنوعة، ثم بعد ذلك ورد في الحديث أن من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف كل يوم وواظب عليها حفظه الله ﷻ من فتنة المسيح

الدجال، وهذا أيضاً يبين لنا عظمة سورة الكهف وشرفها، فقصة الدجال ومشكلة ظهور الدجال خطيرة في حياة المسلمين كانت تكاد أن تكون من أخطر الوقائع التي حذرنا منها القرآن والسنة وحذر منها العباد الصالحون في كل زمان، وامتلأت كتب الحديث والقصص القرآني في التحذير من فتن المسيخ الدجال، فتأتي هذه السورة مرافقة لهذه التصورات والخوف من هذا المخلوق – المسيخ الدجال – فيبين لنا حبيبنا ونبينا محمدﷺ أن المواظبة على قراءة العشر آيات من أول سورة الكهف تساعد الإنسان المسلم على الحفظ والسلامة من فتنة المسيخ الدجال، فلا يصل إليه ولا يؤثر عليه ولا يصاب بفتنته ومحنته.

وهذه فيها إشارة واضحة إلى استمرارية تأثير القرآن إلى أن يظهر المسيخ الدجال وما بعد ذلك، فسورة الكهف مليئة بالقصص والعبر واليقينيات العظمى الكبرى، فعرفنا من هذا الاختصار والكلام فائدة هذه السورة العظيمة وبركتها، قال ﷻ: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ الله ﷻ يعلمنا معنى الثناء الكامل، والمقصود بالثناء هو التمجيد والتعظيم، فالله ﷻ مستحق للتعظيم والحمد، وهو الذي حَمِد نفسه في كتابه ودعانا إلى أن نحمده في كل شيء، بل جعل مقام الحمد لمن حمد الله وتعلم الثناء على الله ﷻ بالجميل الاختياري جعل له مقاماً عظيماً وجعل له عنده ﷻ أجراً ومقاماً كريماً في الجنة، فالمولى ﷻ يعلمنا ويرينا مدلول الثناء على ذاته ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ نحن نقول الحمد لله كما حمد الله تعالى بها نفسه، نحمده سبحانه وتعالى الذي أنزل على عبده ونبيه محمدﷺ هذا الكتاب العظيم، فكان نزول القرآن نعمة واختيار النبيﷺ نعمة، وكان أيضاً جعلنا نحن من هذه الأمة نعمة من النعم التي نحمده تعالى عليها ونشكره ونسأله التوفيق للتعرف على بركة وكرامة هذا المقام العظيم الذي وهبنا إياه.

﴿ولم يجعل له عوجاً﴾، أنزل الله ﷻ على حبيبنا ونبيناﷺ هذا الكتاب العظيم ولم يجعل فيه لا في ألفاظه ولا معانيه ولا معجزاته ولا شكله – من حيث الضبط – ولا في شيء مما في هذا القرآن إلا وهو متسم بالكمال والاستقامة والسلامة، لذلك قال ﴿ولم يجعل له عوجاً﴾، أي لم يكن في كتاب الله شيء من العوج، حتى أصحاب اللغة – إذا جاء لغوي نحوي – يعجز أن يدرك هذه العظمة في تركيب ألفاظ القرآن وأبوابها من حيث علم النحو، أصحاب البلاغة والبيان والبديع وكل أهل العلوم المبنية على تركيب الألفاظ يرون القرآن معجز حتى في الكلمات، فلا يستطيع إنسان أن يأتي بكلمة فيضعها بدلاً عن كلمة أخرى في كتاب الله، فكل كل كلام الله ﷻ عظيم وليس فيه عوج لا في لفظ ولا شكل، حتى في

مدلول آياته ومعانيها وظواهرها اللفظية، وحتى بالنسبة لاختيار اللفظة فإنها كلها إعجاز، فيحمد العبد الله تعالى أن جعله ممن يتحمل ويتشرف بقراءة هذا الكتاب العظيم.

﴿قيماً﴾ أي مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تناقض، ولهذا قالﷻ عن هذا الكتاب ﴿ولم يجعل له عوجاً. قيماً...﴾ مستقيماً من حيث لفظه وتركيبه لا تناقض فيه، فإذا جاء الإنسان يتأمل في القرآن سيجد أن كتاب اللهﷻ متوارد الخواطر، ملتزم الموضوعية، يفهمه كل من سمعه، يفهم العبارة كل من أنصت إليها، فتؤثر على مجامع القلب والروح والسامع، حتى إذا أراد إنسان أن يحللها أو يفسرها أو يدرك مدلولاتها يجد فيها من عظمة المعاني ما لا يجده في غيره، ذلك لأنه كلام الله، وكلام اللهﷻ: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم حميد﴾، فبين لنا المولى هذه العظمة في هذا الكتاب، ثم قال مبيناً وظيفته – أي وظيفة القرآن – ﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ هكذا يقدم اللهﷻ لنا عظمته ومكانته وقوته وجبروتهﷻ أمام الكافرين والطغاة وأمام المتجبرين الذين لم يؤمنوا بهذا الدين ولم يؤمنوا بالكتب السماوية، فقال ﷻ أن هذا القرآن نزل قيماً لا اعوجاج فيه، وظيفته الإنذار، ومعنى الإنذار التخويف والترهيب لينذرهم بأس – أي قوة شديدة- لا طاقة للعقل الإنساني والجسم الإنساني بها، ومن هذا الذي يطيق النار أو غضب الملك الجبار، ومن هذا الذي يطيق – والعياذ بالله –سخط الله عليه؟ فلهذا ينذر الله الكافر والمنافق والمنحرف من بأس – خطر شديد – سواء كان البأس بسبب حرب الله له، أو كان مصيره في الآخرة، أو كان شتات أمره في الدنيا، ﴿بأساً شديداً من لدنه من لدنه﴾ أي من عندهﷻ.

﴿ويبشر المؤمنين﴾ ذكرﷻ أولاً الإنذار والتخويف، وقرنه مباشرة بالتبشير والبركة للمؤمنين، ومن هم المؤمنون؟ هم الذين يعملون الصالحات، فاللهﷻ كما وضع بين أيدينا في هذه السورة الإنذار والتخويف لكل من أنكر أو كذب أو انحرف – والعياذ بالله – عن هذه الدعوة، فإنه يضع البشارة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، والمعلوم أن الأعمال الصالحات هي كل ما دعانا إليها مولاناﷻ من الفضائل بواسطة النبي محمدﷺ.

فماذا لهم هؤلاء المؤمنين؟ ﴿أن لهم أجراً حسناً﴾ أي يجدون عند اللهﷻ أجراً – ثواباً – حسناً – طيباً – يذوقونه ويحسون به ويكون لهم في ذلك العالم الثاني راحة ونعمة يتنعمون بها في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

﴿ماكثين فيه﴾ أي مقيمين في ذلك النعيم الذي لا انتهاء له ولا انقضاء، فالإنسان في الدنيا أحياناً قد يجد الراحة وما يدخل عليه السرور والفرح والطرب، لكنه لا يدوم فالدنيا دار كبد وحزن وضيق وهموم

ومحن وفتن، فمن أراد أن يجد الراحة الأبدية والفرح المستديم عليه أن يعمل الأعمال الصالحات في الـدنيا ليجد نصيب من الراحة بالعمل الصالح وبالمحافظة على الواجبات وباتباع السُنَّة وحفظ الجـوارح، فكـل المأمورات واجتناب المنهيات سبب من أسباب الراحة النسبية القليلة في الـدنيا ولا تـستديم، أمـا الراحـة الأبدية الدائمة الشاملة فإنها في الجنة، ينالها بعد الموت كل من عمل عملاً صـالحاً في هـذه الـدنيا وحـافظ على دينه وتجنب منهيات ربهﷻ، ﴿ماكثين فيه أبداً﴾ دائماً لا ينقطع أبد الآبدين، وكـم يعـيش الإنـسان في الدنيا، إذا عشت عمر نوح ألف عام إلا خمسين عاماً ينقطع، أما الآخرة فمئات وآلاف وملايـين وحقـب لا نهاية لها وأنت في النعيم المقيم الذي قال فيهﷺ «ما لا عين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطـر عـلى قلـب بشر» جعلنا الله وإياكم ممن وهبهم مولاهم النعيم المقيم والأجر الحسن في الجنة والدنيا ويباعد بيننا وبـين العذاب والنار والآثام الموجبة – والعياذ بالله – للعقاب.

إذن فقد بينت الآية الكريمة موقفين: الأول وظيفـة القـرآن في الإنـذار للكفـار والمنـافقين، والوجـه الثاني: بيان الثواب والنعمة والحسنات الدائمة والنعيم المقيم للصالحين، ثم بعد ذلك ذكر القـرآن وظيفـة ثالثة للقرآن: ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾، فاللهﷻ أولاً ذكر الكفار بالـشمول، ثـم ذكـر نـوع مـن الكفر وهو كُفْر العقيدة، وهم الذين - والعياذ بالله - يقولون أن لله ولد، ومعنى ولد – والعياذ بالله – مـا ينسبون للهﷻ من ينسبونه للبشر من شهوات ووجود الذرية، فإذا نسبوا لله ولد فقد نسبوا له زوجـة، فـلا يأتي ولد إلا بزوجة، وهذا ما وقع فيه النصارى، وبهذا كفروا وأشركوا وأفسدوا عقيدتهم ودينهم، فاللهﷻ ينذرهم في كتابنا وقرآننا لأنهم سبقونا بالإنجيل والتوراة، فيقول لهم أن هذا الأمر الذي اتخذتم فيـه ولـداً لله وصاحبة وقلتم أن الله ثالث ثلاثة والعياذ بالله، فهذه عقيـدة فاسـدة وباطلـة، واسـتعدوا لغـضب الله وعذابه، ﴿ولينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً. مالهم به من علم﴾ هؤلاء يكذبون ولا لهم بـه مـن علـم، أي أن قول النصارى أن عيسى ابن الله، وقول اليهود أن عزير ابن الله، وقولهم أيـضاً أن مـريم العـذراء التـي وصفها الله في كتابه كما قالوا – والعياذ لله – صاحبة للحق، تعالى الله عن ذلـك، فهـذا الـذي قـالوه كفـر وافتراء وليس لهم به علم، ﴿مالهم به من علم﴾ وليس عندهم في هذا أدنى وثيقـة علـم أو معرفـة، ﴿ولا لآبائهم﴾، لا هم ولا من سبق من آبائهم الذين فسروا ظاهرة المعجزة في ميلاد عيسى﵇ وفي حمل مـريم عليها السلام ففسروها تفسيراً بشرياً عقلياً، فقالوا لا يتوقع أن يـأتي ولـد مـن فتـاة أو امـرأة لم يباشرهـا رجل، ولذلك قالوا إذن ما دامت مريم قد حملت من غـير زوج، فهـي بـلا شـك – حـسب ظـنهم – أن عيسى ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فوقعوا في الفجور وفي الكفـر الـصريح والخـبط والخلـط في هذه القضية التي اختبرهم الله وامتحنهم بها، وقد رد الله عليهم في القرآن وقال: ﴿إن مثل عيسى عنـد الله

كمثل آدم﴾ فلماذا تستغربوا وتحكموا عقولكم في خلق عيسى وتقولوا لا يعقل؟ انظروا في آدم، إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خَلَقَهُ من تراب ثم قال له كن فيكون، فانظروا كيف يحاجج الله العقول الكافرة التي ظنت أن عقولها وتفسيرها وتحليلها سيكون حجة لهم عند الله ﷻ وعند أقوامهم الذين أرادوا أن يقنعوهم بحمل عيسى بأنه كان قريباً من مستوى العقل، ففسروا هذا التفسير الكاذب الذي رده الله عليهم وعلى آبائهم.

﴿كَبُرَت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾ فعرفنا أنَّ ما قاله اليهود والنصارى في شأن عيسى عليه السلام وعزير ومريم، قال الله فيه ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ فهذا الكلام الذي يذكرونه في كتبهم وتتكلم به إذاعاتهم وأناجيلهم الموجودة ويتكلم به أحبارهم وكثير من النصارى في هذا الزمان وما سبقه قال تعالى كبرت إثماً وخسارة هذه الكلمة تخرج من أفواههم ﴿إن يقولون إلا كذباً﴾، فهذه آيات عظيمة في رد أفعال وأعمال ودين اليهود والنصارى الذي قام على التحريف والكذب وتحميل المولى ﷻ ونسبة شيء ليس له وإنما بين ﷻ كيف خَلَقَ عيسى وكيف حملت مريم وكيف أمات عزير ثم أحياه، وذاك موجود في مواقع أخرى من القرآن.

ثم خاطب ﷻ حبيبنا ونبينا محمد ﷺ يطمئن قلبه ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم﴾ هذا خطاب من المولى ﷻ لنبينا محمد ﷺ: فلعلك قاتل نفسك. لعلك تهلك نفسك بالغم والحزن على كفرهم وتوليهم عنك وإعراضهم عن الإيمان ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ لعلك باخع أي لعلك قاتل نفسك وتتحمل الكثير عندما ترى الناس لا تصدق ولا تؤمن بالقرآن ويردوا ما جئت به (القرآن) حسرة وأسفاً عليهم، فالنبي ﷺ كان يتحسر ويتأسف عندما يقرأ القرآن على قريش والأعراب وعلى أهل مكة وعلى من جاء إليه فكان النبي ﷺ إذا رآهم أعرضوا ولم يستمعوا لهذا القرآن ولم يتأدبوا فيتأثر النبي ﷺ وتصيبه الحسرة رفقاً بهم وأسفاً عليهم، فقال لهم ﷻ لا يستحق هؤلاء الذين لم يعرفوا قدرك ولا قدر كتاب الله ولا عرفوا قدر ربهم الأسف والحزن ولا يستحقوا أن تتعب نفسك تعباً أشد مما فعلت معهم، وهذه تسلية للنبي ﷺ.

ثم قال ﷻ مشيراً إلى هذه الحياة والعالم الذي تعيش عليه الأمم منذ عصر آدم إلى قيام الساعة: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ فانظروا كيف أن مولانا ﷻ الذي خلقنا وخلق العالم والوجود يتكلم عما خَلَق، فيقول: هل تنظرون إلى ما في هذا العالم والأرض من شجر ومظاهر وبحار وأنهار وأمطار وسحب وثروات وجبال وأودية، إنما جعلناها زينة، فالله ﷻ خلق الأرض وأوجد على هذا العالم مظاهر زينة وهذه المظاهر تحتاج منكم إلى التنبه، فالله ﷻ لم يخلقكم للزينة بل خلقكم لعبادته، فإن هذه الزينة قد أخذت

عقول كثير من الناس، وجعلت كثير من الناس يكفرون ويقتتلون عليها، هذه الزينـة قـد جـذبت عقـول رجال ونساء عبدوا الدنيا وظواهرها وزينتها وتخلوا عن حق الخالق الـذي خلـق الأرض وزينتهـا، لهـذا قالﷻ: ﴿إنا جعلنا ما على الله زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾، خلق الله في الأرض الذهب والفـضة والجواهر والبترول والغاز وكل شيء يستفيد الناس منـه في الأرض وأودعـه في خزائنـه، قـال تعـالى قـد خلقت هذه زينة للدنيا لأن الدنيا تحتاج إلى هذه الزينة، فالأرض تحتاج للكهرباء والمـاء والـذهب والنقـد المالي والأشجار وأشياء كثيرة في هذا العالم، فخلقتها زينة وجعلت هذه الزينة ابتلاء لكـم لنبلـوكم أيكـم أحسن عملاً، فمن منكم عرف حق الخالق فليحمده، ومن عرف حق المزين لهذا العـالم فليـشكره، ومـن عرف حق المعطي فليحمده، هذه إشارة عظيمة من المولىﷻ حيث أخبر أنه خلـق هـذه الـدنيا وخلـق مـا عليها زينة لها ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ويختبرنا أينا أطوع لله وأينا أحسن عملاً لآخرته.

قال بعض أهل العلم قال: «ربما تكون هذه إشارة إلى تفعيل نماذج الحياة» أي إشارة من المولى لنستفيد من هذه الزينة كالذهب والفضة والبترول وكل ما وجد على هذا العالم من زينة، لكـن حتـى لـو اسـتفدنا فهو ابتلاء، والابتلاء محنة من المحن، يقول أهل الأمثال: «شرٌّ لابد منه» والشر الذي لابـد منـه أن يكـون الإنسان يحتاج للدنيا ولكنها خطر عليه، يحتاج للمال رغم خطورته، ثم قالﷻ: ﴿وإنا لجاعلون مـا عليهـا صعيداً جرزاً﴾ فكل هذه الزينة والمظاهر للتمتع والاستفادة كلبس الثياب والـذهب والتفـاخر بـالبيوت والمظاهر الدنيوية سيأتي يوم نجعل كل ما على الأرض صعيداً جرزاً، فتصبح كالأرض الجـرداء لا نبـات فيها ولا حياة ولا مظهر من المظاهر، وهذه إشارة إلى تحقير الدنيا من عند الله، فالله خلـق الـدنيا وحقّرهـا وأهانها ولم ينظر إليها ليلتفت المؤمن والمؤمنة لما دعاهم الله إليه من تعظيم أمر الله في هذا الوجود، فـاللهﷻ لما خَلَقَ الجَمَال ووضعه في الهواء مظهراً ومنظراً في الليل والنجوم مظاهر الدنيا في البحر وما يؤثر على نظر الإنسان في الشجر والبشر كل هذا موجود، لكنه ابتلاء، فاللهﷻ أمر المؤمن أن لا تكون هذه الزينة فتنة له، فمن أجل الفتنة والزينة يقع في المعصية والحرام والانحراف، هذه مجرد فتنـة وسـيأتي يـوم عليهـا تـصبح صعيد، أي أرض فارغة لا يوجد فيها شيء، كما ورد في الآيـة الأخـرى ﴿ويـسألونك عـن الجبـال. فقـل ينسفها ربي نسفاً. فيذرها قاعاً صفصفاً. لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا﴾ هذا هو شأن الدنيا حتى لا يعظمها الإنسان أكبر من حجمها ولا يعطها أكثر من حقها، فبين اللهﷻ في هذه الآية الكريمة أنه يوم القيامة عندما ينفخ في الصور وينتهي أمر الدنيا تصبح لا شيء ولا قيمة لها، فقال اللهﷻ بعد أن أخذ في تـسلية النبـيﷺ وتفريج كربة مما رآه من المشركين والكفار والأعراب وأخبرهم بأن دنياهم وما فيه من الزينـة والفـرح في أنفسهم سيزول انتقلت الآيات إلى الكلام عن قصة أهل الكهف.

﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ انظروا كيف المدخل الذي يخاطب به الله ﷻ نبينا محمد ﷺ ويكشف له خبراً عجيباً من أخبار الأمم والتاريخ لهذا صار القرآن في بعض وظائفه سجلاً للتاريخ يجمع لنا أخبار التاريخ الصحيحة لا عوج فيها ولا كذب ولا افتراء، الله ﷻ قص لنا في كتابه من القصص الصحيح الذي ليس تأليف كشرط، ولا اختراع عقل، ولا مسرحية كالتي يكتبها المسرحيون، ولا فيلم كارتون، وإنما قصة لا يأتيها الباطل أو الكذب، يثاب الإنسان عليها عند قراءتها وتأملها والاعتبار خلافاً لغيرها، ربما قرأنا قصصاً كثيرة لا يُكتب لأجل قراءتها ثواباً، ولا نجد معنى التأمل العائد بالأجر، أما قصص القرآن فهي نعمة من النعم، قال ﷻ: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾، وقال ﷻ: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى﴾، فهذا هو مفهوم القصة، وأنتم الآن في زمن تحركت فيه الأقلام والأفلام وانتشرت في أجهزة الإعلام والبيوت وطغت على عقول بنات الإسلام، فما ترى من بيت إلا ملآن بالقصص الغرامية وقصص المغامرات العربية والغربية والجرائد والمكتبات والأشرطة، وما ترونه من المسلسلات الطويلة والقصيرة، فكلها بالنسبة لكتاب الله لا تساوي مثقال ذرة، وهي قصص كما قال ﷻ فيها جزء من الكذب، وأما القرآن حديث ليس فيه افتراء، ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى﴾ ليس حديث تأليف وتصنيف لعقل ذكي، بل وقائع صحيحة مربوطة بتوحيد الله وبما أودعه في هذا العالم من رسل بعثهم وكتب أنزلها، وآيات أجراها على الكافرين هلكوا بها وغير ذلك، ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾ طبعاً هذه القصة المعروفة بقصة أهل الكهف أخذت مساحة كبيرة على المفسرين، ولأجل أختصر لكم هذا الموضوع وتصلوا إليه على أقرب ما وصل إليه أهل العلم، فإن كثيراً من كتب التفسير القديمة قالوا أن هذا الكهف موجود في تركيا، ومنهم من قال أنه موجود في أماكن أخرى، وبالطبع لو كانت معرفة الكهف ومكانه وموقعه مهمة لكان القرآن قد فصّلها، لكن المولى ﷻ لا يعنيه فيما يريد أن يوصل إلينا من العلم الأخبار التفصيلية للكهف وموقعه هل هو هنا أم هناك، إنما يريد أن يوصل إلينا العبرة والفكرة، لهذا قال: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾ وفعلاً هم من أعجب الآيات فالله ﷻ ملأ العالم بالآيات والمعجزات والكرامات وانفعال الظواهر وخلق العالم على أعظم حالة من حالات الإبداع والجمال، لكن قصة أهل الكهف هي أعجب ما يمكن أن يعرف في عالم القصص، كيف ذلك؟ ذلك لأن الآية نفسها لما تقول ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾ هذه الآية لما أخذ أهل العلم يقلّبون معانيها ويقلبون كلمة (الكهف) ويقلبون كلمة (الرقيم) لأجل أن يتعرفوا عن موقعها والعصر الذي كان يعيش فيه هؤلاء الذين وصف الله ﷻ خبرهم،

طبعاً المتابعة والملاحقة أظهرت كثيراً من جوانب المعرفة، فالأولين وجدوا أن أخبار الكهف موجودة في التوراة والإنجيل والزبور أيضاً، وغالباً تذكر كتب السماء قصص لعباد الله في هذا العالم قد لجئوا إلى الكهوف هاربين من الظلم، فظن المفسرون أن الكهف الذي تكلمت عليه سورة الكهف في القرآن هو نفسه الذي تكلم عنه الإنجيل والزبور والتوراة، لكن ثبت بالعِلْم أخيراً وهذه مسألة ربما فاتت على كثير من الناس الآن وفاتت على الأوائل أصحاب التفسير قبل اكتشاف موقع أهل الكهف، ولا زال الشك قائم، فالرقيم بلد اسمها الرقيم، وهذه البلد موجودة في الشام، وقد قال ابن عباس لما سئل في قوله ﴿الله أعلم بهم﴾ لما ذكر الله أن هناك ناس يعلمون خبرهم، قال النبي لا تسأل عنهم ولا تفسّر كَمْ عددهم ولا تشغل نفسك بذلك، لكن قال ابن عباس «أنا من يعرف خبر هؤلاء»، فكان سيدنا عبد الله بن عباس ممن أطلعه الله بواسطة العلم عن موقع أهل الكهف، فكان كثير من أهل العلم يقولون أن كهف أهل الكهف في الشام، وعلى كل حال جاءت بعض البعثات العلمية الإسلامية واكتشفت أن موقع هذا الكهف يوجد في جانب من بلدة الرقيم وهي في الأردن واسمها الرجيب في التاريخ، واسمها في القرآن الرقيم، فوجدوا مظاهر هذا الكهف ومظاهر المسجد الذي سنقرأ عنه، قال تعالى: ﴿كانوا من آياتنا عجباً﴾ قال في خبر دخولهم الكهف: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا﴾ فقال في التفسير: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ أي أن هؤلاء الشباب المختلف في عددهم سبعة أو ثمانية أو أكثر أو أقل، وكما ذكرنا لا حاجة لنا في العدد والموقع، لكن نذكر الآيات كما ذكرها الله، فهؤلاء قد آذاهم سلطان زمانهم وتعرضوا للأذى وكان ملكاً من الجبابرة في ذلك العصر اسمه (دقيانوس) كان من أبشع الملوك والحكام، ظهر على بلدة من بلاد الروم اسمها (طرطوس) بلدة من بلدان أوروبا بعد زمن عيسى ولم يكن قبل ذلك، أي ظهر ذلك بعد سيدنا عيسى، في عصر لم ينزل فيه قرآن ولم يفسر خبرهم إلا كتابنا القرآن، فهذا الملك كان جباراً ويدعو الناس إلى عبادة الأصنام، وكان في نفس الوقت يقتل كل مؤمن لا يستجيب لدعوته، فمن لا يكفر يقتله، عظمت فتنته على الناس وتعب هؤلاء الفتية المؤمنين من هذا الأمر وحزنوا حزناً شديداً، ووصل خبرهم إلى الملك عن طريق الجواسيس أن هؤلاء الشباب متمسكين بالدين ولا يزالون قائمين عليه، فحرضوه عليهم وأخذ الملك يبحث عنهم ويطلبهم ويبث الجواسيس حيثما ذهبوا للقبض عليهم، فلما دخلوا على الملك توعده بالقتل وألزمهم أن يعبدوا الأوثان ويفعلوا مثلما يفعل الناس من الكفر، فوقفوا في وجهه وأبوا، وقالوا له ﴿ربنا رب السماوات والأرض لم ندعو من دونه إلها﴾ لهذا لما سمع منهم هذا الأمر قال لهم: أنتم شباب صغار وسأترككم إلى الغد لتنظروا في أمركم، فإن أردتم أن ترجعوا إلى ديننا وتكفروا بربكم فأنا سأبقيكم على

قيد الحياة وإلا قتلتكم، فلما كان الليل خرج هؤلاء الشباب ومروا على أحد الرعاة ومعه كلب، فسبحان الله هذا الكلب لما رآهم في الليل هاربين ترك الراعي والغنم وتبع أهل الكهف، وهذا الكلب مذكور في القرآن، فطلعت عليهم الشمس صباحاً في الطريق فخافوا أن يراهم الناس وينتشر خبرهم، فدخلوا إلى كهف ودخل الكلب معهم وجلس على مدخله، وركب الملك مع جيشه وتابعهم حتى وصلوا إلى باب الكهف، فلما وصلوا ألقى الله ﷻ على قلوبهم الهيبة، أي صار المكان ظلمة وخشي الملك أن يدخل فزع وألقى الله على قلوب عسكره الهيبة، فمباشرة أمر الملك عسكره أن يسدوا الباب، فجاء عماله وعسكره بالطين والحجارة وأغلقوا باب الكهف، لكي بموت الفتية داخل الكهف الذي خشي أن يصيبه شيء إذا دخله أو وصل إليه، فسد هذا الباب بالحجارة وقال لهم الملك «دعوهم هنا يموتون عطشاً وجوعا».

وفي هذه اللحظة التي كان فيها الشباب داخل الكهف ألقى عليهم الله ﷻ النوم – نعمة من عنده كيلا يحسوا بما يدور – فناموا وبقوا على هذه الحالة نائمين وهم لا يحسون بأنفسهم، فاسمعوا الآيات: كم جلسوا نياماً؟ جلسوا على عصر هذا الملك ومات هذا الملك وأمته وجاءت أخرى وبعدها أمة أخرى وهم على وضعهم الذي كانوا عليه لما ألقى الله ﷻ عليهم النوم دون أن يموتوا، وهذه معجزة، بمعنى آخر كرامة لهؤلاء الصالحين، فبقوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ثم بعد هذه المدة قاموا من النوم، وقد تغير الزمان والناس والشعب الذي كان معه وتغير الحاكم ومظاهر الحياة، فقاموا من النوم يسأل بعضهم بعضاً: كم نمنا؟ ربما يوماً واحداً.. فلما أحسوا بالجوع خرجوا وأبعدوا جزء من الباب لأنه مع طول المدة تكسر الجدار وتأثر وضعف البناء، ففتحوا الجدار وخرجوا، خرج واحد منهم وذهب إلى المدينة حسب معرفته السابقة، فلما ذهب إلى هناك طلبوا منه أن يتخفى ولا يظهر حتى يمسك به الملك، فلما وصل إليه البلدة وجدها قد تغيرت ولا يعرف أهلها ولا أهله يعرفونه، فقال لعلي أخطأت الطريق ولم أدخل البلد التي كنت أعرفها، فدخل إلى البلدة ليشتري الطعام، ولما دفع النقود للبائع أخذ البائع يقلب النقود في يده وسأله: من أين جئت بهذا المال؟ قال له الفتى: هذا مالي. فاجتمعت الناس عليه لأن هذا النقد صار من الآثار عمره ثلاثمائة وتسع سنين، سأله: من أين جئت به؟ أنت عندك كنز قديم أو وجدت أثر من الآثار القديمة، فاجتمع عليه الناس وبدئوا ينظرون إلى النقود ويتعجبون ويسألونه: من أنت، ومن أين وجدت الكنز؟ وشدوا عليه حتى كان كلامه يختلف عنهم لأنه عبر ثلاثمائة سنة تتغير بعض ألفاظ اللغة، فلما شددوا عليه قال هذه دراهم ودراهم قومي، وأنا موجود عند جماعة من إخواني في مكان بالجبل، فقالوا هذا عهد قديم جداً، ما اسم الملك الذي عشتم عصره؟ قال لهم اسمه (دقيانوس) سألوه ماذا فعل بكم؟ فأعطاهم القصة، فقالوا له: قد مات قبل قرون عديدة. فانظروا كيف العجب عند الأحياء عندما رأوا

هذا الرجل قد عاد بعد ثلاثمائة سنة، وهذا أمر لا يصدق لكنه آية من آيات الله، ونحن آمنا وصدقنا بما جاء عن الله وما جاء به رسول الله ﷺ ولذلك صارت قصة أهل الكهف من أعجب الآيات نتدبر فيها تدك رؤوس الكفرة والعلمانيين الذين يقولون أن هذا لا يدخل العقل، ليس هذا مجال العقل لكن مجال الإيمان، فلذلك ذكر قصته لهم وسمعوها الناس لكنه جاء في هذا العصر وأهل هذا العصر مؤمنين وقد آمن كل أهل البلدة، فذكر لهم قصته وأخذوه إلى الملك، فرآه الملك وخرج خلفه ومن معه من الجند وذهب هذا الفتى الذي بعثوه قبلهم بأخبار أصحابه فوجدهم نيام، فجاء بجانبهم وألقى الله عليهم فنام مرة أخرى، وجاء الملك الجديد ورآهم نيام، فكره أن يوقظهم فقال: ابنوا عليهم مسجد، كما ورد في الآية.

نتبع الآن هذه الآيات وننظر كيف جرت هذه القصة العظيمة، ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً. فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً﴾ يقول المولى قد ضرب على آذانهم أي أخذ عنهم حاسة السمع فناموا، وما الذي يوقظ النائم؟ يستيقظ النائم على الجلبة والضوضاء والإزعاج، فالفتية فناموا – كما ينام كأي إنسان – سنين عدداً دون أن تقبض أرواحهم، ﴿ ثم بعثناهم﴾ أقمناهم مرة أخرى ﴿لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً﴾، لأجل يبين الله ﷻ من هم الذين يستطيعون أن يحصون المدة التي ناموها في الكهف، هل يستطيع أهل الكهف يحصونها بأنفسهم أو الناس الذين رأوهم، وبالطبع كانت هذه من كرامات أهل الكهف ومن معجزات القرآن، لأن أهل الكهف اختلفوا في المدة التي بقوا فيها وكذلك الناس، لذلك قال: ﴿لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾، ثم يقول تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا﴾ عند الملك ﴿فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذن شططاً﴾ قلنا كلاماً خارجاً عن الصواب ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله إلهة﴾ الملك ومن اتبعه ﴿لولا يأتون عليهم بسلطان بين﴾ أي بحجة ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾، ثم يقول المولى ﷻ: ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله﴾ أي بعدتم عنهم وهربتم منهم وهيأ الله لهؤلاء الفتية الهروب فأووا إلى الكهف نشر الله لهم الرحمة ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً﴾.

ثم يخاطب الله ﷻ المسلمين والنبي ﷺ فقال: ﴿فترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله﴾ فكانت الشمس إذا طلعت واستوت تدخل من فجوة في الكهف على أجسامهم، بعد ذلك جعلها الله ﷻ تزاور عن كهفهم، أي لا تصيبهم، وهذه كرامة أخرى، تزاور عن كهفهم أي تبعد عنهم كيلا تصيبهم، فإذا غربت تقرضهم ذات

الشمال وهم في فجوة منه أي لا تصيبهم الشمس لا عند الطلوع ولا عند الغروب، ذلك من آيات الله أي من الأمور التي أجراها الله ﷻ كرامة للعبد الصالح وهؤلاء الفتية، ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾، فهؤلاء الشباب ممن هداهم الله، وأما ذاك الملك وجماعته فممن أضلهم الله، ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشداً.

نواصل هذه القصة في الدرس القادم إن شاء الله، نسأله تعالى أن يرزقنا وإياكم الثبات ويجعل لنا نصيب من ثوابه الذي كتبه لهؤلاء ويرزقنا الإيمان بالمعجزات والكرامات وبانفعال الظواهر التي أجراها الله ﷻ لعباده الصالحين ويفقهنا في هذا الدين ويعلمنا التأويل ويسلك بنا خير السبيل يدخلنا ويجعل لهذا القرآن أثر على القلوب والأرواح والأسماع والأبصار وكافة الجوارح حتى تنيب وتستقيم وتسير على ما دعا إليه حبيبنا ﷺ ظاهراً وباطناً، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

***

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد بن عبد الله رسول الله وإمام أهل الله في هذا العالم الدنيوي ويوم لقاء الله، أما بعد: فنواصل تفسيرنا لكتاب الله ﷻ لسورة الكهف، وقد بلغنا إلى قوله ﷻ في قصة أهل الكهف ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا. وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قالوا لبثنا يوماً أو بعد يوم...ولن تفلحوا إذن أبداً﴾ هذه الآيات تكملة لما سبق من قصة أهل الكهف التي جعلها الله ﷻ إحدى الآيات البينات لحفظه لعباده الصالحين، وفي شرح مواقف الرجال الذين تمتلئ نفوسهم وأرواحهم وقلوبهم بحب الله، فالله ﷻ كما ورد في الآية لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأن الذين عرفوا حق مولاهم في الأزمنة الماضية تعرضوا للابتلاء والبلاء فكانت هذه الصورة تكشف لنا واحدة من هذه النماذج التي تعرضت لها الأمم السابقة من أجل قضية الإيمان بالله وكيف أجرى الله ﷻ انفعال الظواهر وحصول الكرامة لهؤلاء الشباب الذين وصفهم الله ﷻ في كتابه ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ ولأجل أن نعلم هذه الدرجة العالية من درجات الإيمان ولنرى كيف يكون معنى الازدياد بالهداية أنها حولت سلوك هؤلاء الشباب إلى مواقف، وهذه المواقف كانت لله ولأجله ﷻ، فكانت حياتهم سيرة تتلى في القرآن وأخبارهم قصة من القصص التي قال فيها ﷻ: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى، وقد بينت الآيات من بداية القصة حال هذه الجماعة، وقد ذكرنا

في الدرس الماضي نموذجاً مما ذكره أهـل التفسير حـول قـصة أهـل الكهـف، وذكرنـا أيـضاً أن هـؤلاء المجموعة التي اختلف في عددها سيأتي معنا هذا الاختلاف كما هو في آيات الله وأنهم بعد أن بعثهم اللهﷻ من جديد بعثوا واحداً منهم إلى السوق وعرفه الناس أنه ليس من عصرهم وجرى ما جـرى مـن خـروج الملك وجنود الملك معه إلى الغار وقد جاء في القصة أن ملك ذلك العصر الذي بعثوا من جديد في عـصره كان رجلاً صالحاً وأعجبه خبر هذا الرجل الذي جاء من الكهف فخرج معـه ومعـه كـذلك أهـل البلـدة حتى وصلوا إلى الغار ذكر أهل التفسير أن الملك وجنوده لما وصلوا إلى قرب الغـار سـمع أهـل الكهـف الأصوات والحركة فظنوا أن الملك الذي ماتوا في عصره وناموا في عصره قـد فطـن لهـم وجـاء في جيـشه فقاموا إلى الصلاة واستقبلوا القبلة حتى إذا قتلهم الملك يقتلهم وهم في طاعة الله وعبادته، فـدخل الملـك عليهم ومعه صاحبهم فرآهم يصلون فانتظر حتى فرغوا من صلاتهم، وقد عرفوا أحـسوا أن هـذا الملـك ليس عدواً لهم فعانقهم الملك وسلم عليهم وسلموا عليه وأخبرهم أنه ملك مؤمن وأن ذاك الملـك الـذي ناموا في عصره واسمه (دقيانوس) قد مات منذ زمن بعيد، فـسمع مـنهم قـصتهم وعـرف أن الله بعـثهم ليكون أمرهم آية، وأثناء الكلام مع الملك ألقى اللهﷻ على هؤلاء النوم فناموا وقبض الله أرواحهـم تلـك الساعة فاختلف الملك ومن معه، ماذا يفعلون بهؤلاء، فـاتفقوا بعـد ذلـك أن يبنـوا علـيهم مـسجد، أي يصبح هذا الموقع ذكرى لعظمة الكرامة التي رأوها بأعينهم، فيكون موقعاً للتعرف على عطاء الله وموقعاً من مواقع النظر في العبرة التي أودعها اللهﷻ في قصتهم.

جاء في الآية مما يصف حال أولئك القوم الذين مكثوا مدة طويلة في الكهف ﴿وترى الـشمس تـزاور عن كهفهم﴾ أي دائماً وهم في الظل، سواء كان وقت طلوع الشمس إلى الظهر أو كان مـن وقـت الـزوال إلى وقت الغروب، فهم في فجوة منه أي في وسط الكهف لا تصل إليهم الـشمس لا عنـد النهـار في أولـه ولا في آخره، وبالطبع لها تأثير على النائم والكائن فلو كانت الشمس تطلع عليهم على هذا المدى الطويـل لأحرقتهم وأثرت فيهم، ولكن هيأ اللهﷻ لهم الكرامة فكانت الشمس لا تصيبهم في كل أحـوالهم، ذلـك من آيات الله، من يهد الله فهو المهتد الذي يسر له الله أسباب الهداية فحياته كلها خير وهداية ورعاية، ومن يظلل ومن أجرى الله تعالى على جوارحه أسباب الضلال فلن يستطيع أحـد أن يرشـده ويـرده إلى الخـير، ﴿تحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾ بالطبع هم على حالتهم وهم نيام الناظر إليهم يـرى كـأنما هـم في الحيـاة أو على حال من اليقظة لأن أعينهم مفتوحة ويتحركون كما يتحرك النائم وأرواحهـم موجـودة فـيهم ليـسو بأموات، كما ورد في الآية التي سبقت أن اللهﷻ ضرب على آذانهم، أي أن النوم طال بسبب عزل الـصوت عنهم، فكانت مضروب على آذانهم بحاجز معنوي لا يسمعون أي صوت، فطال نومهم آية من آيـات الله

كل هذه المدة فكانوا يتقلبون ويتحولون كما قال في الآية ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾، وحكمة ذلك أنهم لو بقوا على حالة واحدة لأكلتهم الأرض لأن الأرض من طبيعتها تأكل الأجسام، فلو ظلوا نيام على جنب واحد لأكلتهم الأرض مع المدى، لكن ألهمهم الله وهم نيام كعادة النائم ربما انقلب من حال إلى حال ليبقى جسمه سليم من آثار أكل الأرض، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، والكلب الذي جاء معهم نام أيضاً على باب الكهف جاء معهم حارساً لهم، ثم يقول الله ﷻ لو اطلعت عليهم أي لو أحد نظر إليهم على تلك الحالة مع مدى الأزمان ومرور الأيام والليالي وحركة أجسامهم بالطبع وهم يتقلبون وهم نيام وهناك لا زالت كثير من طبيعة حياتهم قائمة مثل الشعر لا زال يطول والأظافر فمثل الحي النائم حتى صار منظرهم بشع، كانت أظفارهم تطول مع مرور الأيام وشعورهم ويلاحظ الإنسان أنه لو ترك الشعر ستة أشهر أو سنة كيف يكون حالة، فكيف إذا كان ثلاثمائة وتسع سنين، فقال لو اطلعت عليهم ونظرت إلى أشكالهم على طول هذه المدة لوليت منهم فراراً، وهذا تقرير لحال الإنسان من الضعف والعجز والخوف أنه يخاف من غير المألوف ويفزع من الصور التي تخرج عن دائرة المعتاد، لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً، وهذا الرعب الذي يصيب الإنسان لأن النظر إلى مثل هذه الصورة على هذه الصفة سبب من أسباب الخوف والرعب، لذلك كانت حالتهم على هذه الصفة الغريبة مع طول المدة.

وكذلك بعثناهم أي بعد ما مرت الأزمان الطويلة أيقظناهم من رقدتهم، والأمر كل بيده.. المنام واليقظة، فكان انتباههم آخر النهار، وكان نومهم آخر النهار، فلما قاموا من النوم يتساءلوا بينهم فقالوا نحن نشعر أننا قد نمنا نوماً طويلاً، كم نمنا؟ فقال قائل منهم كم لبثنا؟ يوماً أو بعض يوم، نحن نومتنا هذه ربما يوم لأننا نمنا الصباح والآن المساء، وهذا الصباح كان قبل ثلاثمائة وتسع سنين، وهذا المساء بعد ثلاثمائة وتسع سنين، فسبحان المولى الذي جعل في هذا النوم عدم القدرة على تمييز الوقت، لهذا السبب نتعلم أن النوم خروج من دائرة الحياة المألوفة إلى دائرة السبات، لهذا في الفقه أن النائم إذا نام وغفا وانقطع حسه عمن حوله انتقض وضوءه، لأن النوم يقطع الإحساس بالحياة، فهؤلاء برغم طول مدة النوم لم يحسوا بالزمن، لأنه ينفصل عامل الزمن بسبب النوم، فظنوا أنهم ناموا يوماً أو بعض يوم، قالوا ربكم أعلم بما لبثتم لأنهم مؤمنين قالوا الله أعلم لا نعلم، وأحسوا بالجوع، فابعثوا أحدكم بورقكم، الوَرِق هو العُمْلة الفضية وليس الوَرَق بل الوَرِق، هي عملة مصنوعة من الفضة وهي اسم للفضة وتسمى وَرِق بكسر الراء، فكانت معهم عُمْلة مالية مسبوكة أو مضروبة من الفضة، فقالوا نبعث واحد يروح المدينة يأتي لنا بطعام فلينظر أيها أزكى طعاماً، ولأنهم صالحين يريدون أزكى طعام طاهر وحلال، لأن المجتمع كان كافر وفيه التعامل بالحرام، فكانوا يريدون من يأتي لهم بطعام حلال، وهذه من صفات

المؤمنين، أنهم يتعبدون الله بالأكل الحلال، فليأتكم برزق منه مما تيسر من الطعام في السوق وليتلطف، فلا يظهر نفسه حتى لا يشعر الملك به فيراه ويتبعه ويعرف مكان هؤلاء الفتية، ولا يشعرن بكم أحداً.

هذه كلها إشارات وصفها الله ﷻ لما يدور في حياة هؤلاء المؤمنين وهم في ذلك الكهف، وقال قائل منهم: لو أننا عرفنا بعد أن هربنا أنهم ﴿إن يظهروا عليكم﴾ يعرفوكم ويعرفوا مكانكم ﴿يرجموكم﴾ أي يعتدوا عليكم ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي يجبروكم إجباراً على الكفر، ولن تفلحوا إذن أبداً، أي إذا ألزم هؤلاء أن يكفروا بعد إيمان فلن يكون لهم فلاح ولن يربحوا ما هربوا لأجله وهو حب الله وتوحيده.

قال ﷻ مشيراً إلى آياته ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي أظهرناهم للناس وكشفنا أمرهم الذي كان خفياً بعد ثلاثة قرون وتسع سنوات، فكذلك أعثرنا انظروا كيف الضمير راجع لله ﷻ وأن إماتتهم بأمره وبعثتهم بأمره ليعلم الناس وهم أيضاً أن وعد الله حق وأن كل ما أخبر به الأنبياء وما أجراه على ألسنة الرسل هو حقيقة وأمر صحيح وأن الساعة لا ريب فيها ليس هناك شك في القيامة والمواعيد التي أوعد الله بها الأمم وأن ما جاء به الأنبياء من الدعوة إلى الله وعدم الشرك والابتعاد عن الشبهات والحرام هي قوانين إلهية عظيمة فأعثر الله عليهم كما سمعتم في القصة ذهب ذلك الرجل إلى السوق فعَرِفَه الناس أنه غريب ونظروا إلى العملة فعلموا أنها من العملات القديمة فذهبوا يسألونه فوجدوا لهجته تختلف عنهم فأظهروا على الملك فسأله فعرف حاله وخرج معه إلى الكهف والتقى بأولئك حتى أجرى الله عليهم النوم فناموا مرة أخرى وقبض الله أرواحهم فصارت هذه النومة أو هي نومة الموت، أما الأولى فليست كذلك، فلما ماتوا بدأ الجدل يدور بين الملك وأتباعه: ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾وهذه آية عظيمة كشفها الله لهذا الملك ولمن معه، واعتبروا أن هذا من الحكمة الإلهية ومن الآيات الربانية التي تثبت إيمان المؤمنين وتدحض كفر الكافرين، فاعتنى الملك واهتم بتلك الظاهرة العظيمة، وقال ومن معهم: ﴿ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم﴾ بعضهم قالوا: ابنوا عليهم بنيان وسدوا عليهم الكهف من جديد فالله أعلم بحالهم، قال الذين غلبوا على أمرهم لابد أن لا نسد الباب ولكن يجب أن يكون هذا المكان موقع ذكرى وآية تذكر وأمر يشهر لا يخفى ولا يسد باب الكهف دون أن نضع على هذا الموقع ما يذكر الناس بهذه المعجزة، قالوا ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾ نصلي ونعبد الله فيه ونذكر للناس هذه الآية ونعتز بهذه المعجزة التي أظهرها الله ﷻ في ذلك العصر والزمان، وبالطبع كل هذا كان حواراً لتثبيت الإيمان ليس غرضاً لعبادتهم أو تعظيمهم أو تقديسهم كما قد يفهم البعض خصوصاً في هذا الزمان، لكن كان معرفة مواقع

هؤلاء الصالحين بناء المسجد بجانب الباب لأجل إعادة الذكرى وبقاء خبرهم ما دامت هذه المساجد يعبد الله فيها.

بالطبع بني عليهم المسجد، والمولى ﷻ قد يذكر لنا ظاهرة أو قصة أو حكاية أو معجزة أو كرامة أو آية يريد أن يعلمنا أن الجدال والصراع في المسائل لا يغني ولا يفيد شيئاً، والقصد من ذكرى أخبار الصالحين وكراماتهم هي الإيمان بالله والاستفادة، كذلك الاقتداء بهؤلاء الصالحين فيما كانوا عليه...

.....

.....

يخبرنا الله ﷻ أن هناك خلاف جرى عند الناس حول العدد، ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم... ثامنهم كلبهم﴾ يعني الناس بدءوا يتناقشوا هل أهل الكهف خمسة ولا أربعة ولا ستة ولا سابعهم الكلب ولا الثامن؟ وهذه طبيعة البشر، يفوت الآيات والمعجزات بالمناقشة التي لا تعود بعائد عليهم، فالله ﷻ علمنا أنه لا داع للخلاف، وهذه مسألة تلفت النظر إلى كثير مما تسمعونه الآن، مثلاً: جاءت مناسبة عيد الميلاد النبوي، فيقول بعضهم ليس هناك تأكيد أن الرسول قد ولد في الثاني عشر من ربيع الأول، وأحدهم يقول بعضهم يقولوا أنه ولد في ثمانية، أو الثاني، في الثاني والعشرين، فكيف أنتم تعظمون هذا اليوم؟ مادمتم لا تعرفونه اتركوه، فالمولى أشار أن هذا الكلام دلالة على إضاعة الأوقات فيما لا داع له، السؤال: هل أهل الكهف قصتهم صحيحة أو غير صحيحة؟ نعم صحيحة، هل ميلاد النبي ﷺ صحيح أو غير صحيح؟ نعم ميلاد النبي صحيح، إذن فتعظيمنا ليس لليوم أن يكون العاشر أو الثاني عشر أو الخامس أو العشرين، أو أن يكون عدد الجماعة خمسة أو عشرة أو ثلاثة، نحن دائماً يربطنا الإسلام بالأحداث التاريخية ونحترم الخبر التاريخي والذِّكر ونعيد ذكرها وقصتها ونرويها للناس ليس للخلاف في الميلاد أو الإسراء والمعراج أو في عدد أهل الكهف أو في ساعة الجمعة أو في ليلة القدر بل لأننا نبرز وجود الآية وحصولها والفرح بأن الله أجراها في هذا العصر فصارت آية من آيات الله في القرآن، وأخبار الرسول خبر من أخبار تاريخ حياتنا الإسلامية والإسراء والمعراج خبر من أخبار الكتاب والسنة وغيرها من الأحداث هذا المزج يعلمنا أن النزاع والصراع قد جرى على قصة أهل الكهف فكيف أشار الله لها فقال: ﴿ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾ يعني كل واحد يرمي من عنده بالفكرة على غير معرفة ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم﴾ مافي داعي للبحث عن الأيام والليالي والوقت والزمن والعدد ربنا ﴿أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾، أي قد يكون بعض

يعرف العدد كم منهم وكان العباس يقول أنا منهم، أي أنا ممن أطلعهم الله على عدد أهل الكهف، ﴿فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً﴾ فلا تضيع وقتك بالمناقشة والمجادلة كم عددهم والرابع الكلب ولا الخامس ولا السادس ولا الثامن، لا تضيع وقتك في المماراة والمناقشة ولا تستفت فيهم منهم أحداً، لا يخول لك أن تضيع الوقت في البحث عن عددهم، وهذا الكلام جميل وعظيم في إعادة معاني مفهوم الكتاب والسُنَّة في كل وقائع التاريخ، فإذا كان الإسلام بواسطة القرآن يمنع نبينا محمد عن مناقشة العدد لأن الحدث صحيح فكذلك لا داعي لأن نثبت التواريخ واختلافها في المناسبات، ولكن نؤكد للناس وجود المناسبة ولو اختلف الناس في تاريخها.

﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا﴾ هذا كمال التسليم لله، والتسليم لله ﷻ يعلِّم العبد أنه لا يعتقد أن بيده صنع الغد أو صنع ما يريد أن يفعله في اليوم التالي، ﴿ولا تقولن لشيء.. إلا أن يشاء الله﴾ انظروا كيف الربط الإلهي بين قضية العدد وعدم الخوض فيها وعدم الاستفتاء والمماراة والمناقشة وبدون الدخول في شأن المستقبل إلا بأمر الله، أعد كل شيء إلى مشيئة الله ولا تقل للناس أنا عزمت على أمر سأفعله إلا مقرون بالمشيئة وهذه مسألة عجيبة حيث ورد في التفسير أن سبب نزول الآية أن النبيﷺ لما سئل عن قصة أهل الكهف كما سمعوه في الكتب السماوية السابقة وقد بلغهم خبرها وقد تكون ليست هي نفس القصة بل هناك قصص لأهل كهف آخر فقال النبيﷺ غداً أجيبكم.. فترك الأمر وقال إن شاء الله في الغد سأخبركم بقصة أهل الكهف، وربما لم يقل إن شاء الله، فتأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً، انظروا كيف التعليم السماوي للنبيﷺ، يقول يا محمد في أثناء هذه القصة إذا عزمت على أمر فقل إن شاء الله، وقد ورد في بعض الروايات أن سليمان‍عليه السلام قال لأطوفن على نسائي ولتأت كل واحدة منهن ولد مجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله، فلم يأته إلا طفل مشوه واحد، سبب ذلك أنه لم يعيد المشيئة إلى الله، وهذا تعليم أن كل شيء في هذا العالم محكوم بأمر الله وأن على الرجل والمرأة والمسلم والمسلمة أن يعيد الأمور للمشيئة قال بكره باسافر إن شاء الله، سأعمل كذا إن شاء الله، عندي نية أن أقرأ أو أتعلم أو أكتب إن شاء الله، فدائماً يعيد المشيئة لله ﷻ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله، واذكر ربك إذا نسيت، لو نسيت أن تقول إن شاء الله فإذا ذكرت فقل (لا إله إلا الله) فإن الإنسان في كل أحواله يحتاج للذكر عندما يريد أن يضع موعد لنفسه وإذا عرف ضعفه ونسي، أي إنسان يطرأ عليه صفة النسيان وهي من طبيعة البشر ولم يسمى الإنسان إلا لنسيه وما القلب إلا لأنه يتقلب، فلما كانت طبيعة البشر النسيان والإنسان ضعيف قال اذكر ربك وقل لا إله إلا الله إذا نسيت الشيء فإن الله تعالى يرشدك إليه

وإذا أردت أن تعمل الشيء على موعد فقل إن شاء الله، وهكذا يعلمنا مولانا أن نعيد كل شيء إليه فالأمر منه وإليه، وإليه يرجع الأمر كله.

ثم استمرت قصة أهل الكهف ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً﴾.. وهذه سنوات طويلة ليست بقليلة، إشارة وتفسير لما انبهم على الناس، فالناس كانوا كما قالﷻ ﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ فبين اللهﷻ في هذا الموقف السنوات التي عاشوها لأنهم مروا في الآيات السابقة سنين عدداً لم يذكرها بالتفصيل فذكرها الآن في هذا التفصيل فقال ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ وهذا جواب على الآية الأخرى ﴿قل الله اعلم بما لبثوا﴾ فإذا جاء الناس يجادلوك في الثلاثمائة وتسع سنين أخبرهم بالعدد واعلم أنهم لن يعطوك خبراً صحيحاً فإنه لا يعلم أحد مثل هذا الغيب إلا الله، ﴿له غيب السماوات والأرض﴾، لأن كل شيء في هذا العالم موودع عنده محصي في كتاب، فمولانا أعلم بما في الوجود ﴿أبصر به وأسمع﴾ أي ما أبصر المولى بكل موجود وما أسمعه بكل مخلوق، يدرك الخفيات كما يدرك الجليات ألم يقل الله في كتابه ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾، إذا كانت الحبة في ظلمات الأرض وفي بعض الروايات يعرف دبيب النملة السوداء في الليلة الظلمة في الصخرة الصماء، فالله مطلع على ذلك ولم يخفى عليه أمر أهل ولم يخفى عليه ما في القلوب، وما بالليل، وما يفعله الناس كما ورد أنهم يستغشون ثيابهم فالله أعلم بالإنسان بكل أحواله ولو كان مخبئاً في بيته، فالله أعلم بكل شيء وأسمع وأبصر ﴿مالهم من دونه من ولي﴾ أي ليس للبشرية كلها وللكائنات من ناصر ومعين غير الله، ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ أي ليس لأحد في هذا العالم تفرد في الحكم ولا قوة في الفعل وليس للحق سبحانه وتعالى شريك في الملك ولا مثيل ولا نظير ولا شبيه، فهوﷻ الذي يقضي القضاء ويحكم الحكم والغنيﷻ عما سواه.

هذه كلها الآيات العظيمة من سورة الكهف بينت لنا قصة أهل الكهف التي سميت السورة باسمهم، ماذا نستفيد من إيراد قصتهم وسماعها؟ هذه القصة فيها من العظمة والإشارة إلى تأثير القصص القرآني على نفوس الناس، فالإنسان يميل إلى أن يسمع أخبار جنسه أي أخبار النوع يفرح الإنسان ويأنس لسماع قصصهم وحكاياتهم، وقد علم الله طبيعة البشرية تميل للحكاية والقصة والمسرحية والمسلسل، هذا ما نعيشه نميل للقصص المصورة، طبيعة البشرية تميل إلها، فوضع اللهﷻ في كتابه العزيز قصص وحكايات ليست مبنية على التأليف من غير الواقع أو تصنيف شاعر أو كتابة أديب أو تصورات

ذهن، إنما حقائق جرت في صراع الحياة بين الإيمان والكفر وبين الذين أقاموا أساس التوحيد في العالم والطواغيت الذين حكموا العالم وكفروا بالله ونكَّلوا بالمؤمنين، فأراد الله تعالى أن نعرف من خلال قرآننا أن للقصة تأثيراً عجيباً وأنَّ القِصَّة بالإمكان أن تدخل إلى قلوبنا وأرواحنا ونتأثر بها ونستخلص منها المواقف ومنها أن ننظر كيف قوة الإيمان بالله في هؤلاء الشباب وصبرهم على الأذى والمحنة والابتلاء وأنهم لم ينجرفوا مع أهل عصرهم إذا كانوا سبعة أو ثمانية والمجتمع كله ضدهم فصبروا وتحملوا وناقشوا الملك وردوا عليه في معتقداتهم الفاسدة ولما ضغطوا عليهم وأرادوا أن يضروهم ويؤذوهم كيف تركوا الوطن والبلد والناس وذهبوا إلى ربهم، واخترقوا صفوف الواقع إلى الصحراء وهم في أمس الحاجة إلى الحياة مع الناس خاصة كشباب، دائماً الشاب يريد أن يعيش عصره لكن هؤلاء لم يكونوا عبيداً للواقع أو صفة من صفة التأثر بما يرون في حياتهم، فإنما هم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم، فمنح الله في قلوبهم الصبر حتى لا ينهاروا أمام اللذائذ والدنيا والشهوات، وهذا معلوم في زماننا أن كثير من الشباب والصغار والنساء والفتيات لا يصمدون أمام ظواهر الشهوة في الحياة، يقولون في زمانكم الصغير هذا أول يمكن يعيشله على ما يريد بعد كذا إذا كبر يرجع إلى الله ويتوب، بل أن بعض المجتمعات إذا رأوا الصغيرة أو الصغير يصلي ويعبد الله قالوا خلوها لا تصلي ولا تكبر هذا عاده صغير، فانظروا كيف بين القرآن موقف الشباب ورفضهم للواقع الخطأ وقوة إيمانهم واعتزالهم عن الناس وخروجهم عن دائرة الواقع وأن الله ﷻ قص علينا هذه القوة النفسية التي منحوا إياها وموقفهم من آلهة قومهم وأن ما عند قومه حجة لعبادة الأوثان واتباع هذا الطاغوت الكافر وأنهم قرروا الاعتزال والبعد فآووا إلى الكهف، وهو إشارة إلى ضرورة الابتعاد عن قاذورات الأزمان إلى الكهوف وليس المقصود الهروب بالنسبة لنا ولكن إذا وجد الإنسان ملجأ في بيته وعصره وزمنه، وَجَدَ لَهُ إخوان في الله، وجدت المرأة أخوات في الله، وجدت من يدلها إلى الله فتأوي إليهن وتبتعد عن قاذورات الأزمنة وإهانات العصور وضعف البشرية في معرفة قضايا الإيمان بالله، وتعود إلى نور الدعوة والإيمان والإسلام، هذا مثال عظيم يضعه الله لنا فيما يجريه الله من الحفظ والكرامة لكل عبد مؤمن وما جرى لأهل الكهف من الكرامة في الدنيا سيجريها الله ﷻ لكل مسلم ومسلمة تصبر على الطاعة والإيمان والخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيهيئ الله لها من أمرها رشداً، هذه القصة كما سمعتم كان زمنهم ما بعد عيسى أي لم ترد في كتاب سماوي إلا في القرآن، ولهذا يسمى قصة أهل الكهف في القرآن، وليست قصة أهل الكهف في الكتب السماوية السابقة.

وعلى كل حال السورة ممتلئة بالمواقف وممتلئة هذه السورة المباركة بالأحداث المتنوعة ويلمح أهل التفسير أن قصة أهل الكهف مربوطة بآخر الزمان وآخر الزمان عصرنا وما يليه حيث أن هذه الصورة كما سمعتم في افتتاحنا للتفسير لهذه السورة أن لها صلة قوية بآخر الزمان وأن كل آية فيها وحكاية وقصة هي عبارة عن مواقف ينبغي للرجال والنساء والفتيات أن يتخذوها منهج، فإن فيها كمال الحفظ من فتنة المسيخ الدجال، خاصة في الأزمان الأخيرة، إذا نظرنا إلى هؤلاء الفتية وتعرضهم للمحنة والطاغوت الكفري فإن في آخر الزمان تتعرض أمة محمدﷺ لأثر الطاغوت والكفر، وليس ببعيد ونحن نرى في عصرنا مصارعة الكفار للمسلمين في كل موقع من مواقع حياتهم في هذا العالم، واستخدام الوسائل العصرية والكفرية لمنازعة المسلمة والمسلم في دينه، والعمل الدؤوب المستمر في أجهزة الإعلام وفيما يكتب ويقرأ وينسخ ويطبع ويصور ويمثل من أجل إضعاف الهمة في المسلم والمسلمة ومحاولة تركيع الإيمان في المسلمين سواء كان في الحروب أو كان في الكتابة أو كان في الأجهزة أو كان بإثارة الغرائز والعواطف والشهوات أو غير ذلك، فالكافر مستمر في الحرب، فيشير القرآن أنه يجب أن تكون هناك مواقف مثل مواقف أهل الكهف، مثل مواقف هؤلاء الفتية الذين عرفوا حق ربهم فلم يرضخوا للكفر ولم يستسلموا للوسائل المغرضة التي تدمر الأخلاق والإيمان والبناء النفسي في النفس المسلمة المؤمنة باللهﷻ، وهذه من الإشارات المهمة في المقارنة بين قصة أهل الكهف في هذه السورة وبين ما تعيشه الأمة في آخر الزمان من مسببات في تأثير المسيخ الدجال، وقد ورد في الحديث أن أكثر من يتبع الدجال في آخر الزمان نوعان من البشر وهما اليهود والنساء، والعجيب أن النساء لهن دور خطير جداً في التحولات ولهذا دائماً القرآن والسنة تحث المرأة والنساء على أن يتفهمن موقع السلوك والأدب والخلق والبناء النفسي الشرعي حتى لا يقعن حبائل للشيطان كما ورد في الحديث وألا يفتحن الأذان لهذه الطبول والأبواق التي تحرض المرأة على السفور والتبرج والمطالبة بما يسمى بالحقوق الإنسان على غير هدى وضوابط، فالحقوق قد شرعها الله للرجل والمرأة لكن لا تتأتى بأن نأخذها من شعارات الكفر أو التحولات، بل نأخذها من دراستنا للإسلام واستعادة فهمنا للقرآن والسنة بابتعاث الهمم في النساء والفتيات والرجال والشباب لإعادة فهم كتاب الله وإعادة قراءة القرآن مربوطاً بالوقائع والأحداث المعاصرة ومقروناً بالأحداث والوقائع التاريخية التي أودعها الله في كتابه للعبرة والادكار والاستفادة والنظر في ذلك.

وبهذا تتجدد المعاني ونضع سدوداً أمام الكفر والغوايات والروايات وأسباب إضعاف العواطف في المراة والرجل ونبدلها بالقوة النفسية الشرعية ونملأ قلوبنا معرفة بالله وخوف منه ومراقبة في السر

والعلانية وإيجاد جيل مؤمن بالقصة القرآنية ووقائعها يستطيع أن يتعرف على معانيها السامية وعظمة إيرادها في كتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

فالقرآن كما سمعتم هو كلام الله والقول الفصل الذي ليس فيه شك ولا ريب وبالطبع هذه الآيات التي استمعنا إليها من قصة أهل الكهف مليئة بالصور البلاغية، الصور البلاغية هي التصور الفني في القرآن ومن قرأ في اللغة أو علم البلاغة أو علم البديع أو علم البيان وهذه علوم قد نسيها الناس ولكنها علوم القرآن، فالقرآن كما هو مليء بالمراقبة لله ويصور معانيها وبصور الإيمان في الرجال والنساء ومعانيها فالقرآن مليء بقوة العطاء المعنوي وآيات الله مليئة بها، وهناك أيضاً إعجاز لغوي وتصويري في كتاب الله، كل كلمة فيه لها مدلول عظيم، ويسموها البلاغة التي تدل على قوة اللغة القرآنية ولو أن القرآن عربي نزل بلسان العرب لكن حتى العرب أعجزهم هذا الكتاب بما فيه من البلاغة، فقد جمعت هذه الآيات كثير من هذه الصور البلاغية وبإمكان أي مستمعة ترغب في معرفة هذا العنوان من البلاغة أن تعود إلى كتب التفسير وخاصة كتاب صفوة التفاسير فهو جامع لكثير من هذه الصور البلاغية النافعة.

بالطبع المناسبة لهذه القصة وهي قصة أهل الكهف تمثل واحدة من صور التضحية والبطولة في سبيل العقيدة والإيمان، والعقيدة المقصود بها اعتقاد المرء في ربه وهذه مسألة مهمة، فالإنسان تطرأ عليه كثير من نواقض العقائد مع كل قصة وخبر نستعيد هذه الذكرى وهذه التفصيلات الشرعية التي يثيبنا الله ﷻ عليها بطول التأمل والتدبر.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا نصيباً من الإلهام الذي ألهمه هؤلاء الصالحين ويربطنا بهم في الدنيا بالتدبر لقصتهم وفي الآخرة لنرى المقامات التي يبلغون إليها بصبرهم على الطاعة والإيمان بربهم، ونسأ لالله أن يفقنا الدين ويعلمنا التأويل ويسلك بنا سواء السبيل ويدخلنا وإياكم مع عباده الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته... نعم الثواب وحسنت مرتفقا﴾

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، فالله ﷻ يأمر حبيبنا ونبينا محمد ﷺ أن يقرأ القرآن على الناس ويرفع صوته بهذا البلاغ ويصدح ﷺ في كل ملأ من الناس بآيات الله، هذا الكتاب العظيم الذي جعل الله ﷻ في نشره وأخباره وقراءته وتلاوته على الناس حكمة وذكر النعمة وصد النقمة والثواب والأجر سواء لتاليه أو لسامعه، قال ﷻ ﴿واتل ما أوحي إليك﴾ هذا القرآن الذي أنزل على قلبك نزل به جبريل لتنذر وتبشر به لا تسكت عنه، ولا تخفض صوتك، بل قرأ القرآن والمقصود باتْلُ أي

من التلاوة وهي القراءة المدبرة التي يظهر فيها معنى الآيات مع حُسْن الصوت والأداء والحضور والتمثل لعظمة الله ﷻ اقرأ يا محمد ما أوحاه الله إليك من آيات هذا الذكر الحكيم العظيم، فهذا كتاب أبدي يتصف بصفة العالمية الدائمة ويملك صفات الديمومة والأبد لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد إذا قرأه الإنسان وتدبره عرف أنه كلام يخاطب الروح والعقل والقلب، ولذلك قال ﷻ يخاطب حبيبنا ونبينا محمد ﷺ وتتجاوز هذه المخاطبة إل كل عبد مسلم يتأسى ويقتدي بحبيبه ونبيه محمد ﷺ، وخاصة في أزماننا التي كثر فيها الاستماع إلى كثير من جواذب الحياة ودعواتها ورغباتها وشهواتها، فيقول المولى ﷻ هذا بديل عظيم هذا القرآن العظيم ينبغي أن يتلى ويقرأ لأن كل كلام مهما عظم عند الناس فهو كلام لا يبلغ ولا يصل إلى مستوى كلام الله ﷻ، وكلام الله لا مبدل لكلماته، أي لا تتغير معاني القرآن ولا ثوابته ولا يحتاج إلى تجديد فيما جاء به مولانا ﷻ، ولا يتعارض القرآن مع أي شيء مما يجري في حياة البشرية بل أن كل ما يجري في حياة الناس من تطور العلم أو اكتشاف واختراع أو أي تحولات في هذا الوجود فإن القرآن قد سبق الكلام عنها، وقد ذكر طرفاً منها، وقد أشار إليها إشارة تفصيلية أو إشارة عابرة، فقد اودع الله في هذا القرآن كل شيء ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ فكلام الله لا مبدل لكلماته، لاحظوا بارك الله فيكم أن الله تعالى يؤكد لنا لا تتبدل منه الكلمات ولا تتغير فيه العبارات كما تتغير النظريات، ولا يقدر أحد في هذا الوجود أن يغير أو يبدل كلام الله أو يأتي بكلام أفضل أو أحسن منه، لأنه كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا يزيد المرأة المسلمة والرجل المسلم إيماناً بهذا الكتاب وتعلقاً بها الكتاب وارتباطاً بهذا القرآن العظيم، الله ﷻ أثبت لنا في هذه الآية أنه يجب أن تدوم قراءتكم للقرآن وأن تعلموا أن هذا الكتاب العظيم أحكامه وما ورد فيه من تفسير للظواهر من عرض لأمر الدنيا والآخرة من الكلام في الترهيب والترغيب وغير ذلك فهو كلام الله الذي لا يمكن أن يدخل إليه ضعف أو نقص، ولن تجد من دونه ملتحداً، إن هذا الكتاب الذي أنزله الله جامع لكل خصال الخير ولكل ثوابت حاجة الأمم، وأيضاً لأنه كلام الله فالمولى ﷻ ملجأ للكل، كما جعل للقرآن مرجع للكل، فالمولى لن نجد أحد من دونه ملتحداً، أي لن يجد الإنسان ملجأ في هذا الوجود غير الله، إلى أين سيذهب الكافر، ومن هذا الذي سينفعه غير الله؟ وكذلك العبد المؤمن أينما ذهب في هذا العالم سيجد مولاه ﷻ قد أودع في كل شيء من هذا الوجود حكماً وآيات تدل عليه، وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد، ثم يقول ﷻ بعد أن خاطب نبينا محمد ﷺ بعالمية هذا القرآن واستمراره، قال له: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ بالطبع المجتمعات فيها أناس كثير في كل مجتمع تأتي أناس منهم من يرى نفسه في علية القوم إما أن يكون حاكماً أو صاحب مال أو جاه أو مظهر، وهناك أناس آخرون ضعفاء

بسطاء من عوام الناس ربما لا يلتفت إليهم لضعف حالهم وفقرهم، فالله ﷻ يسط لنبينا وحبيبنا محمد ﷺ عن طريق هذه المخاطبة الإلهية ويحدد له الفئات التي ينبغي أن يعاشرها والتي يجب أن يجلس معها ويتحدث مع من فيها من الناس، قال ﴿واصبر نفسك﴾ كلف نفسك، عود نفسك، درب نفسك مع الذين يدعون ربهم، اجلس مع هؤلاء الفقراء البسطاء الذين ستجدهم معك في المسجد والحياة العامة سواء كانت دروسك معهم في الصباح أو المساء، ماداموا يريدون وجهه، أي ما داموا هؤلاء البسطاء والفقراء همهم وقصدهم مولاهم، فقد آمنوا بالله وصدقوا رسول الله، وما أكثر هذه الفئات البسيطة التي دخلت الإسلام في ذلك العصر وكانوا من بسطاء الأمة كأمثال عمار بن ياسر، وسمية، وبلال بن رباح، وغيرهم من أفاضل الصحابة ﷺ، وقد قال الله ﷻ لحبيبه ونبيه: يا محمد احبس نفسك مع الضعفاء والفقراء من المسلمين الذين وظيفتهم في الحياة يدعون ربهم، أي يحضرون أوقات الصلاة يجتمعون لذكر الله ويبحثون عنك ليسألوك عن دينهم يريدون وجه الله بذلك، فلا تعد عيناك عنهم، أي لا تصرف نظرك عن هؤلاء ولا تلتفت إلى من تراه من أولئك القوم من قريش والكفار من العرب واليهود وغيرهم، ممن يملكون المال والجاه والسلطة والتأثير في الحياة الاجتماعية، احذر أن يشغلوك أو يفتنوك أو يأتوا إليك فيطلبون منك أن تخرج من دائرة الفقراء والمساكين والمؤمنين، لأنه ورد في التفسير أنه ﷺ كان حريص بإيمان الرؤساء، والمقصود بالرؤساء زعماء القوم، يريد أن يدخلهم النبي ﷺ إلى الإسلام، لأجل يؤمن أتباعهم والنبي ﷺ في ذلك الفعل كان يرغب ﷺ في أن يوصل الدعوة إلى كبراء الكفار من قريش وغيرهم ، ورد الله ﷻ أمر أولئك الكفار الذين وضعوا على رسول الله قالوا له: إذا أردتنا أن نجلس معك فابعد واطرد من عندك بلال وخباب وصهيب وعمار وغيرهم، فنحن نأنف أن نجتمع بهم معك أو أنك تعين لنا وقت نجلس فيه عندك ولا يحضر معنا هؤلاء الفقراء، فالله ﷻ أراد أن يبرز لنا بركة هؤلاء البسطاء من المسلمين وأن المسلمين ليس فيه كِبْر، وليس فيه تفرقة ولا يجعل الدين لأناس دون أناس، ولكنه أمر واحد وشرف واحد وهكذا الله ﷻ انتصر للفقراء والبسطاء فقال لنبيه ﷺ: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ لأنهم توجهت وجوههم إلى الله فتركوا كل شيء في ذلك العالم، وهذه إشارة واضحة لكل زمن وعصر أن على المسلم سواء كان عالماً أو متعلماً أن يترفق بالأمة وبسطاء المسلمين ويدخل بينهم فيرشدهم ويعظهم ويعلمهم فإن استعدادهم للاستماع والتوبة والرجوع إلى الله أقوى أكثر مما يكون في أولئك القوم الذين عاشوا في الظلم، وأصبحوا وأمسوا على الظلم، أو ممن يبحثون عن أمراض الدنيا وأموالهم وتجارتها ومالها من مظاهر وجاه، وهؤلاء في المجتمعات كثيرون، كثير من الناس في مجتمعات المسلمين من لا يشتغل ليلاً أو نهاراً إلا بالتجارة ولو

كانت حراماً، ومنهم من لا يشتغل إلا بالبحث عن السلطة والحكم وإن كان فيه الخطر على دينه، فإلى من يتوجه المسلم العالم وإلى من يتوجه الداع؟ قال له توجه إلى الفقراء وعامة المسلمين وبسطاء الأمة الذين في قلوبهم محلاً لربهم ولنبيهم محمدﷺ، والذين يخافون الحساب ويرجون من الله الثواب، اجلس مع هؤلاء صبر نفسك معهم وإن كانوا فقراء لا يملكون شيئاً، فإن في مجالستهم الخير، حتى ورد في الآية ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ قال بعض أهل العلم أنها إشارة إلى طول النظر للمريد والمتعلم والمتأدب، فإن كان لديك من يتعلم منك أو يتأدب بأدبك فانظر إليه فإن في نظر الشيخ والمعلم لتلميذه ولنظر النبيﷺ لأتباعه نظر الرحمة والرأفة والشفقة له تأثير على حياة المريد والتابع والمتعلم لأن النظر فيه شيء من الشفقة والرحمة والعطف، هكذا قال ﴿ولا تعد عيناك﴾ لاحظ أتباعك وتلاميذك ومحبيك والمتعلقين بك، ولا تعد عيناك عنهم لا تصرف نظرك عن هذه الفئة الصالحة التي آمنت بالله ورسوله، لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا لا تجعل لمظاهر أهل المظهر تأثير عليه ولا لأهل الجاه تأثير عليك، ولا تجعل لمظاهر من أوقعه اللهﷻ في الظلم وأذى المسلمين في أي موقع من المواقع الاجتماعية لا تجعله هدفك أو غايتك أو أملك ولا تصرف نظرك عن فقراء الأمة إلى النظر إلى هؤلاء، تريد زينة الحياة الدنيا لأنهم يمثلون زينة الحياة، وما هي زينة الحياة؟ زينة الحياة السلطة والحكم والمال والجاه والمظاهر المادية المنتشرة في عالم الإنسانية على كل معانيها ومظاهرها قال ﷻ وجه نظرك يا محمد وعلم أتباعك أن يكون نظرهم مقصور على من ينتفع ويستفيد ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، لا تطع لأن الكفار لهم أساليب وأحابيل وأنصبة كما تسمى أفخاخ ينصبونها لأجل يصيدون ويؤثرون على رسول اللهﷺ، لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، أي أولئك القوم من قريش الذين سألوك أن تطرد المؤمنين من مجلسك لأجل يجالسوك فهؤلاء قلوبهم غافلة، فماذا يريدون من بسطاء المسلمين، قال في التفسير نزلت في عيينه ابن حصن وأصحابه، أتوا إلى النبيﷺ وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان الفارسي عليه شملة من الصوف قد عرق فيها، فقال عيينة للنبيﷺ: «أما يؤذيك يا محمد ريح هؤلاء ونحن سادة مضر وأشرافها إن أسلمنا يسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحّهم عنك – أي أبعدهم – حتى نتبعك، أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلس» النبيﷺ طامع في أن يهدي الناس والنبيﷺ رغب في أن يدخل السرور على هذه الفئة من المشركين راجياً هدايتهم، فهم رسول اللهﷺ أن يجيبهم إلى ما طلبوا، بالطبع كان طلبهم أن الرسول يجعل لهم مجلس خاص وهذا ما كان الرسول يريده، فنزلت هذه الآية، فلما نزلت هذه الآية خرج الرسولﷺ يتلمس الفقراء ويبحث عنهم، فلما رآهم جلس معهم وقال لهم: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني ربي أن أصبر نفسي معهم»، هكذا يعلمنا الإسلام مدلول التواضع واللطف مع كل من قال لا إله إلا الله محمد

رسول اللهﷺ، فقال المولى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه﴾ لأن قلوبهم والعياذ بالله غافلة عن الله، وقد أبـرز المولى أن الغفلة هذه التي ضربها على قلوبهم بسبب كفرهم وطغيانهم وأذاهم وما في قلوبهم من الحقد على بسطاء المسلمين، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً، واتبع هواه أي سار مـع رغباته ومضلات الفتن التي احتوته واحتوشت عقله وكفى بهذه الفتن أنها جعلت مثل هذا الرجل الذي نزلت فيه الآية جعلته يطرح على النبيﷺ مثل هذا الطلب الذي يريد فيه أن يفـصل بـين فئـات المـؤمنين البسطاء وهؤلاء الذين يرون أنفسهم شيئاً في المجتمع، فقالﷻ ﴿واتبع هواه وكان أمـره فرطـا﴾ بـالطبع حقيقة هؤلاء الكفار ليس لهم ضابط في أمورهم، يمكن لو جلس النبيﷺ ولبى هذا الطلب الذي طلبوه لقالوا للنبيﷺ لا تجالسنا فإننا لا نريد ذلك، وهذا أمر حقيقي، لهذا كان المولىﷻ يعلم هذه الأمـة ويعلـم حبيبنا محمدﷺ أن يجتهد كل الاجتهاد في تـصحيح أوضـاع أتباعـه والمجالـسة معهـم وإدخـال الـسرور عليهم وشد أزرهم ولا يتبع أولئك القوم الذين أغفـل الله قلـوبهم عـن الـذِّكر وجعلهـم أتباعـاً للهـوى وكانت حياتهم كلها ضياعاً وهلاكاً، واتبع هواه وكان أمره فرطـاً، والمقـصود بـالأمر الفُـرُط: أي الأمـر الذي ليس له ترتيب الأمر الضائع، والمقصود بالأمر أي كل سلوك أولئك الناس ليس له ضـابط شرعـي ولا أدب مرعي وإنما كلها والعياذ بالله أعمال تؤدي إلى الهلاك المالي والحـال والـضياع في الـدنيا والآخـرة والدمار في حياة الفرد والمجتمع، كلام عظيم، يوصي به الله نبينا وحبيبنا محمدﷺ وهي خير وصية، ومـن لم يتأدب بأدب الوصايا في القرآن عسى من أيـن سـيجد الوصـايا والآداب؟ وانظـروا إلى هـذا التأديـب والتوجيه القرآني الذي ينزل على نبينا وحبيبنا محمدﷺ ليرغبه في مجالـسة المـؤمنين مـن أصـحابه، قـالﷻ مشيراً إلى عظمة هذه الدعوة وإلى شموخ منهج السماء مهما ظـن الكـافرون أو اعتقـد أولئـك الفاسـقون سلامة منهجهم: ﴿وقل الحق من ربكم﴾، يـا محمـد: عليـك أن تخـبر النـاس وتنـذرهم وتـدعو أولئـك الغافلين الذين شغلوا أنفسهم بالناس وبمراتبهم الاجتماعية وظنوا أنهم أفضل من عمار بن يـاسر وبـلال بن رباح وصهيب، وظنوا ان مظاهر ملابسهم وحياتهم وأشكالهم مع عدم وجود الإيمان فيهـا ظنـوا أنهـا تمثل شيء وأنهم يشعروا في أنفسهم بالكبر من مجالسة بسطاء المسلمين ﴿قل الحق من ربكم﴾ هذه الدعوة التي دخل فيها البسطاء والفقراء هي عين الحق، وقل الحق من ربكم ومن أراد أن يسير مع هـؤلاء الـذين آمنوا بالحق ونصروه فتلك نعمة، وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن، أولاً يؤمن بـالله، فـإن آمـن بـالله عليه أن يكسر نفسه ويميت الكبر الذي يظهر في ذاته وأن يدخل في طائفة أهـل الإسـلام سـواء كـانوا في مستوى من الجاه والشرف أو كانوا من الناس الذين يأبى أهـل الكـبر والعجـب مجالـستهم فـإن الإيـمان يساوي بين الناس ويجعل كل إنسان قيمته ظاهرة بإسلامه وإيمانه وإحسانه، وأنتم أيها الكفار – كما يقـول

المولى – الغافلون عن ذكر الله المتبعون للهوى الذين صار أمركم فُرُطا ليس لكم ضوابط شرعية في الوجود من شاء منكم أن يدخل في هذه الدائرة المباركة فليؤمن حتى ينال بركة الإيمان، فيجد شرف الاتباع، ومن شاء فليكفر، ومن لم يعجبه هذا النظام وهذه المحبة والمجالس التي عقدها رسول اللهﷺ للفقراء والمساكين فلن يضر الإسلام كفره، فليكفر، والمسألة مسألة اختيار ولكنها ليست مسألة اختيار مطلق، بل هذا أمر في حقيقة وعيد وإنذار وتخويف لهم، وإشعار إلى أن الله قد أبرز الحق وأظهره وأن هؤلاء أهل الغفلة ليسو بشيء وحججهم داحضة وأن المولى يناديهم فيقول: إذا أردتم السلم والنعمة في هذا الوجود فآمنوا كمن آمن، وإن لم فاكفروا واعملوا ما شئتم فهذا الوجود موقع عمل وليس من جزاء له إلا في الآخرة، ماذا في الآخرة وماذا أعد الله لهؤلاء أهل الغفلة، وماذا أعد لأهل الكبر؟ وماذا أعد لمن اتبع الهوى، وماذا أعد لهؤلاء القوم الذين ليس لحياتهم ضوابط شرعية؟ قالﷻ ﴿إنا أعتدنا﴾ أعددنا ﴿للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ لا إله إلا الله، انظروا كيف يصور الحقﷻ ما أعده من وعيد وإنذار شديد لهؤلاء الكفار الذين ضحك الشيطان عليهم وعبث بعقولهم ووسوس لهم حتى سيطر على مبادئهم وتوجهاتهم، فقال لهم المولى: آمنوا وإلا استعدوا، إنا أعتدنا للظالمين والمقصود بالظلم هو الخروج عن دائرة الشهادة والإيمان والاتباع لسيدنا محمدﷺ فهؤلاء قد ظلموا أنفسهم وظلموا دنياهم وما منحهم اللهﷻ من العقل والفكر، إنا أعتدنا للظالمين.. سرادقها، والمقصود بالسرادق: السور، ويقول المولى إننا هيأنا للكافرين بالله ورسوله سواء كانوا في ذلك العصر أو عصرنا هذا إلى قيام الساعة هيأ لهم المولى ناراً حامية، شديدة الحرارة، أحاط بهم سورها، كإحاطة السوار بالمعصم، عندما تلبس المرأة السواء يحيط بالمعصم فشبه اللهﷻ إحاطة النار بالكفار يوم القيامة كما يحيط المعصم أو كما يحيط السوار بالمعصم، أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يوم القيامة بالطبع انتقل الكلام الآن من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، فقد كانوا في الدنيا يتحكمون ويتهكمون يأتوا إلى رسول الله ويقولون إذا أردتنا أن نسلم ونؤمن أو تريدنا أن نجمع لك الناس كي يسلموا ويؤمنوا فابعد عنك هؤلاء الفقراء واجلس معنا لوحدنا، قال المولى عن الآخرة هؤلاء الذين ما آمنوا وكفروا والعياذ بالله سيأتي لهم عذاب يوم القيامة يحيط بهم، فيصيحون ويستغيثون وترتفع الأصوات ويخاطبون ربهم وينادونه أن يرحمهم ويغيثهم من العطش فماذا يقول المولى على هؤلاء الأصوات التي ستظهر يوم القيامة قال: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل﴾ إذا استغاثوا من شدة العطش وصاحوا في جهنم يطلبوا الماء قال المولى يغيثهم ويستجيب لهم ولكن يغيثهم بماء شديد الحرارة كالنحاس المذاب والعياذ بالله، أو كعكر الزيت المحمى، كلما قربت لهم الأواني التي ملئت بهذا الزيت وبهذا الحميم ليشربوا منه تشوي الوجوه، وجوههم تشتوي حتى ورد في الصحيح إذا قرب منهم ذلك الماء من شدة

الحر سقطت فيه فروة الوجوه، أي سقطت في هذا الماء الجلدة التي تكون على ظهر الوجه من شدة الحرارة، لأن الحرارة تشهفها شهفاً وتسقط الجلدة من قوة حرارة ذلك الماء الذي يعرض على أولئك الذين يستغيثون من شدة الظمأ فيغيثهم الله ﷻ بماء كالمهل أي كالنحاس المذاب إذا سلط الإنسان الحرارة على النحاس يصبح نحاساً مذاب فيكون في جهنم والعياذ بالله الماء الذي يشربه أولئك كالنحاس المذاب يشوي الوجوه إذا قرب منها، انظروا كيف المولى ﷻ يشير إلى الذم إلى ذم الماء ويشير إلى ذم عقول هؤلاء الذين رفضوا شراب النعمة رفضوا الجنة والدعوة والمعايشة لبسطاء المسلمين وتكبروا في أنفسهم وتجبروا على طوائف الإسلام، فانظروا كيف مصيرهم يوم القيامة بئس الشراب الذي يشربون وساءت مرتفقاً، أي بئس الشراب الذي استغاثوا فأغيثوا به، وبئس المنزل الذي نزلوه، وبئس المطلب الذي طلبوه وهو أنهم رضوا بجهنم، فاشتروا لأنفسهم موقعاً فيها وهم في الدنيا لما رفضوا أن يؤمنوا ويثيبوا ويرجعوا ويدخلوا في دائرة أهل لا إله إلا الله، ثم قال ﷻ بعد أن أبرز لنا هذا الموقف الخطير والمخيف من حال جهنم وما فيها من هذا الماء الحميم من هذا الشراب الذي وصفه الله ﷻ بأنه كعكر الزيت المحمى يشوي البطون يشوي الوجوه أراد الله أن يبشر المؤمنين من أمثال أولئك الذين خاطب الله حبيبنا ونبينا محمد وأمره أن يجلس معهم وطلب أن يكون دائماً بينهم ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ قال: ﴿إن اللذين آمنوا بالله﴾ آمنوا بالله ورسوله والدعوة وبكل ما جاء به النبي ﷺ ولم يعترضوا على شيء ولم يمتنعوا عن مجالسة بسطاء المسلمين ونشروا المحبة فيما بينهم والسلام، أقاموا قواعد الشريعة في حياتهم ماذا لهم؟ إن الذين آمنوا والمقصود بالإيمان الشهادة بالله يشهد ويعتقد بأن الله معه، دائماً يعلم خائنة الأعين وما تخفيه الصدور، كان لهذا الإيمان منشأ المراقبة والمحاسبة للنفس ثم عملوا الصالحات فلابد من العمل الصالح، فالإيمان وحده لا يكفي، لابد أن يكون مع الإيمان عمل، فإذا آمن الإنسان بربه وبما جاء به هذا النبي الكريم فعليه أن يشمر في العمل، فإن هناك من العمل ما هو واجب ومندوب والذين آمنوا وعملوا الصالحات ماذا لهم؟ ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ كل من عمل الأعمال الصالحة والخير وأحب أمة لا إله إلا الله وصنع في هذا العالم صنيعاً لله فإن الله ﷻ لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وهذه إشارة يشير بها المولى إلى حال السعداء في هذا الوجود، فالله خلق خلقاً للجنة وخلقاً للرحمة وخلقاً للمغفرة، كيف يفعلون تكون حياتهم وسلوكهم الخاصة والعامة البحث عن رضا الله والأعمال الصالحة والابتعاد عن كل ما يضرهم في أمر الدين والدنيا، هؤلاء هو حالهم حال الصالحين، ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾أي أننا نحصي كل شيء ونكتبه ونصوره وكل شيء فعله الناس محفوظ، رقيب وعتيد يكتبون، والله فوق ذلك شهيد، وكل عمل يعمله الإنسان المؤمن وغير

المؤمن محصي ومحسوب عليه، فالله لا يضيع أجر المسلم، وقد ينسى الإنسان عملاً صالحاً فتصدق ونسي أو عمل الشر أو المعصية ونسي يقول الله ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ قال ﴿وكل إنسان ألزمناه طائراً في عنقه... عليك حسيباً﴾ كل شيء فعله الإنسان مكتوب ومحسوب ومرقوم عليه، ولهذا أمرنا الإسلام أن نكثر من الإيمان والعمل الصالح ومجالسة أهل الخير ونعود ونتوب إلى الله ونستغفر المولى ونكثر من ذكره والصلاة على حبيبه محمدﷺ ونحرص ألا يفوتنا شيء من أعمال الخير، لأجل أن ندخل في هذه الدائرة، ﴿إن الذين آمنوا.. أحسن عملاً﴾ وقال من أحسن وليس من أساء، فالعمل قد يكون والعياذ بالله أحياناً عمل إساءة حتى أعمال الطاعة قد يصلي الإنسان صلاة سماها النبي المسيء صلاته الذي لا يصلي صلاة تامة ولا يعمل العمل الصالح بطريقة تامة هذا لا يحسن العمل، وأما من أحسن العمل والمقصود بالإحسان أن يتصرف التصرف وفق المراد المطلوب المدعو إليه مما جاء في الشريعة التي جاء بها النبيﷺ فالذين يحسنون الأعمال ويتمونها كما ينبغي أولئك لهم عند الله جزاء، وهذا الجزاء جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً، هذا البسط العجيب والعرض الجميل الذي يحرض الله في قلوب المؤمنين والمؤمنات للأعمال الصالحة والرجوع والإنابة يفتح لهم باباً عظيماً من أبواب الرضا لأن الله لا حدود لرضاه فإن رضي على عبد فتح له أبواب النعمة في الدنيا والآخرة، فقال إن هؤلاء الصالحين الذين صح إيمانهم وكثر عملهم الصالح هنالك في الآخرة لهم جنات وليس جنة واحدة بل جنات، وهذه الجنات جمع جنان، والجنان جمع جنة، لأن جنات جمع الجمع، هذه الجنات وسميت لأنها كثيفة الشجر والخضرة والأعشاب ودائماً مستورة لكثرة ما فيها من النعم والخضروات والعشب والشجر وغير ذلك مما يتناسب مع مدلول الجنة، ولا يستطيع إنسان أن يصف الجنة مهما أوتي من العلم لأن دائرة الجنان التي يتكلم عنها القرآن صعب جداً وصفها ولا يمكن سواء لعالم أو حتى إنسان يتصور أو يتخيل ماذا في الجنة لا يستطيع أن يصف لأن الحبيبﷺ يقول عن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فإذا كانت الجنة على هذه الصفة لم ترها العين ولم تسمع بها الأذن ولم تخطر أصلاً على قلب إنسان أي لا تدخل تحت دائرة التصور الذهني أصلاً، حتى ما وصفه الله في القرآن هو تقريب للمعنى فقط، وإلا لما يقول جنات عدن تجري من تحتها الأنهار فماذا نفهم عن الأنهار؟ نحن نفهم مثل نهر النيل أو دجلة أو الفرات أو السيول التي نعرفها، لا، تلك جنات فيها أنهار نوع آخر صفة أخرى لا تخيف ولا تفزع لا صوت فيها يخيف ولا منظر يفزع، لكنها نعم وعطايا وجنات تجري من تحتها الأنهار مظهر من مظاهر الجمال والنعم التي يمن الله بها على المؤمنين، والعجيب أنه قال جنات عدن، والمقصود بعدن

واحدة من المراتب الثمانية في ذلك العالم، لأن الجنة لها عدة مراتب كل مرتبة لها أناس، وكل جنة داخلها جنات، فلما قال جنات عدن أي أن المرتبة التي هي جنة عدن داخلها جنات عديدة، جنة الفردوس داخلها جنات عديدة، جنة الخلد داخلها جنات عديدة، جنة النعيم، وهكذا الجنة مجموعة جنان وكل جنة من تلك الجنان متفرعة فيها من جنات الحقﷻ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولأن عطاء الله عظيم ومنح الله كبير والوعد الذي وعده الله لأهل لا إله إلا الله لإسلامهم وإيمانهم وإحسانهم يجعلهم يستمتعون بهذا العطاء منذ أن يموت الإنسان بل أن البعض يريه الله مقعده وعاده في الدنيا، كثير من الناس الصالحين يرى مقعده في الجنة وعاده في الدنيا ويرى القصور والحور، هذا تعجيل من اللهﷻ للنعم حتى يتشوق لعالم الآخرة، ولذلك كان الصالحون يتشوقون للآخرة وللموت والانتقال من الدنيا لما عندهم من الأعمال الصالحة أما نحن ما عندنا أعمال صالحة لهذا نفزع ونخاف ولا نستطيع أن نقابل مولانا، ماذا عندنا من العمل حتى نقابل مولاناﷻ؟ لكن الأمل في الله كبير والمطلب الذي نطلبه من اللهﷻ الملك الوهاب أن يغفر لنا أجمعين ويدخلنا في دائرة هؤلاء الرجال الذين وصفهم اللهﷻ بالإيمان وبالأعمال الصالحة نقول اللهم يا من وفق أهل الخير للخير وأعانهم عليه وفقنا للخير وأعنا عليه، فهو المعين وهو المعطيﷻ فما دام قد عرض علينا هذه الجنان ومنها جنات عدن تجري من تحتها الأنهار نسأله أن يحلنا وإياكم تلك الجنان ويجعلنا من أهلها، ثم قال يحلون فيها، أي يلبسون يلبّسون من الحلية والحلي أساور يلبس الرجال والنساء في الآخرة الأساور وليس فقط للنساء النساء في الدنيا المرأة في الدنيا يصح لها أن تلبس الذهب أما الرجل فلا يجوز له أن يلبس الذهب لكن في الآخرة يلبس الذهب، فيحلون في الجنة أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس في بعض الروايات أنهم يلبسون أساور من ذهب وفضة ولؤلؤ كل هذا مظهر من مظاهر الطاعة في الدنيا منحهم اللهﷻ مثلها وشبهها من الخير والنعيم المقيم في الآخرة.

ثم انظروا بارك الله فيكم إلى هذا المطلب العجيب لما قال المولى ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب... وإستبرق﴾الآخرة ما توجد فيها مثلاً مكائن خياطة أو سوقاً للملابس أو أقمشة ثم تخيط فمن أين يلبسون في الجنة؟ ورد في الحديث أن اللهﷻ يعطي كل مسلم في الجنة من مساحات الأرض ما لا حدود لها، المؤمن يعطى أشياء عظيمة وكبيرة لا يتسع المجال لذكره من حيث مسافتها حتى أن الفقير في الجنة يعطى مثل الدنيا كلها عشر مرات، أنظروا الكرة الأرضية يعطوك مثلها عشر مرات، ماذا سيفعل بها؟ لأننا في الدنيا يتمنى يعطى أرض أو بيت أو مساحة قريبة، أما في الجنة يعطى مثل الدنيا عشر مرات هذا الفقر، أما الغني فلا شك أن الله يعطيه من الأرض والعطاء مالا يحد ولا يحصى، وهذا يتناسب مع حجم

الإنسان، فالعبد الصالح في الآخرة يتضخم جسمه فيبلغ في الطول ستين ذراعاً وفي العرض ستة أذرع، فإذا كان في هذا الطول فلن يكفيه بيت مثل هذا البيت ولا تكفيه مسافة كهذه المسافة ولأجل يزداد في التنعم والراحة يعطيه الله ﷻ هذه البسطة في الجسم والأرض، فعلى سبيل المثال: يكون الواحد مننا مثلاً عاش مائة عام أو خمسين أو تسعين، لكن بعض الناس ما يعرف جده ولا جد جده، وفي الآخرة يلتقي بجده وجد جده وأسرته كلها فيستضيفها يطلبهم ضيافة، وكل واحد طوله ستين ذراع وعرضهم ستة أذرع، فأين ستسعهم الأرض التي يريد أن يجلسهم فيها؟ لهذا أعطى الله ﷻ الناس هذه المساحات عندما يستضيف الإنسان أهله من عهدنا الآن إلى القرن الأول مثلاً كلهم أسرة آل فلان يجمعهم عنده في مكان واحد، لابد يكون يهيئ لهم مواقع الضيافة والمنازل والراحة، لهذا منح الله ﷻ العبد في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بل خضرة الجنة أخرى، ومادة نسيج الجنة أخرى، حتى ورد في الحديث أن كل مسلم تنبت له أشجار بجانب بيته في الجنة يسمونها أشجار اللباس، فأي لباس يتمناه أو يرغب فيه أو يحبه هذه الشجرة تخرج له هذا اللباس، فإذا كنا في الدنيا لأجل اللباس نستخرج القطن وهو شجرة، والواحد يستغرب كيف في الجنة شجرة تخرج لباس؟ من صنع لنا شجرة القطن؟ ألبس القطن عبارة عن نسيج أبيض يتحول إلى خيوط، فالذي صنع هذا القطن في الدنيا لنا لأجل أن نخيط منه اللباس فقد جعل في الجنة أشجاراً خرج اللباس جاهز، مباشرة يخرج الولد أو المرأة إلى الحديقة في الجنة أو يأتيها الثوب إلى عندنا على مرادها ورغبتها، هكذا ورد في الأحاديث عن النبي ﷺ يلبسون ثياباً خضراً من سندس، بالطبع السندس والحرير والديباج والإستبرق كلها أنواع من الملابس التي تستخرج سواء كانت من الأقطان أو من شجر خاص أو من دودة القز، لكن الجنة فيها دود قز ولا قطن ولا أشجار ديباج كالدنيا، لكن يأتي بها الله على هذه المسميات وهي ملابس فاخرة لا يمكن أن توصف، لهذا ورد في الحديث أن سيدنا سعد بن معاذ لما مات في عصر النبي ﷺ في المدينة قال لهم النبي ﷺ: «لمناديل سعد بن معاذ خير من الدنيا وما فيها»، وفي الحديث الآخر: «لو أن امرأة من الحور ألقت بخمرها» كما تسمونها المقرمة «لو ألقت بخمرها على أهل الدنيا لماتوا شوقاً إلى ما رأوا وما شموا من رائحتها» فالجنة على خلاف ما في الدنيا أصلاً فلا تنطوي تحت دائرة العقل، ولكن ينظر الإنسان إلى بسط المولى لهذا العطاء ﴿ويلبسون ثياب من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك﴾ المجالس الواسعة المريحة متكئين لأنهم ماهم مشغولين بشيء، حتى الصلاة معادشي صلاة في الجنة ولا شي يشغلهم لا مزارع ولا مطابخ ولا تشغل المرأة شيء من شواغل الدنيا بل حتى الحقد والحسد والغل والعجب والرياء والأمراض التي أتعبت الناس في الدنيا قال المولى ﷻ: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر

متقابلين﴾ هكذا الجنة، فالجنة دار جزاء والدنيا دار ابتلاء، فإذا أراد الإنسان أن ينال نصيبه من هذه الجنـة ونسأل اللهﷻ أن يجعلنا من أهلنا يصبر على الابتلاء في الدنيا ويطلب من الله العون فيعينه الله على مراداته، لهذا يقول ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ والأرائك السرر الذهبية المزينة بالثياب والستور، قال ابن عباس: الأرائك الأسرة من الذهب مكللة بالدر والياقوت عليها الحجال أي مظهر من مظاهر الـذهب والفـضة والأريكة الواحدة ما بين صنعاء إلى إيلاء مسافة بعيدة جداً أن تكـون منطقـة في صـنعاء إلى الـشام هـذه الأريكة الواحدة التي يجلسون عليها مسافة عظيمة لكنها تتناسب أولاً مع كرم الله وما أعطى اللهﷻ أهـل الإيمان في الجنة من الراحة وأهل النار يكون جسمهم أضخم من أهل الجنة، لهذا أولئك لأجـل أن تـزداد جهنم في تعذيبهم وأما في الجنة لأجل يزداد التنعم والراحة لما يمنحهم الله من العطـاء الكبـير والأجـساد الكبيرة، ﴿نعم الثواب﴾ كما سمعتم في الآية الأولى بئس الشراب على الكفار هذا اسـم فعـل هـذا ذم لمـا طلبوه الكفار بئس الشراب وساءت مرتفقا لهم النار التي رضوها لأنفسهم، أمـا المـؤمنين نعـم الثـواب، لأنه عمل خير وخدموا الحقﷻ وصدقوا مع الله، أي نعم ذلك جزاء المتقين الذين صـبروا في الـدنيا عـلى الأعمال الصالحة وحسنت مرتفقاً هذا مقابلة هناك قال بـئس الـشراب وسـاءت مرتفقـاً وهنـا قـال نعـم الثواب وحسنت مرتفقاً لأن فعل الكفار سيئاً فكان مصيرهم إلى السواء، وأهل العلم والخير والدين كان عملهم خير فكان لهم نصيب من الخير نعم الثواب ما منحهم الله من المراتب والعطاء من النعيم في الجنـة وحسنت هذه الجنة والمراتب مرتفقاً أي مكاناً ومنزلاً، هكذا بينت آيات اللهﷻ عطائه ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة وأن يخصنا وإياكم بالفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والـصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك وكفى بالله علـيماً، ونـسأل اللهﷻ أن يوفقنـا وإيـاكم للانتفـاع والبركـة والخـير الظاهر والباطن وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لأحدهما جنتين... خيراً منهـا منقلبـاً... ولا أشرك بـربي أحـداً... لم أشرك بربي أحداً... وما كان منتصراً﴾ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العلـيم الحكـيم، مـن سـورة الكهف نواصل تفسير الآيات المباركات، اللهﷻ علم ضعف العقل الإنـساني والفهـم البـشري أن النـاس يحتاجون إلى تبسيط المسائل وضرب الأمثلة حتى يفهمون المقصود من مراد اللهﷻ ويتفهمون معاني عطـاء اللهﷻ لهم، والقرآن مملوء بضرب الأمثلة والأمثلة هي عبارة عن حكاية أو قصة تصور حالة مـن حـالات الناس وما يعيشوه في هذا العالم ثم يستخلص من هذا المثال غاية أو هـدف يريـد اللهﷻ أن يقـرر بـه أمـراً بآياته، وكما سبق معنا في سورة الكهف القصة التي بينت خبر الفتية الذين عذبوا وأوذوا ثم خرجـوا مـن

بيوتهم وديارهم وبلدهم ثم أووا إلى الكهف فكانوا رمزاً للإيمان ولحقائق التوحيد في العباد ورمزاً للـذين يتركون الحياة الدنيا في سبيل قوة علاقتهم بربهم.

وفي هذه القصة أو المثال الآخر يضرب الله ﷻ لنا مثلاً جديداً: والمثل الجديـد هـو يـصور لنـا رجلـين ضرب مثلاً برجلين أحدهما مؤمن والآخر كافر، ﴿جعلنا لأحدهما.. بينهما زرعاً﴾ أي أعطى الله ﷻ لأحد هؤلاء جنة والمقصود بها الموقع الذي فيه الفواكه والخضروات كالمزرعـة أو البـستان أو مـا شـابهها مـن المواقع التي توصف بأن فيها الأعناب والنخل والزرع وغير ذلك مـن مظـاهر النبـات، فكانـت واحـدة للمؤمن وواحدة للكافر، ولذلك قال المولى ﷻ تلك الجنتين آتت أكلها، يعني هذين البـستانين كـل مـنهما على حسب جهد صاحبه وخدمته لأرضه أظهرت النبات والكلأ والعشب والثمر، ولم تظلـم منـه شـيئاً، أي لم ينقص كل منهما ما احتاج إليه أو ما زرعه، فكل واحدة أخرجت ثمرها يانعاً كاملاً في غايـة الجـودة والطيب، ولم ينقص من ثمرهما شيء، وفجرنا خلالهـما نهـراً، أي جعـل الله ﷻ نهـراً يـسير بـين الحـديقتين ليسقي حديقة المؤمن والكافر وكان له ثمـر أي كـان للكـافر ثمـر في جنتـه أو مزرعتـه أو بـستانه، فقـال لصاحبه وهو يحاوره جرى بينهم نقاش وجدال حول حسن الثمر وحسن الإنبات: ﴿أنا أكثر منـك مـالاً وأعز نفراً﴾ هذا الكافر يعتز بما لديه من نبات وثمار ومحـصول في ذلـك الموسـم، فجـادل المـؤمن مخاصـماً ومفتخراً أنا أغنى وأشرف منك، وأكثر منك أنصاراً وخدماً ومالاً وثمارا، وكانت هذه والعياذ بالله نزعـة من نزعات الكفر حيث يفتخر على من هو مثله يشرب من نفس الماء الذي يشرب منه ويـستقي وكلاهمـا يملك جنتين في مكان واحد وأرض واحدة وظروف متشابهة، لكن عندما يعتز الإنسان بالإثم كما قال ﷻ: ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ أظهر الله ﷻ صورة الطغيان في هذا التحدي والكلام الذي جرى على لسان الكافر ضد المؤمن، وبالطبع هذه الآية تبين لنا أنه بالإمكان أن يسمى صاحباً ولو كان غير مسلم، فالقرآن يقـول ﴿وكان له ثمر فقال لصاحبه﴾ وليس المقصود هنا صحبة الإيمان والعقيدة لكنها صحبة الزمـان والمكـان والمجاورة، وبالإمكان أن يقال للكافر صاحب من حيـث المجـاورة في الزمـان والمكـان والعمـل، وهـذا يختلف عن المعنى الآخر من حيث الصحبة وهي صحبة النبي ﷺ العقيدة مثل النبي له أصحاب فاولئـك أصحاب أولو درجات، ولهم مدلول في معنى الصحابة ومعـروف عنـدنا في التعريـف أن الـصحابي مـن اجتمع بالنبي مؤمناً ومات على الإيمان، فيعني أن الصحبة بالنسبة لأصحاب النبي ﷺ ذات معنى شرعي، وأما بالنسبة للآية فإن كل من عايش مع إنسان أو جاور أو تعامل معه يسمى صاحباً مـن حيـث الزمـان والمكان والمجاورة، قال الكافر للمسلم يتفاخر عليه بأن معه شيء من العز والـشرف بـما نالـه مـن الـثمار الطيبة ولما عنده من العزة بالمال، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه، أي دخل هـذا الكـافر إلى جنتـه ومزرعتـه

وهو يفتخر يطوف فيها وينظر ما فيها من أزهار وأثمار يريد أن يثير صاحبه ويغضبه ويحصل عنده نصيب من الغيرة، فورد في التفسير أنه أخذ بيد صاحبه وبدأ يطوف معه في المزرعة أو الحديقة ويقـول لـه أريـك لك ما في مزرعتي من أشجار وأثمار وما فعلت وصنعت وما خدمت فانـا أكثـر منـك عـزاً ومـالاً ونفـراً وأتباعاً، لذلك وصفه الله ﷻ بالظلم لأنه ظالم لنفسه، فهو لم يعرف حقيقة خلقه، فهو ليس له حق في الكبر فقد ظلم نفسه، فالنفس لا ينبغي أن تتكبر أو تتعالى ولا ينبغي للإنـسان أن يعجـب بذاتـه، لأن الإنـسان بذاته ضعيف، والعجب الذي ورد إليه ليس من حيثياته لـيس مـن قدرتـه ولكـن ممـا أعطـاه الله في هـذه الأرض والجنة من الثمار والنبات، فلم يكن ذلك منه هو حتـى يعجـب بنفـسه وإنـما ذاك مـن عطـاء الله، فلذلك قال ﴿فدخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾ بهذا الطغيان والفخر والخيلاء الذي لا مجال له، وتجاوز هـذا الكافر الحد عندما قال لصاحبه: ﴿ما أظن أن تبيد هذه أبداً﴾ ما أعتقد أن هذه المزرعة سـتنتهي، أو تفنـى أو تضمحل لأني خدمتها وأحسنت بنائها وخدمتها فأعتقد أنها لن تفنى على الإطـلاق إلى قيـام الـساعة، ومع ذلك هذا الكافر الذي لم يكن يعرف حق الله وحق الذي معه من النـاس وهـو المـسلم صـاحبه قـال أيضاً ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ وهذا أيضاً تدخل في أمر زائد عـن الحـد المطلـوب مـن الإنـسان فكـون الإنسان يمنح الحياة ويمنح الأرزاق والقدرة على البنـاء والزراعـة والإنبـات لا ينبغـي لـه أن يتـدخل في الشؤون الخارجة عن دائرة وعيه، لكن دائماً الكافر والعيـاذ بـالله لـسوء معرفتـه وتقـديره يتجـاوز الحـد فضرب الله ﷻ في هذا الكافر الذي منحه هذه الجنة وأطاب له فيها المـاء والهـواء والغـذاء وكـل الأسـباب فجاء يتحدى صاحبه المؤمن ويقول أنا أفضل منك وأحسن وحياتي أرغد من حياتك ثم يقول مـن رأسـه وليس من حقيقة مبنية: هذه المزرعة والحياة التي صنعتها ستبقى إلى أبد الآبدين، ويتحدى ربه بعـد ذلـك حتى هذه الساعة التي تقولون أنها ستأتي ما أظنها قائمة، ما في شيء اسمه آخرة ولا موت ولا حساب ولا عقاب، ثم يقول ساخراً حتى كما تقولون أيها المؤمنين أن هناك حـساب وآخـرة وسـتأتي الـساعة ﴿ولـئن رددت إلى ربي﴾ إذا جئت يوم القيامة ﴿لأجدن خيراً منها منقلبـاً﴾ سـأكون في عـالم آخـر كـما مـنح هـذا العطاء ومنحت هذا المال والجنة سيكون لي مثلها غداً عندما أنتقل إلى العالم الآخر أو عالم القيامـة، وهـذا كله على سبيل الفرض، الفرض يعني التقديرات المبنية على الوهم والزعم، وليس على الحقائق، فـالمولى ﷻ يدحض هذه الرؤية ويكلمنا عن كل الكفار في كـل زمـان والخـارجين عـن دائـرة الأديـان فـيما يفعلـون ويصنعون كما ترون الآن ما يعمله الكفار من الاختراعات والاكتـشافات والعلـوم النظريـة ولا يؤمنـون بالله ويظنوا أن الحياة ستدوم وستبقى ويحاربون أهل الإيمان والإسلام والدين والأخلاق الـشرعية وكـل ما جاء به السنة النبوية ويريدوا أن يحللوا أخلاق الأمم ويجعلوا المسلمين تبعاً لهم في كـل شيء، هـذا هـو

المثال يضربه الله في هذه العصور المتشابهة والصراع المتشابه والتحولات المتقلبة في كل زمان فيما يحصل بين أهل الإيمان والكفر، قالﷻ مخبراً عن هذا الرجل الذي بلغ به الكذب والكفر والطغيان أنه حتى يظن أنه سيأتي يوم القيامة فيستخلص لنفسه مكان في الجنة وسيجد في الآخرة جنان وراحة ونعيم ومال كما وجده في الدنيا، فرد عليه صاحبه المسلم بحكم العلم اليقيني الذي يعلمه والمعرفة الشرعية التي تلقاها عن الأنبياء: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره... من تراب﴾ كيف أنت أيها الرجل الكافر الذي منحك اللهﷻ نعمة الخلق، فكنت إنساناً تعيش في العدم بل كنت غير موجود فخلقك من تراب أخرجك من عنصر آدم ثم نطفة ثم سواك رجلاً، أنت بشر تنقلت في أطوار كنت في العدم ثم صرت تراب ثم نطفة ثم تقلبت في عالم الأجنة إلى عالم الحياة بعد الوضع ثم صرت رجلاً، فلم تكن أنت منذ اللحظة الأولى تملك عقلاً أو مالاً أو حساً، فجئت لا تملك شيء وولدت في هذا العالم مجرد عن كل شيء، فكيف تتحدى ربك وتكفر بالذي خلقك من التراب ثم في هذه الأطوار حتى صرت رجل؟ لكنا هو الله ربي، أي لكنا أنا المسلم المؤمن الذي تعلم علم العقيدة والشريعة وتأدبت بادب الإسلام أؤمن وأصدق بأن الله ربي ولا أعتقد أن هناك في هذا الوجود والعالم من يمنح مال أو أتباع وعزة إلا من الله وإلى الله، ولا أشرك بالله ولا أعتقد أن هناك من يمنحني الحياة والغنى والخير أو يبعد عني الشر غير الله، هذه حقيقة التوحيد في هذا المؤمن الذي صار يحاور ويجادل هذا الكافر، وبعدها قال له ولولا إذا دخلت جنتك فهلا حينما دخلت جنتك ورايت مزرعتك وهذه الأشجار الظليلة والماء الوفير والعطاء الكبير كان ينبغي لك وأنت عبد وإنسان ضعيف يوم من الأيام تملك وفي آخر تهلك، فكيف كان ينبغي لك وأنت قد دخلت جنتك لتريني إياها وتفاخر بها أن تقول قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله أي هذا الأمر الذي أنا فيه والعطاء الذي وصل إلي وهذا المنح الذي أعجبني من أشجار الجنة وما فيها هو من عند الله وبمشيئته فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا تعني أن هذه جاءت بقدرتك وبكدك ولا سعيك وإنما من عند الله لا قوة إلا بالله ولا قدرة لنا على طاعة ولا عمل أو إنتاج أو إبداع إلا بتوفيق من اللهﷻ ومعونته، كان ينبغي لك على هذا الأدب أيها الكافر، وانظر إلي كيف سلوكي كيف حياتي إن ترني أنا أقل منك مالاً وولداً؟ فهذا من عند الله فهو المعطي الذي أعطاك الكثير وأعطاني القليل فأنا راض ولست بحاجة للمفاخرة والمكاثرة وهذا إبراز لأدب الإسلام في المسلمين فالمسلم لا يفاخر ولا يتفاخر ولا يتباهى ولا يتكاثر وقد أخبر اللهﷻ عن الدنيا كلها قالﷻ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء... وفي آية وصف الدنيا ﴿إن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر... والأولاد﴾ فبين اللهﷻ حقيقة الوجود أن كل شيء منه سواء أعطاك ولد أو عشرة أو بعضهم يعطيه ذكور ولا يعطيه إناث والبعض يعطيه إناث ولا يعطيه ذكور، وبعضهم لا إناث ولا ذكور يجعله

عقيماً، فهذه كلها من عند المولى هو المعطي والمانع والآخذ وكل شيء منه وإليه، وهذه عقيدة الإنسان المؤمن ﴿إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً فعسى ربي...﴾ أرجو مولاي ومؤمن لست أفاخرك ولا أكاثرك ولست بحاجة للتأثر بما معك فعسى أن يؤتيني خيراً من جنتك فالجنة التي معك والتي تملكها والعلم الذي تفاخر به ومظاهر الحياة التي أنت تتمتع بها في الوجود فمولاي قادر على أن يؤتيني خيراً من جنتك ودنياك ومظاهرك وعلومك، هذه حقيقة الإيمان، وربما يقول له وأنت تكذب على ربك وتطغى والعياذ بالله فتفاخر ولا تصح لك المفاخرة لعل الله يرسل عليك حصبان من السماء ﴿...﴾ والمقصود بالحصبان الآفة والعلة أو المرض أو الصواعق أو أي آفة من عند الله ﷻ تسمى حسبانية لأنها تأتي مبنية على تقدير الإله ﷻ في مسائل مبنية على الأسباب وتفسير الظواهر، فالصواعق لها أسباب والرياح والحريق وكل شيء يحصل في الوجود له أسباب، فقد يجري الله ﷻ سبب من الأسباب فهذه جنتك التي تفاخر بها تصبح لا شيء، ودنياك التي تزهو بها ربما أصبحت لا شيء ﴿فتصبح صعيداً زلقاً﴾ صعيداً أرضاً قفراً لا يوجد فيها شيء ملساء جرداء لا نبات فيها ولا شجر، هكذا يقول المؤمن للكافر، ويقول أيضاً ﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ وربما مولاي ﷻ وهو القادر على كل شيء ان يصبح الماء الذي أنت تزرع به وتسقي به الأرض وتفاخر بها ربما يصبح هذا الماء غور أي يجف جفافاً كاملاً فلن تجده ولن تستطيع له طلباً يتلف كل ما في الأرض من الزرع والشجر ولا تستطيع أنت أن تدافع عنه أو تسقيه أو تعيده إن مات، هذه كلها إشارات عجيبة لما يدور في هذا العالم من صراع بين حقيقة الإيمان وطغيان الكفر.

وانظروا كيف يقرب المولى لنا المعاني، لأجل نعلم أن الصراع بين الإيمان والكفر دائم، وأن الجدال بين المؤمنين والكفار مستمر، وأن الكفار دائماً يتفاخرون ويتكاثرون على المسلمين، ولو نظرنا في زماننا وعصرنا لرأينا من ذلك العجب العجاب، فالكافر يظن أنه هو أصل الاختراع والاكتشاف والعلوم والمعارف، وأن المسلم لا يملك ولا يعرف شيء وإنما هو مجرد إنسان محتاج إلى كل شيء صنعه الكافر، وهذا من حيث ظاهر الأمر فعلاً المسلم في علمه وتقدمه وتطوره المادي ضعيف جداً، لكن إذا عرف حقيقة المنح الإلهي من الإيمان كما قال هذا الرجل المؤمن للكافر لو علم المسلم والمؤمن أن معه عقيدة وتوكل وإيمان بالله فامتلأ قلبه به فقد أخذ بديلاً حسناً أفضل مما أخذ به الكافر، سواء كان العلم الذي يتفاخر به الكافر نظري أو تطبيقي، كان دنيا مبنية على جنان ومزارع ومؤسسات ضخمة أو مزرعة أو غير ذلك من البساتين التي يتفاخر الناس بها على بعضهم البعض، فالمولى قادر على أن يغير ما أعطاه للكافر ويسلبه عنه، فالله هو المعطي والمانع، وإلى هذا الموقع انتهى الحوار الذي ضربه الله ﷻ مثلاً بين المسلم والكافر.

ثم قال المولى مخبراً ومقرراً الحال أو القرار الذي اتخذه الحق سبحانه أمام هـذا الجـدال الـذي دار عـلى مسافة من الأرض أو محيطها، فقال﴿وأحيط بثمره﴾ فالله تعالى قد سمع هؤلاء الـذين يتجـادلون وعلـم طغيان الكافر وصدق المؤمن فكان المولىﷻ أن أرسل على هذه المزرعة أو البستان الذي يتفاخر به ويتكاثر أرسل عليه الدمار والخراب، لذلك قال: ﴿فأحيط بثمره﴾ أي أهلك الله هذه الجنة بالكلية، كـل مـا فيهـا مات واحترق وصار هباء، واستولى عليها الخراب والدمار وذهب كل ما فيها مـن الـزروع والـثمار، هـذا مشهد عجيب يبين لنا أن اللهﷻ قد استجاب دعوة المؤمن وعلم صدقه وعلم أن الكافر يريد أن يتعالى على المسلم فأحيط بثمره، فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها، معناه أنه قد أصبح الصباح وقد راى الجنة هذه قد احترقت وذهب كل ما فيها من الزرع والثمار والنبات، فذهب يضرب كفاً بكف أسـفاً عـلى مـا ضـاع عليه وما أنفقه من المال الكثير، فصار يضرب يده على الأخرى ندماً لأن هذا يصدر غالباً من كل نادم، إذا تندم الإنسان على شيء ربما عض على أناملة أو ضرب كفاً بكف، قال مولانا واصفاً حال هذه الجنـة التـي تفاخر بها الكافرعلى المسلم، وهي خاوية على عروشها، أي مهشمة محطمة قد سقط الـسقف عـلى الجـدار وأصبحت خراباً كما يصبح أي مبنى أو مزرعة خراباً يباباً محروقة لا تساوي شيئاً.

هذه صورة من صور قوله تعالى، وهي خاوية عـلى عروشـها، هكـذا أراد الله أن يـؤدب هـذا الكـافر الفاسق المنحرف المتعالي، وإذا بنا نسمع من قوله تعالى كيف هذا الرجل عندما فقد أسباب قوته وطغيانـه وفخره بدأ يتذكر الموقف الذي كان يخاطبه به صاحبه المؤمن، فصار يقول يـا ليتنـي لم أشرك بـربي أحـداً، فهو نادم على كفره وإشراكه وظنونه الكاذبة التي اعتمد فيها على قوته وجماعته وأنـصاره ومالـه فقـال يـا ليتني لم أشرك بربي أحداً، ليتني لم أكفر، تمنى لو أنه لم يكفر، لأنه عرف موقفه السيء لما خسر النعمـة، «إذا كنت في نعمة فارعها.. فإن المعاصي تزيل النِعَم» نسأل الله لنا ولكم الحفظ والسلامة.

قالﷻ هذا الرجل الذي كفر وأشرك وتفاخر وآذى صاحبه المسلم أحرق اللهﷻ أرضه وأفقره وصـار ضعيفاً ًنادماً حسيراً قالﷻ: ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله﴾ لم ينفعه أحد لا في ذاك الوقت الـذي كان فيه يملك المال والثمار كان حوله الأتباع والأنصار والأصدقاء والأصحاب، فلما افتقـر وذهـب عنـه المال وزالت النعمة تخلى عنه الناس وذهبوا لأنهم كانوا أولو مصالح، فلذلك قـالﷻ: هـذا الـذي تحـدى فكفر واستغنى بماله وتكبر على إنسان مسلم وبعد أن حصل مـا حـصل مـن أمـر الله لم تكـن لـه فئـة ولا أصحاب ولا جماعة ولا حزب ولا دولة ولا مال ولا شيء يستطيع به أن ينصر نفسه أو يعيد ترتيب حياته ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً﴾ مهما فعل أو عمـل أو حـاول أن يتـصرف فلـن

ينتصر، لأن مالك الملك هو الذي بيده الأمر وبيده كل شيء، ويـذكرنا هـذا بمواقـف كثـيرة أجراهـا الله لأناس هكذا فعلوا في الحياة الدنيا فغوا وبغوا وعملوا كثير من المناكر الكفرية كفرعون وهامان والنمرود وغيرهم، ففي لحظة من اللحظات ذهب كل هذا الطغيان وصاروا لا يملكون شيئاً، وسحب بساط الملك والمال والأمر والنهي من تحت أقدامهم فذهبوا إلى نار جهنم وبئس المصير، فقال مولانا أن هذا الرجـل لم تكن له فئة ينصرونه من دون الله... فلم تنفعه عشيرته ولا ولده ولا اعتزازه بماله ولا فخره به، لأن النصر والنصرة هي لله، لهذا قالﷻ ولم تكن له فئة... ما كان الإنسان مهما كان ماله وعلمه ومـستواه ومـستوياته فلن تملك له من الله شيء، وما كان منتصراً، هنالك الولاية لله الحق... عقباً، لأن اللهﷻ هـو الـذي أعطـاه هذا المقام وأعطاه ذلك الحال وسلبه، فلن ينصره أحد ولن يقدر أحـد أن يقـدم شيء في هـذا الوجـود أو يؤخره، فليست النصرة إلا من الله والعطاء من الله والسلب أيضاً من اللهﷻ.

فالله عنده ثواب الدنيا والآخرة وهو الذي يعطي ويمنع ويهب ويمسك فيجب على الإنـسان المـسلم أن يعتبر ويذكر وينظر في المدلولات المقصودة من هذه الآية، هذا مثال من الأمثلـة العظيمـة التـي ضرب اللهﷻ لنا سواء رجالاً أو نساءً، أن الإنسان في هذا العالم ضعيف، وأن الإنسان في هـذا الوجـود لا يملـك من أمره شيء، فإن أعطاك الله مال فهو ليس بجهدك وإن كنت صاحب علم فليس بجهـدك ولا بكـدك، وإن أعطيت مظهراً من المظاهر فمن اللهﷻ هو الذي يعطي من يـشاء ويمنـع مـن يـشاء، فـيعلم الإنـسان والرجل المسلم والمراة المسلمة أن المواقف المبني على الإيمان بالله لها نفع في الدنيا والآخـرة، وأن الإنـسان في هذه الحياة لا ينبغي أن يصاب بما يصاب به الناس من الحسد على بعضهم، إذا أعطى الله الإنسان الدنيا أو أعطاه مالاً أو جاهاً أو سلطاناً يشير المولى أن الإنسان ينبغي أن يكون عنده نـصيب مـن الإيـمان بـالله، وأن يكون إيمانه بالله أقوى وعزه بالله أفضل وشرفه يقتبسه من هـذا الـدين الـذي هـو أفـضل مـن المـال والسلطان والجاه وكل ما يملك الناس في هذا العالم ، وكثير من الناس قصير النظر، وكثير مـن النـساء لا تتسع نظرتها أكثر مما تعيش فيه من خلال حياتها وحياة من حولها، فلربما شاهدت مظهراً من مظاهر الدنيا فتأثرت به، أو شاهدت مظهراً من مظاهر المال والثياب أو الحياة الدنيوية فتشبثت به وصـارت تـرى أنـه مطلب من مطالبها في الدنيا، وهـذا أمـر منهـي عنـه، فالمسلمون ينهـاهم الله أن يتنافـسوا عـلى شيء، أو يتفاخروا بشيء أو في سبيل الدنيا أو مظاهرها تغشهم وتغرهم فيتفاخرون، وهذه ظواهر موجودة في حياة المسلمين ولو أن الآية لا تنطبق حرفياً على حياة المسلمين أنفسهم ولكن هناك كثير من المظاهر التي جاءتنا من غير حياة الإسلام فعاش المسلمون اليوم في كثير من عـاداتهم وظـواهر سـلوكهم يتفـاخرون بالـدنيا وبالمظاهر وبالملابس وبالجاهات، كل منهم يريد أن يري الناس أنه أحسن من فـلان وأفـضل مـن فـلان،

فيفعل هذا شيء وذلك يفعل شيء أفضل منه، هذا مثلاً يبني بيت ذاك يبني بيت أكبر منه، هذا يقيم مظهر من مظاهر الدنيا فيفعل الآخر أشد منه، حتى بلغت في حياتنا وحياة المسلمين حتى في اللباس والزواج والمناسبات والأفراح وحتى الأحزان صارت الناس تفعل الشيء ليس لله بل للتفاخر فيقول قائلهم لا نحن لن نتوقف عن فعل كذا وكذا، ماذا سيقول عنا الناس؟ لابد أن نفعل كما فعل الناس، وأن ندفع كما دفعوا، ونذبح كما ذبحوا ونوسع دوائر حياة أبنائنا وبناتنا وهكذا.. فلربما تكلفوا في حياتهم تجاوزات وديون ومحن وهم وغم في الحياة، خصوصاً الرجال ومن تعي هذا الأمر من النساء فيعيش الرجل حياة طويلة في دوامة يبحث عن المال والرزق وتسديد الديون وعمن يساعده، وكل هذا سببها العادات التي يعاني منها مجتمع الإسلام والمسلمين، فالمولى يضرب الأمثلة لنا لنذكر، فكثير من العادات ليست من سلوك الإسلام بل جاءت من سلوك الكفر، لكن الحمد لله ليس هناك في المسلمين كافر، لكن عندنا سلوك يشبه سلوك الكفار وهو التفاخر بالدنيا والمظاهر، عندنا التكاثر كل واحد يريد أن يكون له كذا وكذا، فإن رأى مع الآخرين يريد أن يكون مثلهم، نعم إن أعطاك الله شيء فلا بأس، وأما إن كان لا تملك وليس عندك شيء فلماذا لا تتذكر هذه الآية أن الله ﷻ سمع رجلين يتفاخر أحدهما على الآخر هذا يقول أنا أعز منك وأشرف وأكثر مالاً وولد أنا كذا وكذا... يريد أن يظهر في هذه المجتمعات بما منحه الله تعالى من العطاء، فرد عليه المسلم لماذا تفعل ذلك؟ لا ينبغي لك أن تفتخر من الذي أعطاك أو منحك ليس أنت ولا كفرك ولا عقلك ولا علمك ولا ذاتك ولا منصبك، هذه أشياء موهوبة من الله، لكن الكافر كذب وقال لا هذا مالي وأعتقد أن الساعة ما باتقوم، وأني إذا قدر وقامت الساعة سأملك مثل هذا المال وأكثر، وصار يتحدى أخاه وصاحبه الذي جعل الحق تعالى يبرز لنا حقيقة مراد الله في هذا الحوار وأجرى هذه الاية فأحرق ما معه كله وأتلفه فصار يبكي ويتحسر ويتندم ويتمنى أنه لو لم يكن يكفر أو يشرك أو يخطئ وهكذا حالنا، الإنسان أحياناً قد يقع في شيء من هذه الأمور في حياته ثم يتندم، فعلينا أن نستفيد أن ننظر في أمثلة كتاب الله ومراده في هذه الأمثلة وما يشير إليه المولى ﷻ من المعاني العالية والراقية في هذه الآيات الكريمات، وسيأتي معنا في الدرس الآخر مثل آخر يشير إلى مقدار الحياة الدنيا ومظهر الحياة الدنيا وشكلها وماذا عسى أن يكون هذا الحال الأرضي الدنيوي الذي يتقاتل فيه الناس ويحتربوا وتسال دماؤهم وتهتك أعراضهم وتسلب أموالهم وتعق الأرحام وتقام فيه المناكر وتكثر فيه المظالم، فما هذا العالم وما هي هذه الحياة الدنيا وماذا يدور في حياة البشرية سواء كان مسلم أو كافر سيأتي معنا في الآيات القادمة إن شاء الله تفصيل لهذا المعنى في قوله ﷻ في المثال الآخر: ﴿واضرب لهم مثلا الحياة الدنيا...﴾ نسأل الله ﷻ أن ينفعنا وإياكم بالعلم ويرزقنا نصيباً من المعرفة والتواضع ويتوب علينا توبة نصوحاً يزكينا

بها جسماً وقلباً وروحاً، اللهم ارحمنا برحمتك واسترنا بسترك واجبرنا بجبرك واجعلنا من خيرة عبادك ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ولا أقل من ذلك وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم: قالﷻ في كتابه العزيز: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا... ولا يظلم ربك أحداً﴾ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، هذه الآيات المباركات من سورة الكهف فيها سبحانه وتعالى يضرب لنا مثلاً عن الحياة الدنيا كما ضرب لنا مثلاً في الآيات السابقة عن رجلين جعل الله لأحدهما جنتين من أعناب وجرى بين الرجلين الحوار والكلام وكان نهاية الأمر أن أهلك اللهﷻ تلك الجنة لذلك الرجل الكافر نعمة الله تعالى، فيضرب الله تعالى الأمثلة ليستفيد العقل المسلم ويدرك الإنسان أن مالك هذا الوجود هو الله وأن الخير والشر منه وأنه يوفق أهل الخير للخير ويسير باهل الشر فيما يناسبهم من الشر، ثم إن اللهﷻ عرفنا في هذا القرآن عن هذه الدنيا وعن مصيرها وعن زهرتها ونضرتها وما فيها، لأن اللهﷻ عندما خلق هذا الوجود واختار الأرض للناس أنزلهم عليها للابتلاء والامتحان والاختبار ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ فلذلك كان لابد وقد وضعنا في هذا العالم للاختبار والامتحان لابد أن يبين لنا شان هذا الوجود والدنيا وكيف تكون علاقتنا بها، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، فاللهﷻ بعث الأنبياء لأجل أن يعرفونا قدر الآخرة وصغر الدنيا، والقرآن كله بما فيه من عديد الآيات يبرز لكل ذي عقل ومعرفة أن هذه الدنيا وما عليها من الشؤون والأحوال هي عند اللهﷻ مجرد وسيلة، من عرف كيف يستفيد منها نال الثواب والأجر، ومن ألهته عن ذكر الله واتبع فيها هواه وجعل الدنيا غايته وهدفه فلا شك أنه يكون خسراناً في الدنيا والآخرة.

ولهذا يفتح اللهﷻ لنا في هذه الآيات سورة من سور الإيضاح والتبيين لشأن الدنيا ومظهرها، فيقول لنبينا محمدﷺ ﴿واضرب لهم﴾ للمؤمنين وللناس مثل الحياة الدنيا، ما مثالها ومعادلها من أجل أن نعرف أن الإنسان إذا أراد أن يعرف إنسان قالوا له أنه يشبه فلان، أراد أحد أن يعرف حرارة الشمس قالوا تشبه حرارة الجمرة، أو أراد أن يعرف شيء يضرب له المثل بما يشبهه، فضرب الله لنا مثل عن الحياة الدنيا وصورها كماء أنزلناه من السماء، أي كمثل المطر الذي ينزل من السماء إلى الأرض فلما نزل إلى الأرض اختلط بالتراب واختلط بالنبات وما فيها فنبتت الأرض وأزهرت وأينعت واخضرت بسبب نزول هذا الماء واختلاطه بالتراب وأخذ مدة من الزمن ثم بعد ذلك أصبح هشيماً تذروه الرياح، أي صار بعد أن كان نضراً خضراً حسن الصورة بعد أيام وليال يبس واصفر وصار مجرد أوراق تسفها الرياح وتأخذ بها

هنا وهناك هذا المثل من الخالقﷻ يدل على صغر الحياة وتفاهتها، وأن ما في الدنيا لا يساوي عند الله شيء كما ورد في الحديث «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»، لماذا التعظيم لها؟ ولماذا الاهتمام بالدنيا إلى حد نسيان الآخرة معها والواجب؟ فما الدنيا في مثالها إلا كالمطر النازل من السماء فاختلط بتراب الأرض وظهر منه النبات وأخذ اياماً وليال حتى استوى وظهر عليه الحبوب والثمرات ثم حصد فأصبح كأن لم يكن، وأصبحت الأرض تحمل الأوراق الجافة وآثار الزرع ما لا ينفع بشيء ولا يعود بقيمة تذكر، فأصبح هشيماً تذروه الرياح تنسفه وتأخذه، فهذه الصورة بينة في هذا التصوير العجيب الذي يصور به الله تعالى جهد الناس والعلماء والمفكرين والمخترعين وأهل المعرفة ومن تسمعونهم ليلاً نهاراً ما بين عالم أو متعلم أو مسافر أو باني أو باحث رزق وما تعيشه الناس في هذه الحياة، فيرينا القرآن أن هذه الحياة بمختلف ما فيها ليست بشيء، فلا ينبغي للإنسان أن يعطيها أكبر من حجمها، فإن من يعطيها أكبر من حجمها يخسر في الدنيا والآخرة، كمثل من يعطيك أو يطلب منك قيمة على حجر تافه تنخدع وتشتريه بمبلغ كبير يتبين لك بعد ذلك أن لا نفع له، فكم يكون مقدار الحسرة والألم بعد ذلك؟، امراة مثلاً رأت خاتماً ليس بذهب لكنه واحدة كذبت وقالت لها هذا خاتم ذهب فكم تدفعي فيه؟ قالت مائة ألف، فأخذت منها المائة ألف أو أكثر ثم تبين لها بعد ذلك أن هذا الخاتم ليست ذهب، كيف تكون الحسرة والألم والقلق؟ إذن فالدنيا الذي خلقها قد خلق ما هو أحسن منها، خلق الدنيا والآخرة وجعل لنا في الآخرة مما يتضاعف حسناً وجمالاً ولذة وراحة عما في الدنيا ولكن أوجدها في الدنيا للابتلاء، وأوجدنا في الدنيا للعمل، وأوجدنا في الدنيا ليظهر الصابر من غير الصابر، ويظهر الطائع من العاصي، والصادق من الكاذب، هذا لابد منه، فوضع الحياة الدنيا لنا على هذا المثال، فهذه الدنيا بما فيها من جمال مصنوع أو بما فيها من ثمرات وأسباب الحياة هي مجرد مظهر من المظاهر التي يأخذ عمراً أو زمناً محدداً ثم لا يصبح شيء، وكان الله على كل شيء مقتدرا، فالمولىﷻ قدرته فوق كل قدرة يقدر على الإفناء والإماتة ويقدر على الإحياء، أي يحيي الميت والأرض الميتة ومن لا تظهر عليه آثار الحياة، فالأمر أمرهﷻ، وقوله ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ يلفت النظر أن من يستحق الاهتمام ليست مظاهر الدنيا والمال والزينة فيها، إنما المولىﷻ أحق باهتمامنا، وأحق بعبادتنا، وأحق بتعظيمنا، وأحق باحترامنا، ولهذا جعل اسمهﷻ وقدرته معادل لما ضربه من مثل في هذه الحياة ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ فمن أعطاك الراحة يسلبها عنك، ومن أعطاك المال يسلبه عنك، وكل شيء بيده ومنه وإليهﷻ، فالمولىﷻ يعلمنا أننا لا نجعل للدنيا في قلوبنا مكان يشغلنا عن ذكره ويجعلنا نعظم أسباب الحياة ولا نعظم ما دعانا إليهﷻ من أسباب التعظيم، المال والبنون زينة الحياة الدنيا لا يشتغل الناس في هذه الدنيا إلا لجمع المال أو يتزوجون

لإنجاب الأولاد، فضرب الله لنا هذا المثل عن الدنيا وعما فيها من زينة، والمقصود بالزينة كل بهرجة ومظهر يأخذ بالعقل واللب والروح، فتنشغل به، مما يشغل الناس المال، وجزء مما يشغلهم الأولاد، فضرب الله المال والأولاد كمثل، فقال المال والبنون زينة الحياة الدنيا، أي مظهر من مظاهرها وبهجتها، إن كان عندك مال كثير أو قليل يتحقق به شيء مما تحتاج إليه في الدنيا فهو زينة من زينتها، والأولاد كذلك يفرح الإنسان بالأولاد والبنين والبنات وهم متعة من متع الحياة التي يهبها الله ﷻ لعباده، ولكنها في الأصل ليست كل شيء وليست غاية لكنها وسيلة متعة، أي سبب من أسباب الراحة في الدنيا، ومن أسباب تحمل المسئولية في الدنيا، فالدنيا لها زينة وبهرجة ومظاهر وغايات محددة تشغل عقل الإنسان من ذلك المال وطلبه والرغبة فيه والحصول عليه والبنون أي الرغبة في إنجاب الأولاد وكثرتهم، زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً، كما أن للدنيا لذة بوجود الأبناء فرح فإن هناك ما يعادل هذا فعند الله ﷻ ما يساوي هذه المسألة المحسوسة وعند الله لها مكانة عظيمة، وكما أن النفس البشرية تفرح بالمال وتأنس إليه وتطلبه من حلال أو حرام وتفرح بالأولاد وتطلبها، وربما كان طلب الإنسان لأولاده بأكثر من سبب ومظهر سواء كان بالزواج المتعدد أو المنفرد أو غير ذلك مطلب من مطالب الحياة، فيقول المولى ﷻ أن هذه الدنيا وزينتها ومظهرها جعل الله في هذا الوجود شيء أفضل منها وأعظم، الباقيات الصالحات عند أهل العلم فيها أكثر من معنى، المعنى العام والأقرب إلى الصحة أنها العمل الصالح والأعمال الصالحة التي يدعى إليها الناس والتي بعث من أجلها الأنبياء ويتكلم من أجلها العلماء ووردت في كتاب الله وتعاليمه وجاءت في سنة النبي وإرشاداته، هذه هي الباقيات الصالحات التي هي خير عند الله ثواباً وخير أملا، أي عند الله ثوابها عظيم وفي نفس الوقت ثمرتها باقية أبد الآباد، وهي من أعظم ما يأمل فيه الإنسان ويفكر في غاياته الباقيات الصالحات، وهذا معنى من المعاني أن الباقيات الصالحات مجموعة الأعمال الصالحة، ومنهم من قال أن الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس كما قال بعض المفسرين، وقال بعضهم أنها (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) ولو نظرنا في هذا التفصيل والتقسيم الذي أخذ نصيباً من وقت العلماء لوجدنا أن الباقيات الصالحات تدخل وتنطوي بكل معانيها تحت المعنى الأول، وهو أن الباقيات الصالحات هي كل الأعمال الصالحة، والصلاة جزء منها وكذا الذكر والتسبيح وغيرها من الأعمال هي جزء من ذكر الله ﷻ وجزء من العمل الصالح، فالباقيات الصالحات والأعمال الصالحة كانت مجتمعة أو منفردة خير عند ربك أي خير يوم القيامة وخير في الدنيا وخير عند ارتفاع صحف الأعمال وخير يوم يقوم الإنسان للحساب، نجد أن الأعمال الصالحة ثوابها عظيم وأملها في النجاة وموعودات الله أعظم، فعرفنا الثواب هو المرجو جزاء عند

الله على العمل الذي نرجوه من الله، فمثلاً ثواب بر الوالدين الجنة، ثواب المحافظة على الصلوات الخمس الدخول في الصفوف الأولى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحات، فهذه العطاءات الإلهية يوم القيامة مبنية على حسن أداء الأعمال الصالحة، فإذا أصلحت المرأة والرجل وسائل العمل الصالح وكانت العقل والقلب لله والنية مخلصة لله فإن هذا الفعل والخير يظهر أثره في الدنيا قبل الآخرة، خير وأفضل وأكثر مما يملك المال والبنين، والباقيات الصالحات خير...

ثم نقلنا القرآن في نقلة عجيبة عن عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، وكأنه يريد أن يزدهنا في الدنيا وغاياتها التي شغلت كثير من الناس ومقصود بأنها شغلتها أي قد تجعل الرجل أو المرأة يترك الصلاة في سبيل الدنيا ويقطع في القطيعة بسببها، أو يخرج والعياذ بالله من دائرة الأدب مع الله بسبب الدنيا كأن يسرق أو يقع في شبهة من الشبهات أو حراماً من أجل الحصول على نصيب من الدنيا فيدخل في حساب وعقاب، فصرف المولى النظر بعد أن أخبرنا عن الدنيا وشأنها وحقارتها فقال: ﴿ويوم نسير الجبال﴾ إذن سيأتي يوم وزمن هذه الجبال التي نراها وهي أرسخ وأكبر ما نراه في العالم سيأتي يوم ﴿وترى الأرض بارزة ﴾ هذه الجبال كلها تسير والمقصود أنها تنسب وتصبح كالهباء المنثور أو الصوف المندوف، وتكون الجبال كالعهن أي الصوف الذي ينذب بالعصا حتى يصبح رذاذ، فقد أخبر المولى أن هذه الجبال التي نراها في هذا العالم كبيرة وشامخة وهي كما وصفها الله رواسي ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ سيأتي آخر الزمن عند قرب القيامة تصبح هذه الجبال تراباً منسوفة ضعيفة غير متماسكة ومنهارة ﴿نسير الجبال﴾ وتظهر الأرض وتبرز وتصبح نظيفة من الشجر والجبال والنتوءات والرمال تصبح قاعاً صفصفاً، وحشرناهم: يجمع اللهﷻ الأولين والآخرين إنساً وجناً وملائكة وحشرات والكائنات كلها تجتمع في عرض واحد في يوم عظيم يجمعون في صعيد واحد كأنهم جراد منتشر، يتبعون الداعي فيجتمعون في هذا العالم محشورين فيه لا يستطيع أحد أن يخرج منه أو يدخل إليه وهو قد أقصي منه وليس من أحد يقصى منه، ولكن كالملائكة مثلاً فالمولىﷻ يجمع الخلائق أهل السماء الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة إلى السابعة يجمعهم على شكل حلقات ويجعل أمة محمد وغيرها من الأمم وسطهم، فلا يقدر أحد أن يخرج، فأين سيذهب الإنسان وكيف يكون لديه الاستعداد للهرب، ثم يهرب إلى أين؟ ليس له ملجأ ولا نصير ولا حدود يخرج منها ليس كالسفر من بلد إلى بلد فكل هذه التفاصيل التي يفعلها الإنسان في الدنيا تنتهي، ﴿وحشرناهم فلن يغادر منهم أحدا﴾ ماحد يقدر يهرب أو يتخبأ أو قال باتأخر في القبر كيلا يراني أحد، كل الناس تحشر، حتى الملائكة تكون مع الناس كما قيل، خاصة منهم الملائكة بشأن البشر أنفسهم، وهكذا علمنا الدين أن هذه الجبال تسير وتسقط بقرب يوم القيامة وتبرز الأرض فما عليها من جبال أو

أشجار، وحشرناهم فيجمعهم الله في صعيد واحد فلم نغادر منهم أحدا: ما يغادر منهم أحد، فلا يستطيع أحد أن يغادر أو يفلت، ما في طريق للهروب مع كثرة الناس والازدحام وغالباً مع الازدحام يستطيع الإنسان الهرب، أما يوم القيامة فلا يتأتى ذلك، فلا يستطيع أحد أن يهرب أو يفلت من يد الله ﷻ، فلم نغادر منهم أحدا: حتى الصغير والمولود كلهم يجمعون في ذلك العالم، وعرضوا على ربك صفا: يجمعهم الله في صعيد واحد، نعرض على الله وتعرض الأعمال والفضائح والمخبآت كلها تعرض على الله، وصفهم الله صفاً واحداً يخاطبهم ﴿لقد جئتمونا﴾ وصلتم إلينا أنتم أيها الأمم المتتابعة في الأرض والأمم الطاغية والباغية والأمم الصناعية والجاهلية كلكهم من عصر آدم إلى الساعة كلكم جمعتم، يقول المولى ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ كما يخلق الولد من بطن أمه لا يعرف أحد ولا أحد يعرفه وغير قادر على الحركة ومتعب بحكم طفولته، يبعث الناس من جديد كما قيل، حتى كلما أزال منه شعر في الدنيا يعود عليه يوم القيامة، ويغطي أجزاء جسمه كلها والأظافر وكلما أزاله الإنسان من الجسم يرجع إليه، قال ﷻ ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا...﴾ فيوضح الكتاب كما قال ﷻ ﴿وعرضوا على ربك صفاً... موعداً﴾ كنتم تقولون في الدنيا ما في حساب ولا عقاب ولا ميزان ولا صراط ولا حشر ولا نشر، تتشككون في أمر الحساب وتشكون في أمر الميزان والصراط، ويتشكك بعضكم مع بعض، فانظروا الآن، ﴿بل زعمتم﴾ هذه عبارة ** فيها النبي ﷺ هؤلاء الجهلة من المستغرقين في الدنيا والذين لا يلتفتون للأنبياء أو لأخبار الأنبياء ولما ورد عنهم، هؤلاء كلهم يخاطبهم الله بل زعمتم – أي بل ظنتم – أن لن نجعل لكم موعدا، فكذبتم بالموعد وبالآخرة وبطلوع الشمس من مغربها، كل الآيات التي أودعها الله ﷻ في آخر الزمان يكذب بها هؤلاء المعرضين عن الله، الذين ما عرفوا قدر الآخرة ولا قدر الدنيا، ﴿ووضع الكتاب﴾ ياتوا بكتاب الإنسان يستخرجون كتابه من أعماله التي عملها في الدنيا، كانت مكشوفة أو مخبأة فتعرض على الإنسان، فإن أراد الله به خيراً وتوبة ودخولاً للجنة لم يكشف حاله وستره على الناس، بل يقرر عليه حاله لوحده، فيقول له يا عبدي فلان: أما تذكر يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا فعلت كذا وكذا؟ فقال الموفق: يا رب قد سترتها عني في الدنيا فاسترها عني في الآخرة. فيقول ﷻ: أنا أحكم الحاكمين، سترت عبدي فأعطوه كتاب بيمينه، نسأل الله لنا ولكم أن يكتب لنا الستر ويعطينا كتابنا بيميننا، ذلك إن أراد الله بعبده الخير، ونسأله تعالى أن يوفقنا وإياكم أن يجعلنا من أهل الخير ومن يؤتى كتابه بيمينه ولا يحاسب حساباً كثيراً ولا قليل، فيقول ﷻ: ﴿ووضع الكتاب... مما فيه﴾ يظهر الله في هذا الكتاب كل شيء ﷻ، يفتح الإنسان سجل يشبه الفيلم، تعرض عليه كل أعماله، لأن لو قلنا لواحد بانصورك وبانعرض أعمالك خلال أسبوع، بعض الأعمال قد لا يستسيغ الإنسان أن يراها من نفسه،

فيوم القيامة يؤتى كل إنسان بكتاب ويبسط أمام الناس ليقرأه وينظره ويشهد كل ما فعله، فلما يراه المجرمون الفسقة العصاة الظلمة الذين ما عرفوا حق الله ورسوله في هذه الدنيا فظلموا وبطشوا، لما يرون هذا الكتاب وما فيه من تفصيلات الأخبار والأحوال والوقائع والجرائم.. ﴿مشفقين مما فيه﴾ مما يراه من انكشف من فضائحه خائفاً ويصيح ويقول يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، كل شيء عملناه أو قلنا أو أردنا أن نفعله كتبه، هذا كتاب خطير، ﴿إلا أحصاها﴾ لكن ما ينفع الندم أو المراجعة، قالﷻ: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ إللي قدمه الإنسان يجده حاضراً أمامه كان خيراً أو شراً يجده في انتظاره نسأل الله لنا ولكم الحفظ والسلامة، فعرفنا من هذا أن اللهﷻ هدد الكفار أنذر المنافقين والمشركين وبين لهم غاية البيان أن الكتاب إذا وضع والمقصود به ميزان الحسنات والسيئات المجرمون يفزعوا ويخافوا ويقولوا يا ويلتنا... كل شيء يكتبه ويحفظه ولا ينسى، كم من شيء نسيناه ولم نذكره وتجاوزناه، لكن المولى يكتبه ويبقيه على الإنسان حتى يتوب، فمن تاب تاب الله عليه، فوصف اللهﷻ الكتاب عند نشره ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ كل شيء يسجله ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ كل ما عملوه من أعمالهم الخيرة أو غير ذلك محفوظة في سجل يومي ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾، ثم يقول المولىﷻ مبيناً حال الموت عند النوم، وأن النوم أخو الموت، يقولﷻ: ﴿وعرضوا على ربك صفاً... أول مرة﴾ هذا تأكيد أن خلق الإنسان من طين وأنه بأمر الله، ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ ليس هناك ظلم وهذا من فضلهﷻ أن الله لا يظلم أحد، ولا كما يقول أحدهم يتشبع على أحد لا يلزم أحد بالقوة بل هي أعمالكم أحصيها لكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، فصار الكتاب الذي يوضح بين يدي الله للعرض المجرمين يخافوا منه ويشفقوا مما فيه ويصيحوا ويقولوا يا رب ما لهذا الكتاب؟ ما يترك شيء ولا يتجاوز، ما فيه شيء ينسى، لا يغادر ولا يترك كبيرة من الأعمال أو صغيرة إلا سجلها وكتبها على صفحة عمل الإنسان وأحصاها، ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ فكل عمل يعمله الإنسان يجده كما يقول بعض أهل العلم يجده أمامه صور وحركة كما هو في الدنيا، تظهر له في ذلك العالم، ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ ليس من شيمة الحقﷻ الظلم، ولم يكن الله كما ورد في الآية بظلام للعبيد، فاللهﷻ لا يظلم أحد بالنسبة للتكليف بالشرائع أو نقلها وتحويلها إلى كتب أهل العلم ولن يظلم أحد عند الموت فكما تدين تدان، على قدر استعدادك تنال من الله ما يناسبك من الإمداد، فهذه إشارة ظاهرة وبينة من المولىﷻ عن هذا العالم والمجتمع العظيم الخطير مجتمع القيامة على عظمته وخطورته ينبني على استعدادات المسلم والمسلمة على ما كانت عليه من العمل في الدنيا، وهذه الآيات بارك الله فيكم هي تقريب لعقول الناس وترتيب لفهمهم حتى يتفهموا عظمة كتاب الله في ضرب

الأمثلة، ويعلم أيضاً أن اللهﷻ لا يعجزه شيء وأنـه خلـق الـدنيا ولم ينظـر إليهـا، ويعلـم المـسلم المـؤمن الصادق أن لا يعلق قلبه بالدنيا تعليقاً ينسيه في جانبها الآخرة، أي ينسى الفضل والثواب المترتب على بـر الوالدين فيعقهم أو ينسى الفضل المترتب على صلة الرحم فيقطعهم، أو ينسى فضل الصدقات فيتركهـا، أو ينسى فضل الطاعات فيتركها، فكيف تركت الطاعات والـصدقات والأعـمال الـصالحات؟ إذن أنـت رضيت بما لم يرضى به ربك لك، فقد رضي الله لك الدنيا كي تنفعك في العمل الصالح وتكثر لـك نـورك في الدنيا والآخرة وتحفظك من شر الشيطان والنفس والهوى، فماذا فعلت وكيف كان استخدامك للنعم؟ لذلك بين اللهﷻ في هذه الآية الكريمة شأن الدنيا وحقارتها وأنها لا تساوي عنـد الله جنـاح بعوضـة، وأن على كل مسلم ومسلمة أن ترضى بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمدﷺ نبيا ورسولاً، وأن تحافظ عـلى أمـر دينها محافظة لا تفوت عليها ما يتعلق بواجبها في الدنيا وأيضاً محافظـة تربطهـا ارتباطـاً كليـاً بموعـودات المولىﷻ في هذا الوجود الذي وعد الصالحين والعباد الذين يقومون بحق الله وبـصلاتهم أن يظهـرهم الله يوم القيامة تحت ظله: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»، فنسأل اللهﷻ أن يجعلنـا وإيـاكم ممـن يستظلون بظل الأعمال الصالحة، فقد جاء في الحديث أن الرجل يـوم القيامـة يـستظل بظـل صـدقته، إذا تصدق بصدقة يجلس تحت القيامة تحت ظلها، وهكذا بقية الأعمال الصالحة فنسأل اللهﷻ أن يظلنا وإيـاكم بظله يوم لا ظل إلا ظله وأن يجعلنا ممن فهم معـاني ومغـازي هـذه الآيـات وسـار عـلى مـنهج الباقيـات الصالحات ومن ارتبط بصالح المؤمنين والمؤمنات.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشـنا وأصـلح لنـا آخرتنـا التي إليها معادنا وارزقنا حسن النظر فيما يرضيك عنا ظاهراً وباطناً، وأسألهﷻ أن يجعل هذا القرآن حجة لنا لا علينا، وشاهداً لنا ولكم لا علينا، اللهم ذكرنا منه ما نسيناه وعلمناه منه مـا جهلنـاه، واجعلنـا ممـن يتلوه آناء الليل وأطراف النهار أبداً ما أبقيتنا يا أرحم الراحمين.

❖ ❖ ❖

الحمد لله رب العالمين، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قالﷻ: ﴿وإذ قلنـا للملائكة...مصرفا﴾ هذه الآيات الكريمات استمراراً لما سبق تفسيره من سورة الكهف وكتاب اللهﷻ هو مصدرنا الـشرعي وأدبنـا المرعـي ودسـتورنا في هـذه الحيـاة، وبـه تـستقيم قنـاة الأمـم وحيـاة البيـوت والمجتمعات، واللهﷻ قد أودع في كتابه العظيم كل شؤون الحياة وكل الشؤون التـي لابـد أن نعلمهـا ممـا يأتي بعد الحياة، وقد سمعتم فيما سبق من كتاب اللهﷻ في هذه السورة كيف تكلم الحـق عـن يـوم القيامـة وتسيير الجبال، وأن هذا العالم يصبح هباء منثوراً وأن اللهﷻ يحشر الأوائل والأواخر ﴿فلـن نغـادر مـنهم

أحدا﴾ فليس أحد في الوجود يختفي أو يهرب أو يستطيع أن يجد مسلكاً أو مهرباً أو مخبئاً، وتكلمت الآيات عن العرض على المولىﷻ أن الله يجمع العباد كلهم ﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾ يخاطبهم ﴿كما جئناكم أول مرة.. موعدا﴾ فالإنسان بحكم قصر وعيه لا يدري أن الناس كانت والأمم مجتمعة قبل اجتماعها يوم القيامة، فقد جمع الله الأولين والآخرين في عالم الذر، وهو عالم جمع فيه الخلائق من ذرية آدم وأخرجهم من ظهره وجمعهم في واد يسمى وادي نعمان قريباً من مكة المكرمة وأشهدهم على أنفسهم كما ورد في سورة الأعراف ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم... عن هذا غافلين﴾، فعرفنا أن اللهﷻ كما جمع الأمم قبل نزولها إلى العالم أو قبل وجودها في الأرض فهو قادر أن يجمعها للمرة الثالثة يوم تحشر ويخرج الناس من القبور يوم البعث والنشور من الأجداث والذي أوجدهم من العدم وخلق الإنسان من نطفة وأوجد العالم بكل مظاهره قادر على أن يعيدهم ويحييهم ويبعثهم، ولهذا قالﷻ: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ فاللهﷻ يعلم كيف يأتي بعباده ويعيدهم بعد موتهم وذهاب أرواحهم، لذلك يجب الإيمان بالحشر والنشر وبالعرض على اللهﷻ ويرد المولىﷻ على الكفار زعمهم أن لا حساب ولا عقاب ولا قيامة ولا عذاب في القبر ولا شيء، هكذا يعتقدون ﴿بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا﴾ كيف تظنون أن ليس لكم موعد، فإن اللهﷻ قد قطع على نفسه أن يجمع كل العباد فليس حياة الإنسان بمجرد أن يعيش على هذه الدنيا على رغباته ثم ليس عليه رقيب، بلى فالإنسان عليه رقيب وحساب وعقاب وله ثواب في كل ما يفعل من الخير قالﷻ مخبراً عن ذلك اليوم يوم القيامة ﴿ووضع الكتاب﴾ يأتي المولىﷻ بالأعمال التي عملها العباد فتعرض، ﴿فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ يظهر اللهﷻ للعباد الكتاب الذي حفظ أعمالهم وحفظ كل ما حصل منهم ولم يتوبوا منه ولم يستغفروا الله فيكون عندهم نوع من الخوف والإشفاق ويقولون يا ويلتنا عندما يرون دقائق العمل وما يكتب في هذه السجلات ﴿مالهذا الكتاب لا يغادر﴾ أي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴿ووجدوا ما عملوا.. أحداً﴾ فالمولى ليس بظلام وليس بمقيم الناس بمقام غير مقام العدل، بل اللهﷻ عادل لكن البشر هم من ظلموا أنفسهم، فما وعدهم به لابد أن يكون.

ولهذا بعد أن أخبر المولى عن هذا الأمر المتعلق بالبعث والنشور والقيامة والعرض على الله جاءت الآيات التي استمعنا إليها وهي تنقلنا من عالم الملكوت والحساب إلى عالم الخلق وأن اللهﷻ جمع في هذا القرآن كل ما يحتاج إليه الإنسان من معرفة، فقالﷻ: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فاللهﷻ خلق آدمعليه السلام من الطين، وبقي هذا الجسم ملقى في عالم الله مدة طويلة من غير روح ثم نفخ الله فيه الروح فتحرك وعطس وقال الحمد لله، وشمتته الملائكة، ثم أراد الله إظهار شرف الإنسان الذي خلق ليقيم

الخلافة في الأرض والمقصود بها أن يقيم أمر الله بالوجود، فقد خلق الله الكائنات على أنماط – أي أنواع – فجعل الملائكة مبنية على حب الخير من أصلها لأنهم خلقوا من النور، والجن تحب الشر من أصلها لأنهم خلقوا من النار، ثم جمع الله عالم بين العالمين وهو عالم الإنسان فخلق آدم عليه السلام وجمع فيه صفات متنوعة وهي صفات الطين والماء، فهذه الصفات جمعها الله في بني آدم وأودع فيه حب الشهوة والملذات والراحات والرغبات وجعل فيه النفس والهوى وجعله ميالاً إلى الدنيا واستتباع الشيطان، هكذا خلق الله الإنسان وأوجد له النذارة مقابل ذلك والرسالة والدعوة والتوفيق والأسباب، وهذه حالة لا توجد عند الملائكة، نعم توجد عند الجن فهم مثلنا لهم مسئوليات ويسمعون القرآن وعليهم تكليف مثل تكليفنا، فأراد الله ﷻ أن يبين لنا شرف بني آدم وكيف شرفه عندما خلقه ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ أمر الله ﷻ الملائكة وهم أشرف عنصر طاهر مطهر لما خلق آدم أمرهم بالسجود له، واختلف أهل العلم في هذا السجود هل أمرهم كلهم أن يسجدوا لآدم؟ قال بعض أهل العلم أن الذي أمر بالسجود هم الملائكة الذين سخرهم الله لخدمة بني آدم، مثل من يكون من الحفظة ويلتقي بالبشرية في عالم الإنس بالحضور معهم مثل رقيب وعتيد ورضوان والعشرة المذكورين من الملائكة وأتباعهم وملك الموت وغيرهم، كل من له صلة بالإنسان هؤلاء الذين أمرهم الله أن يسجدوا لآدم، وفي رواية أخرى أن الأمر عام لكل الملائكة لإظهار شرف آدم وذريته في الدنيا والآخرة، فأمرهم بالسجود فسجدوا إلا إبليس، لما أمر الله الملائكة لم يسجد إبليس، وهنا نستفيد أن إبليس ليس من نوع الملائكة، ولا يعني وجود إبليس من الملائكة أنه من الملائكة، ولكن إبليس هو من الجن، وهذه الآية في سورة الكهف أوضح آية بتفصيل حقيقة إبليس، حيث قال ﷻ ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ فلما جاءت هذه الآية حسمت الخلاف لأن بعض أهل العلم يقولون أن إبليس من الملائكة، وهو ليس كذلك بل عنصر آخر يختلف في المعنى والخلق والرغبات، فالملائكة كلهم سجدوا لأن الله ﷻ قال ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ وأما إبليس لأنه ليس من جنس الملائكة في الخلق فقد عصى، وكان ذلك من قدر الله عليه، ففسق عن أمر ربه، فخالف الأمر لأن الله قد كتب عليه ذلك، ولأن عنصر خلقه الناري يميل إلى الشرور فلم يقبل السجود لآدم، وهذا فيه إشارة إلى عنصر التكبر في العنصر الناري إبليس خلق من نار والجن فيها عنصر ناري عنصر التكبر فلا تريد أن تستلم لمخلوق أو تعظم ما أراد الله من المخلوقين وهذا نوع من الكبر ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ وخرج عن طاعة الله عندما أمره بالسجود وهناك آيات قرآنية أخرى تفسر هذا المعنى بعض الآيات أشارت إلى أنه لن أسجد لبشر ولن أسجد إلا لك أنت وحدك، وهذا هو التوحيد الكاذب أن يكون المولى ﷻ يأمر إبليس أو غيره بأن يسجد لآدم باعتبار أنه لا يريد إلا السجود إلا لله، فهذا نوع من أنواع

لكفر، وإشارة إلى أن أمر الله منفذ وإن كان ليس على مقتضى ما يريد الإنسان أو إبليس في فهمه، فقال ﷻ بعد أن أخبرنا أن إبليس عصاه وفسق عن أمر ربه وخالف الأمر وجرى له ما جرى من الطرد إلى يوم الدين يخاطبنا مولانا ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ وهذه آية عظيمة حيث أثبت المولى لإبليس ذرية وأبناء وعائلات وقبائل منسوبة إليه، إذن ذرية إبليس وهم من نوع الجن ولكنهم يتميزون بأنهم شياطين، فالشيطان هم قبائل خاصة من الجن، وكل من كان من ذرية إبليس فهم أبالسة، والأبالسة هم الشياطين والشيطان هم نوع من أنواع الجن ولكن الجن بعضهم مؤمنين كمن آمن على يد النبي ﷺ ومن الجن من ليسو بمؤمنين وليس بجماعة إبليس، لا يشتغلون بالأهواء ولا بأذية الله إنما خلق من خلق الله، لذلك يتميز إبليس وذريته فقط بوظيفة خطيرة وهو أنهم تبعوا إبليس في الغواية، لذلك حذرنا الله تعالى من إبليس، وللجن أذية أخرى ليس مجال ذكرها هنا، فإن لهم تأثير على الإنسان وضرر، لكن ذاك أمر آخر لا علاقة له بإبليس، فإن الشيطان وظيفته مع ذريته الوسوسة، والأذية المتعلقة بالإغراق في الخطايا والمعاصي وإبعاد الإنسان عن ربه هذه وظيفة إبليس وذريته، فمثلاً من ذرية إبليس الموسوسين للناس في الوضوء في الصلاة الذين يؤذون البشرية في أديانهم وذواتهم هؤلاء ذرية إبليس، وهناك جماعات وقبائل من الجن لا علاقة لها بهذا الجانب ولها أسلوبها وحياتها ولهم مساجد وصلاة وعبادة وقضاء وتعليم وغير ذلك مما تعيشه الناس لكن الله حجبهم عنا فلا ندري بشأنهم إلا ما أثر عنهم وكتب، فعرفنا أن إبليس وذريته أعدائنا الحقيقيين الذي رفض إبليس ورفضوا هم بعد ذلك أن يتأدبوا لآدم وذريته فاستغرب المولى منا أنه بعد أن طرد إبليس ولعنه وذريته كيف تستجيب البشرية له وتتبعه وتتخذ هذا الشيطان ولي من دون الله وتعظمه وتحترمه وتقدره وتتبع آرائه وتترك أوامر الله، وهذا ممكن نعرفه إلى ما يعيشه الناس من استتباع لآراء الشيطان وسياسته وأفاعيله وترك ما جاء به النبي ﷺ من أوامر رب الرحمن، وهذه لو نظرنا إليها في حياة المسلمين لوجدنا أمثلتها كثيرة مما يغري بني آدم الشيطان على أن يستتبعه ويترك أوامر الله ﷻ ﴿وهم لكم عدو﴾ فقد صرح الله ﷻ بالعداوة بيننا وبين الشيطان وذريته ولم يصرح بذلك بيننا وبين الجن بالعموم، ولكن بيننا وبين إبليس وذريته فهي عداوة تاريخية شرعية قال فيها ﷻ ﴿وهم لكم عدو﴾ فهم أعداؤنا، في القرآن يقول: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا... من أصحاب السعير﴾ فعلاقتنا بإبليس وذريته علاقة عداوة ليس فيها صداقة إلى يوم القيامة، أما فئات الجن الآخرين فلم شأن آخر، لهذا وجب على كل مسلم ومسلمة أن تستعيذ بالله من الشيطان ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾ فالشيطان له سلطة علينا، وله قدرة، وهو قد طلب ذلك من ربه يوم طرده الله ﷻ، قال ﴿رب بما أغويتني لأزينن... المخلصين﴾ وهكذا أعطاه الله المكث في الأرض ﴿قال رب أنظرني إلى يوم يبعثون...

الوقت المعلوم﴾ فانظره الله إلى القيامة وأطال له في العمر وأعطاه من خرق العادة ما لم يعط أحد من خلقه، فيستطيع إبليس أن يدخل في ذهن الإنسان وجسمه وقلبه ويسير مع دمه ويوسوس له ويغشى الإنسان في أهله وماله وولده، هذه كلها من الله أعطاها الله إبليس لأجل أن يستفرغ كل ما له من خير بهذا العطاء في الدنيا، ثم لأجل يذيقه العذاب الأليم يوم القيامة، ولأجل أن يبتلينا الله، فكان من الله ابتلاء لبني آدم، لهذا قالﷻ في البشر الذين يجعلون إبليس صديقاً لهم ويتبعونه في كل ما يدعي إليه ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ أي بئست عبادة الشيطان بدلاً من عبادة الرحمن، ثم مولاناﷻ لأجل أن يبرز لنا ويوضح موقع هؤلاء الأبالسة والشياطين من هذا الوجود أن ليس لهم شيء مجرد مخلوقات ضعيفة ولا ينبغي لمسلم أو مسلمة أن تخاف من الشيطان فإن الشيطان في ذاته ضعيف، ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ ولكن إذا لم يتقوى الإنسان بطاعة الله وبالعلم ويتسلح بالعبادة والأوراد وفعل الخير فإن الشيطان يتسلط عليه ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ أما إذ عرف الإنسان قدر ربه وأعطاه الله من التحصين والعلم والخير الكثير الذي جاء به البشير النذير فإن الشيطان فعلاً يظهر كيده لأنه ضعيف، لهذا بين الله أن إبليس ضعيف وذريته كذلك، فليسو بذات قوة، قالﷻ: ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض... ﴾ أي أن هذا الشيطان ومن معه الذين عبدتموهم من دوني وعظمتموهم في الدنيا واتبعتموهم فيما دعوكم إليهم من الانحراف والانصراف والبعد عن الله وعبادة الأوثان والوقوع في المحرمات واستتباع الشهوات ليس له مقام عند الله، فما له شيء في السماوات والأرض وليس له حضور يوم خلق الله السماوات والأرض ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ ما كان اللهﷻ في بناء السماوات والأرض والكون يحتاج إلى مثل إبليس أو مثل هذا المخلوق المضل، فاللهﷻ جعل له ملائكة وأيد هي التي قامت بامره بهذا الوجود والكون، أما إبليس فهو مطرود فليس له في هذا الوجود العظيم ذرة من ذرات المسئولية، هذه إشارة عظيمة تبين لنا سقوط إبليس من عين الله وانه ليس بشيء وأن من اتخذه من الناس مرجعاً أو جعله سنداً كالسحرة أو الصرف أو الضارين للناس بالطلاسم لصرف المرأة زوجها أو صرف الرجل عن تجارته هؤلاء يعظمون إبليس ويستخدموه، وإبليس مباشرة عندما يستعين به أحد بمرادات الإفساد في الأرض يتحرك فله جنود تحركهم الحروف والطلاسم وما يفعله السحرة والمشعوذون، فلربما التجأ بعض الناس إلى هذا الأمر فوقعوا في الكفر، لذلك لا ينبغي لنا أن نعتقد أن لإبليس أي قوة، حتى عندما يؤثر السحر أو الصرف أو المنجّم ليس ذلك التأثير منه، لكن الله أجرى هذا التأثير ابتلاء من عنده على يد إبليس وأعوانه، هكذا مذكور في سورة البقرة وما يشير إليهﷻ ﴿ويفرقون به بين المرء وزوجه.. بإذن الله﴾ فالضرر والنفع كله من الله، لكن جعل للضرر أسباباً وللنفع أسباباً ** ، ﴿ويوم يقول نادوا

شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ فيوم القيامة لكـي يثبـت الله فـشل إبلـيس ودعوتـه ويثبت للعالم والبشرية أن الذين عصوا الله واتبعوا الشيطان وجعلوا للـشيطان مكانـة في الحيـاة أنهـم قـد أخطئوا وأشركوا بالله وجعلوا للشيطان نصيب في هذا الوجود من التأثير وهو لـيس بـشيء، فيقـول لهـم المولىﷻ: ﴿نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ الآن وقد جمعكم الله في هذا المحشر والنار تسعّر، هاتوا إبلـيس الذي اتبعتموه، أنتم يا تاركي الصلاة المنحرفين عن جادة الطريق المتبعين للسحرة وأهل التـشويه والأذى وأكلتم أموال الناس بالباطل وجاوزتم الحدود الشرعية، جميعكم اتخذتم الـشيطان إلهـاً، خلـوه يـنفعكم، يقول ادعوه لأجل ينفعوكم وادعوا أبالسة الدنيا من كان له إبليس من أبالسة الدنيا، كزعيم مـن الـزعماء الذين يدعون الناس للانحراف كالإلحاد والعياذ بالله، أو أنكروا وجود الله، أو من قالوا لا داعي للـصلاة والصوم الناس ما عليها خطر هذا ليس كلام العلماء والعياذ بالله بل حصل من بعض الناس، فيقـول لهـم مولانا تعالوا إذن الآن وقد أظهر الحق وجاء بالملائكة فيقول: نادوا شركائي الذين زعمتم، فيـدعون: يـا إبليس يا فلان يا فلان يا فلان فلم يستجيبوا لهم، لماذا؟ لأن الاستجابة منقطعة، فمن الذي يوصل السمع والكلام إلى الآذان أليست قدرة الله، ومن يجعل المجيب يجيب أليست قدرة الله، فهؤلاء دعوا إبليس وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً في عالم الله، والذين اتخذوا من دون الله شركاء أو آلهة أو أنداداً أو ظنـوا أن هنـاك في هذا الوجود من ينفع أو يضر ** يبوء يوم القيامة بالخسران، فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بيـنهم موبقـاً، أي مهلكة وطريق وعرة لا يستطيعون اجتيازها وهي النار والعياذ بالله ** ** ابيضت ألف عـام حتـى اسودت فهي سوداء مظلمة تكون حاجز بلا شك بين إبليس والناس ممـن كـان مؤمنـاً، وكـذلك أولئـك الذين كفروا والعياذ بالله بمولاهم واتبعـوا إبلـيس يـدخلون ويكبكبـون مـع إبلـيس وفرعـون وهامـان وقارون في ذلك اليوم العظـيم ﴿وجعلنـا بيـنهم موبقـاً. ورأى المجرمـون النـار﴾ ورد في الحـديث عـن النبيﷺ أن النار تبرز وتظهر يبرزها الله تعالى ويأتي بها بسبعين ألف ملك وهي مغلغلة بالسلال مـن كـل جانب وتلتهب لهبها مثل أعناق الإبل كما قيل، تريد أن تهجم على أهل الموقف ولها صوت وزفير، فيراهـا المجرمون الكفرة أولئك الذين عبدوا الشيطان والأوثان وعصوا الرحمن وماتوا على غير الإيـمان والعيـاذ بالله، فلما يرون النار ولهيبها وشررها كأنه جمالات صفر كما وصـفه الله في سـورة المرسـلات فظنـوا أنهـم مواقعوها، ومعنى ظنوا أنهم مواقعوها أي أيقنوا أي تأكدوا تماماً أن هذه النار الملتهبة هم أهلها، لأن ليس لهم عمل ولا رجوع إلى الله ولا رصيد من الأعمال الصالحة تلك الساعة، وداخلون فيها ﴿ولم يجدوا عنهـا مصرفاً﴾ أي مافي مخرج ثاني ولا طريق لأن النار تحيط بأهل الموقف من كل مكان وليس بين الناس والجنة إلا الصراط فيضرب الصراط على رأس جهنم وذاتها ومتنها فهي تحيط بالكـل وتلتهـب والنـاس في قلـق

وخوف، فيضرب الصراط وما هو الصراط؟ هو عبارة عن معبر وممر لا يدخل في العقل أن يمر عليه إنسان لأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، ومن ذا الذي يستطيع أن يسير على جسر أدق من الشعرة وأحد من السيف وفيه كلاليب سماها النبيﷺ كلاليب كشوف السعدات تمسك العصاة والظلمة وأتباع الشيطان فيهوون في نار جهنم، فذلك موقف مخيف مثله الله لنا في هذه الآية، ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾لا مخرج ولا مهرب ولا تنفع فيه شفاعة لأن هذا الموقف لا تنفع فيه شفاعة لكافر ولا لإبليس وإنما الشفاعة لمن أراد الله لهم الشفاعة بصفة أخرى وبحال آخر.

أحاطت بهم النار من كل جانب فلم يقدروا على الهرب منها، ويتأكد ويتيقن أولئك القوم تلك الساعة أنهم وقود النار والعياذ بالله، انظروا كيف القرآن في هذه الآيات التي سمعناها والتي ورد لنا من شرحها هذه المعاني أن اللهﷻ قد أوضح لنا وصور علاقتنا بآدم وأنه قد منحنا الشرف بهذا المخلوق، وكرم بني آدم كلهم بأن خلقهم للخلافة وأوجدهم في الأرض للاتباع وأمرهم الالتزام وشرفهم بسجود الملائكة وطرد إبليس، فهذا شرف ينبغي لنا أن نحمد الله عليه، ثم حذرنا بعد ذلك مولانا ألا نكون عرضة لإبليس الذي ليس له وظيفة إلا الأذى، فقد أغوى آدم عليه السلام في الجنة وأخرجه منها، وأغوى حواء عليها السلام وهي كانت السبب في خروج آدم، ومن العجب أن حواء أول من أثر على آدم عليه السلام، فكانت المرأة في كل أحوالها مؤثرة على الرجل، بل ربما كانت المراة سبباً من الأسباب الخطيرة في وقوع الرجل في الانحرافات، لهذا حذر اللهﷻ المؤمنين من الدنيا والنساء، وهذا تحذير للنساء حتى يعرفن موقعهن من هذا الأمر فيتعلمن ويتعرفن ويتأدبن ويقمن في أنفسهم ما أقام الله لهن من شروط الحشمة والأدب وغض البصر وغير ذلك من تحصين الجوارح وعدم الوقوع في الشبهات وحفظ اللسان وكل ما منحها الله تعالى من النعم ** النساء كانت سبباً في الفساد والانحراف كما سمعتم في أحاديث النبيﷺ وبني آدم خلقه الله ضعيف لهذا حواء عليها السلام لما خلقها الله لآدم وكان لوحده فطلب له من يؤنسه، فخلق له حواء في الجنة فآنسته وعاشت معه ثم بعد ذلك لما دخل إبليس إلى الجنة لإغوائهم ما وجد طريق لآدم إلا من طريق حواء فزين لها الشجرة وقال لها أن هذه الشجرة لو أكلتم منها لن تخرجوا من الجنة أبداً، فجاءت حواء وآدم عليه السلام وأثرت عليه، حتى ورد في بعض الروايات أنها أخذت الثمرة من الشجرة وأدخلتها فم آدم وهي تريد أن تقول إن أردتني أن أرضى وأفرح منك كل من هذه الشجرة، فكأن آدم بعد قضاء الله وقدره استجاب لرأي حواء أكل من الشجرة، ثم أكلت حواء فوقعا والعياذ بالله في الخطيئة بسبب إبليس، ولكن كما تعلمون أن اللهﷻ علمنا أن الخطيئة من ** بني آدم وأن العبد خطاء، لكن خير الخطائين التوابون، فنفهم أن آدم عليه السلام وحواء لما حصل عليهم الأكل

من الشجرة أخرجهم الله من الجنة إلى الأرض، تنفيذاً لأمر الخلافة، لكن خرج إبليس أيضاً، فكـان طـرد إبليس خروج عن مملكة العبـادة للمـولى للكفـر، وإخـراج آدم إعـمار لـلأرض بـالإيمان، فـأهبط آدم إلى الأرض وأهبط إبليس إلى الأرض وجعل كل منهما عدواً لآخر، هذا ما يسموه صراع الأضداد، أي أن الله تعالى حكمة عندما جعل آدم يخرج من الجنة ومعه حواء وعاقبهم فعاقب حـواء بـأن أنزلهـا في جـدة مـن أرض الحجاز وآدم انزله في الهند في منطقة اسمها سرنديب، وبين المنطقة هذه وهذه مسافات ثم جعل آدم يبحث عن حواء من مكان إلى مكان حتى وجدها في عرفات، لهذا سميت عرفات، عـلى كـل حـال هـذه كلها إشارات تعلمنا أن الله ﷻ قد أحسن إلينا إحساناً عظيماً بأن شرفنا بهذا الخلـق وسـجود الملائكـة لآدم ** وذريته نالوا نصيب من هذا السجود وهو الاعتراف بالفضل، فعلينا أن نتفقد هذا المعنى، وننظـر إلى ما دعانا إليه مولانا من حسن الاتباع، لهذا قالﷻ: ﴿ولقد صرفنا في هذا القـرآن للنـاس مـن كـل مثـل﴾ بعدما تكلم القرآن عن قصة آدم وإبليس وعن القيامة وما يحصل في هذا العـالم مـن التحـول والتغـير ثـم تكلم الله ﷻ عن القرآن ذاته لأجل أن نتحبب إلى كتاب الله ونستفيد منه ونستأنس ويكون كل واحـد مننـا لما يفتح هذا القرآن يستشعر أن هذا القرآن أعظم معالج في هذا الوجود لكل شيء من شؤون الحيـاة فـإن كان الإنسان مهموماً يزيل همه بالقرآن أو مريضاً يرفع مرضه بالقرآن أو مغموماً يرفع غمه بالقرآن، ولأن القرآن مليء بالعجائب والغرائب والقصص وأنماط وأخبار الأمم مليء بالحكم فما من شيء إلا وذكـره الله في القرآن ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ لهذا يقول تعالى: ﴿ولقد صرفنا...﴾ يخاطب الرجال والنـساء ماذا تريدون ف هذا العالم؟ اليوم في زمنكم هذا تجد الرجال والنساء يبحثون عـن القـصص والحكايـات والمسلسلات، ويستفيدوا من هذا ويرتاحون من باب أنها أعاجيب الناس وأخبـارهم ومـشاكلهم وكثـير من الخلق يميل إلى التعرف على مشاكل أشباهه وأمثاله، لكن المولىﷻ أراد أن يميزنا نحن أتباع هذا النبـي الكريمﷺ، أن كتابنا العظيم القرآن الكريم هو أعظم مرجع ودسـتور ومرجعيـة لكـل مـا نحتـاج إليـه، ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ من كل مثل يعني من كل شيء من كل فكرة أو رؤية أو خبر أو تاريخ أو حاضر أو ماض أو مستقبل، كل هذا موجود في القـرآن، فهـو مـليء بـالحجج والمـواعظ ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ فطبيعة الإنسان الذي خلق الله فيـه عنـصر الطـين والمـاء وخلـق فيـه عنصر الكسل والدعة والراحة هذا ما يميل إلى الفـضائل كثـيراً، ولا إلى الأخـذ بالجـد والعـزم، قـالﷻ: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ الإنسان فيه الدجل والخـصومة وطبيعتـه لا يرجـع لحـق ولا ** ولا يفهم ما المقصود من قولهﷻ ﴿ولقد صرفنا...﴾ فمـستوى فهـم البـشر وشـواغلهم في الـدنيا ورغبـاتهم الذاتية لما هم فيه من انشغال في أمورهم لا يجعلهم يشعرون أن هذا القرآن يستحق أن نتدبر فيـه ونبحـث

عن الأمثلة والقصص والمواعظ والعبر، قليل كما قال تعالىﷻ ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ إذن قال مولانا الأنسان أكثر شيء جدل، يحب الاعتراض ولا يستسلم ولا يسلم بسهولة، دائماً في اعتراض ومعاندة حتى مع الحقﷻ، هكذا يقرر المولى كيف صفات طباعنا البشرية، لكن ما الذي يروض العقل والقلب ويبعد عنا الجدل؟ هو الإيمان الكامل بما جاء عن الله وبما جاء عن رسول اللهﷺ، قالﷻ: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا﴾ لاحظواﷻ هذا المعنى العجيب إلى ما يشير إليه مولانا، أن الأنبياء في كل زمن لم يقصروا منذ عهد آدم إلى عهد نبينا وحبيبنا محمدﷺ فما من أمة إلا وشرفها ببعثة نبي وما من أمة إلا وأرسل إليها رسول خشية من أن يقعوا في الكفر أو يكونوا وقوداً للنار ويموتوا على انحراف، والعياذ بالله، فأقام الله عليهم الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾ وما منع الناس لكن الناس امتنعوا، قام سيدنا نوح ألف سنة إلا خمسين عام فما آمن معه إلا قليل، سيدنا إبراهيم قادم يدعو إلى الله فما آمن معه إلا قليل، سيدنا لوط‌عليه السلام قال: ما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين، بيت واحد، بلاد كاملة طويلة عريضة فيها عشرات ومئات البشر لم يؤمنوا بهذا النبي إلا بيت واحد وعاد هذا البيت فيه خلل، كانت زوجة لوط‌عليه السلام كانت والعياذ بالله قد ماتت على كفر، فإذا كان الحال كذلك ما السبب وما الذي جعل الناس على هذه الصفة من الانحراف، وما الذي أوصلهم إلى هذا أي البعد عن الله والطرد عنه، قالﷻ: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا﴾ أي لم يمنعهم من الإيمان ** الهدى من الله ويستغفروا ربهم من الآثام والذنوب ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ أي أنهم لا يصدقون، إذا أحد أخبرهم أن الله قد أهلك قوم نوح قالوا لا نعلم ذلك، من قال ذلك لا يوجد دليل أو تأكيد أنه أهلك نوح وقومه أو أهلك هود وقومه أو أهلك فرعون وأهله، فلما أنهم يريدون أن يعرفوا كيف أهلك الله أولئك القوم لضلوا في طغيانهم وفي انحرافهم لأن طبيعة الإنسان الانحراف والجدل والخصومة واللجاج حتى مع الأنبياء، فيفوت عليهم الخير الكثير، وتأتي آيات المولى ويأتي غضب الله على بني آدم وهو بعد لم يرجع أو يؤمن ولم يعرف حق خالقهﷻ، إلا أن تأتيهم سنة الأولين، وما هي سنة الأولين؟ سنة الأولين هي العذاب التي عذب الله بها الأمم، فما من أمة إلا وعذبت وأهلكت عندما خالفت أمر الله وتركت الواجبات ونفت توحيد الله وحاربت أنبياء الله فأهلكهم الله، فقالﷻ أن هذه الأمة وغيرهم ممن سبق أصابهم الإحساس بعدم المعرفة بالماضي، وهذا الآن في حياتنا موجود، الآن مثلاً كثير من المسلمين للأسف عندما يقال لهم ان العصور الماضية التي مرت بنا في بلادنا هذه كانت سيئة، في بنات وأولاد ورجال لم يعيشوا مرحلة الشيوعية والإلحاد، يقولون يا ليت لو ذيك الأيام ترجع، كان السكر فيها

رخيص والرز سهل نحصله ما هو كما ذحين الرز غالي واللبن غالي وكل شيء غـالي، لـو كنـا جينـا ذيـك الأيام أيام الاشتراكي كان أحسن، لماذا؟ لأن الناس لا تفكر بعقولها بل ببطونهـا، فالـذي يفكـر ببطنـه لا يعلم إن كان من يحكمه مسلم أو كافر، ولا يدري إن يأتيه الرز والسكر أو يجد الأرزاق متوفرة ما وراءهـا ومن الذي أذل دينك وألزم المرأة بـالخروج ومـن أبـاح شرب الخمـر ومـن سـن الاخـتلاط في المـدارس وأهلك العلماء وأخذ أموال الناس بالباطل؟ لا يحس الناس ولا يعرفوا ما جرى، لـذلك صـار جـزء مـن العلم كشف أسباب التاريخ، لابد تعرف الناس ماذا جرى قبل خمسين عـام، مـا الـذي أودى ببلادنـا إلى الهلاك لماذا لا نجد العلم والعلماء ما الذي أدى بنا إلى الجهل، ما الذي أصاب اليمن وغيرها بالخراب، إذا عرفنا دراسة التاريخ كما يقول القرآن هكذا، يقول أن هؤلاء الأمـم عنـدما لم يعرفـوا أخبـار الأوائـل ولم يدرسوا ما جرى فيمن سبق ظنوا أن الدنيا دنياهم، فطغوا وبغوا حتى يأتيهم نفـس العـذاب الـذي حـل بالأوائل، حتى يأتيهم غضب الله كما غضب الله على الأوائل، نسأل الله لنا ولكم الحفظ والسلامة ومعرفة شرف الإسلام والدين، يقولﷺ مبيناً خبر أولئك فقـال: هـؤلاء منتظـرين أن تـأتيهم سـنة الأولـين مـن العذاب والغضب ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ أي يأتيهم واضحاً وعياناً ومقابلـة لأنهـم لا يحـسوا، حتـى قوم عاد﵇ لما آذوه وأتعبوه أرسل الله لهم المطر، شافوا المطر هكذا شافوا السحب فرحوا كلهـم خرجـوا من الأودية منتظرين المطر والسيل، فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا قال بل هو ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، لماذا؟ لأنهم كفـرة، كفـروا بالله فأجرى الله لهم سحب سوداء ظنوها مطر، فخرجوا فرحانين بها فإذا بها العذاب، نسأل الله السلامة، هكذا كان القوم على هذه الصفة من الجهل والجهالة، فالعذاب القبل الذي يأتي مقابلة مـن المـولى، نـسأل الله يحفظنا ويحفظكم ويحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من غضب الله ومن عذابه ويرعانا بما رعا بـه خـواص العباد، فمن فضل الله علينا أمة محمد أن الله قد رفع عنا العذاب الظاهر لنبينا محمد، قـال: ﴿ومـا كـان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون﴾، نسأل الله تعـالى أن يغفـر لنـا الـذنوب كلهـا ويستر العيوب كلها ويصلح الشؤون كلها ويـدخلنا في بركـة هـذا الحبيـب الأكـرم والنبـي الأفخـمﷺ وبقيت لنا آية واحدة: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين... هزوا﴾ هكذا يخبرنا مولانـا وظيفـة الأنبياء والرسل، قال ما نرسلهم إلا بشارة ونذارة، بشارة للمؤمنين ونـذارة للكـافرين، ثـم يـأتي الكفـار بجهلهم وقلة أدبهم وجرأتهم على الله فيجادلون أهل الإيمان ويجادلون الأنبياء بالباطـل ﴿ويجـادل الـذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ كما تسمعون الآن في حياتكم يأتي الكفار يجادلون أهـل الإيـمان، وقـد ضعف المسلمون، ما ترون الآن ما يدور في فلسطين وبعض بلاد المسلمين من الأذى وانتهـاك الحرمـات،

هذا كله دلالة أن الكفار يريدون أن يحقوا الباطل ويبطلوا الحق، نسأل الله الحفظ والسلامة، وهذا سببه ضعف المسلمين واستتباع الكفار، قالﷻ: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ كيف الحق يصبح داحض والباطل منتصر؟ لكن سببه حب الدنيا، اليوم في زمنكم هذا وعصركم بلدان مسلمة وزعماء مسلمين للأسف يذهبون إلى بلدان الغرب ويوقعون على حقوق المرأة على مقتضى ما يريد الكافر، من أين تأتي حقوق المرأة، من الأمم المتحدة وفرنسا وبريطانيا وأمريكا؟ هذه حقوق المرأة؟ بل هذه حقوق الكفرة والسفهاء، أما حقوق المرأة فما تأتي إلا من القرآن والسنة، والعجيب في عصركم وزمنكم هذا أن مسلمين وزعماء مسلمين يوقعون مع الكفار والغربيين كي يطبقوا في عالم المسلمين حقوق المرأة على مقتضى ما يريده الكفار، نسأل الله الحفظ والسلامة مما حل بأمة لا إله إلا الله، لهذا قال مولانا واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا، كيف القرآن يقدم لنا في حقوقنا ويقول قل للمؤمنين يغضوامن أبصارهم؟ قل للمؤمنات: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن، القرآن ملآن بنظام المرأة وأخلاقها وسلوكها، عاد نحن محتاجين لدستور الغربيين والشرقيين لأجل يعلمونا والعياذ بالله الجرأة والاختلاط وقلة الأدب ويسمونها حقوق الإنسان أو حقوق المرأة، قال مولانا في المسلمين وغير المسلمين: ﴿واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا﴾ صاروا يهزأون بالله ورسول الله وبالدين من أجل المصالح والبطون والعيش في هذه الدنيا والتمتع بالمتع الحرام والشبه والعياذ بالله.

أسأل اللهﷻ أن يحفظنا وإياكم ويحفظ بلادنا ويرعانا وإياكم بما رعى به خواص عباده الصالحين، اللهم علمنا من كتابك ما يصلح به حالنا وأقوالنا وأفعالنا وحاضرنا ومستقبلنا، اللهم علمنا من هذا القرآن وذكرنا منه ما نسيناه، وعلمنا منه ما جهلناه، واجعلنا ممن يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، اللهم بارك لنا في هذا الشهر المبارك واجعلنا فيه ممن أحسن العلاقة بك، واغفر اللهم لنا فيه الذنوب واستر العيوب وامنحنا نصيباً من التوبة والأوبة والرجوع والخدمة لك ولنبيك ورسولك ظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله رب العالمين، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قالﷻ في كتابه العزيز: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها...موعدا﴾ هذه الآيات والكلمات من سورة الكهف وقد سبقت قبلها الآيات من ذات السورة تطرح لنا وظيفة الأنبياء والرسل، وأن اللهﷻ جعل هذا الوجود محكوم بالرسالات، فلا تأتي أمة إلا ويرسل الله إليها مبشرين ومنذرين من البشر، وبطبيعة حال الكفار دائماً يجادلون بالباطل ويردون دعوات الحقﷺ ويحاولون دحض الحق بما يأتينا به من الأكاذيب

والأضاليل، ويتخذون آيات الله وما أنزله الله هزواً وسخرية يسخرون منها، وهذه الصفة بـرزت في كـل الكفار على ممر العصور، والله ﷻ يغضب ويغار على دينه، ولهذا قال في كتابه ﴿ومن أظلم ممن ذكـر بآيـات ربه فأعرض عنها﴾ أي ليس أحد في هذا الوجود وصل إلى أعلى درجة من حـق الظلـم لنفـسه مـن حـق الظلم لغيره ممن ذكر بآيات ربه أو ممن بلغت إليه رسالة الأنبياء ووكلـت إليـه دعـوة الرسـل ووعظـه الله تعالى بالآيات وأقام عليه الحجج الساطعة بالرسالات لكنه تعامى عن الحق وتناسى الحجج ولم يلقـي لهـا في حياته بالاً وأعرض عنها، فقد وصل هذا الإنسان سواء كان رجلاً أو امرأة أو حاكماً أو عالمـاً أو مـتعلماً أو أي إنسان في هذا الوجود فرداً أو جماعة أو أمة أو غير ذلـك، فكـل مـن أنـذر بآيـات الله وبلغـت إليـه رسالات الله وبلغه خبر النبوة للأنبياء ثم أعرض وكذب ورد هذا البيان الإلهي فقد بلغ أعـلى درجـة مـن درجات الظلم والعياذ بالله، وبطبيعة حال الظالم الذي يعرض عن آيات المولى ويأبى ما يريـده الله في هـذا الوجود كما حصل في عهد فرعون والنمـرود والأقـوام الـذين وصـفهم الله في القـرآن عـلى ** الأنبيـاء فكذبوا بالرسالات وآذوا الأنبياء وأعرضوا عن ذكر الله، قال المولى أن هؤلاء مما فعلوه من هـذه الأفعـال قد نسوا ما قدمت أيديهم ﴿ونسي ما قدمت يداه﴾ وهـذا النـسيان بطبيعـة حـال الظـالم والطـاغي الـذي يرتكب الأفعال القبيحة والأعمال الشنيعة ولم يتفكر في نتائجها وعواقبها وينـساها لأنـه لا يخـاف الله ولا يفكر في الآخرة ولا يؤمن بما جاء عن الله، أمـا الرجـل المـؤمن والمـراة المؤمنـة فهـي بعـد أن آمنـت بـالله وتذكرت بآيات المولى لاشك أنها ستقبل على الله وتتفكر في عملها وهو الرجل أيضاً في عمله ويتـذكر مـا وقع منه من الخطأ فيبكي عليه ويستغفر ويتذكر مـا عملـه مـن العمـل الـصالح فيفـرح ويرجـو مـن الله الثواب، هذا يبين لنا الفرق بين المسلم والكافر، وبين الطائع والعاصي الذي ظلم نفسه بالنسيان بـما فعـل ونسيان وعيد الله وأعرض عن الله وعن ذكر ربه، هذا تكون له نتيجة خطيرة في حياته، ما هـذه النتيجـة؟ قال ﷻ: ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ بسبب الكفر والمعصية والإعراض وضع الله عـلى قلـب المعرض والعاصي والكافر غطاء وغشاء، هذا لا يرى بالعين لكن من خلال السلوك، فقد قال ﷻ في سورة المطففين: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ فقلوه كلا بـل ران: أي أنـه جـاء وحـصل غطـاء وغشاء على القلوب يسمى الران بسبب المعصية، فيكسو القلب ولا يخـشع لله ولا يتـذكر ولا يخـاف مـن ربه، وسبب ذلك الإعراض والنسيان عما دعا الله إليه والكفار بآيات الله، إنا جعلنا على قلوبهم أكنـة، لأن لكل شيء سبب ولكل فعل رد فعل ولكل سبب نتيجة، لذلك لما كان هناك إعراض مـن بعـض الرجـال والنساء عن الله سبب هذا الإعراض في نفوسهم وقلوبهم هذا الران والاسوداد والغشاوة، كمثل ما ترون إذا ترك الإنسان مثلاً السراج كثير الإضاءة الذي يشتغل بالكاز أو شيء آخر، إذا ترك هكذا يشتعل يعمل

على الزجاجة مادة تكثف بحيث تظلم من كثرة ما يخرج منها من آثار الدخان، وهذا يشبه قلب الإنسان لما يكثر من الظلم ويعرض عن الله ويرتكب المعاصي ولا يتوب ولا يرجع يتكثف على زجاجة قلبه هذا الران فيسود والعياذ بالله، فيكون نتيجة ذلك حصول ما سماه القرآن بالأكنة، جمع كنان، وهو الغطاء، يغطي القلب والعقل والوعي وبعد هذا يكون على قلوبهم أكنة أن يفقهوه، فلا يفهم القرآن ولا يعي العبرة فيه ولا يدرك ما المقصود من قولهﷻ في الترغيب والترهيب والتخويف والعياذ بالله نتيجة الإعراض ونتيجة عدم ذكر اللهﷻ قال﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ أي يعلموه ويعملوا به، لأن الفقه أن يكون الإنسان ملم ومتفهم لمراد الله، ثم قالﷻ واصفاً هؤلاء الكفار وأهل المعصية الذين لا يتوبون قال: إن الله تعالى يجعل على قلوبهم أكنة أي أغطية وعلى آذانهم وقر، والوقر هو الصمم، والصمم المعروف عندنا يقولون فلان أصور، ما يسمع، والمقصود به يجعل على آذانهم صمم معنوي، ما هو أنه ما يسمع بمعنى أن أذنه لا تسمع، من حيث الصوت تسمعه، لكن جعل الله في هذه الآذان صمم معنوي، يعني ما يوجد عندهم سماع تفهم وانتفاع، ولا يسمعون القرآن سماع تفهم ولا يفهمونه للانتفاع، بل يسمعون كقراءة وعبارات وقصص وأخبار، فهذا سببه الوقر الذي يحصل على الآذان، والأكنة التي تحصل وتجعل على القلوب، وكما سمعتم أن الأكنة أي الأغطية والأغشية والوقر أي الصمم المعنوي الذي يكون في أذن وقلب الكافر أو المعرض عن الله سببه الاستمرار والعياذ بالله في المعاصي والإنكار وعدم التوبة قالﷻ مخاطباً لنبيه: ﴿وإن تدعهم إلى الهدى﴾ لو بلغتهم خبر الرسالة وأنذرتهم بالآخرة وخوفتهم بالنار وعرفتهم خطر العذاب ﴿فلن يهتدوا إذن أبدا﴾ بعد أن صار القلب فيه هذا الغشاء ويصبح السمع عليه الصمم المعنوي والختم كما سماه المولى في بعض الآيات الأخرى ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ فإذا جاء هذا الختم والحاجز الذي يحجز بين الإنسان والإدراك والإنابة والتوبة إذا حصل هذا حتى لو علمته أو خوفته أو دعوته إلى الله فقد انمسخ وذهبت عنه وسائل وأسباب الهداية، قالﷻ: ﴿وإن تدعهم إلى الهدى﴾ أي أنت يا محمد هؤلاء الذين أصيبوا بالأكنة والوقر حتى لو علمتهم وقرأت عليهم القرآن فلن يهتدوا إذن أبداً، وهذا واضح فيما كان يفعله النبيﷺ في مكة، مع المشركين من قريش، وما كان يفعله في المدينة مع المنافقين واليهود الذين يسمعون القرآن ويعرفون شخص النبيﷺ ويعلمون صدقه ويستمعون إلى ما يرد على لسانه من كتاب الله والسنة الشريفة، لكن كانوا يقابلونها بالإعراض والإنكار أصابهم الله بهذه الغشاوة على قلوبهم وأصابهم بالوقر على أسماعهم وختم على عقولهم فصارت على هذه الصفة من الإنكار الأبدي وحرمهم الله من بركة الإيمان وحرمهم من بركة الاستجابة وكانوا وقوداً والعياذ بالله لجهنم وبئس المصير، ثم بعد أن أخبر المولى عن هذا الحال الذي

يصيب به هؤلاء الفجرة المنحرفين سواء كانوا من الكفار قريش أو اليهود أو النصارى أو العرب أو رجالهم أو نسائهم أو حكامهم أو شعوبهم بين الله ﷻ بركة هذه الدعوة والعطاء الإلهي للأمم فقال: ﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾ فالمولى من صفاته المغفرة والرحمة فهو غفور ورحيم، الله ﷻ يتجاوز حتى عن الكفار في دنياهم، وإلا على ما يفعلون وما يخالفون وما يعملون من الأعمال المنكرة كان الأولى أن يهلكهم الله في الحال، وأن ينزل عليهم العذاب في الساعة، لهذا جاء أحد الكفار إلى النبي ﷺ وكما ورد في بعض الآيات أنه قال ورسول الله ﷺ: هل ربك من حديد أم خشب أم طين؟ هذا تحدٍ لله ﷻ، وبعدها قال قائلهم: إن كان هذا هو الحق من عند الله الذي جاء على يدك أنت فأنزل علينا حجارة من السماء، هكذا تحدى ربه، وقال لو كانت هذه الرسالة التي جاءت على يد محمد صدق فقال ربي ينزل علينا حجارة من السماء، لكن الله تعالى قادر على أن ينزل عليهم الحجارة ويهلكهم، قال ﷻ: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ الله ﷻ ما ينزل العذاب وفيهم رجل صالح، ولكن يؤخرهم ويؤخر الناس وفي الآية نفسها ﴿وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون﴾، فما دام في المسلمين من يستغفر وشخص رسول الله في الناس فإن الله يحفظ به الأمم والزمن الذي يكون فيه من العذاب، وإلا فالحقيقة أن هؤلاء المشركين بعد أن أظهر الله له الآيات البينات ليس لهم بقاء في الحياة إلا الهلاك، لكن الله غفور رحيم، ﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾ أي واسع المغفرة عظيم الرحمة بالعباد مع تقصيرهم وعصيانهم، انظروا الآن في بلاد الله ترون في بعض البلاد التي فيها الكفار أو بعض بلاد المسلمين التي يرتكب فيها الكفار واليهود الأذى للمسلمين وانتهاك الأعراض والقتل، ما هذا الحال؟ لماذا المولى ﷻ ما يهلكهم؟ في هذه الحالة يرينا المولى كيف يملي الله لهم، وأنه ﷻ قادر على أن يعجل عذابهم، لكنه كتب على نفسه الرحمة وجعل لكل شيء أجل وجعل كل ما يفعله الإنسان محسوب عليهم، وجعل بعد ذلك النكال الأعظم والأكبر يوم القيامة، فقال ﴿لو يؤاخذهم بما كسبوا﴾ لو أن الله ليس بغفور ورحيم ويؤاخذ بسرعة عن العمل ﴿لعجّل لهم العذاب﴾ أي لأسرع عليهم بالعذاب وأنزله عليهم والمولى لا يعجزه شيء، وسيعاقبهم على معاصيهم وإجرامهم ولكن الله ﷻ من صفاته الرحمة حتى في العاصي، فيؤخر عذابه لأجل يستكمل ما له في الحياة الدنيا من كتاب وأجل، وهي سنة الحق في الوجود، كما يقال أن الله يمهل ولا يهمل، لهذا قال في الآية الثانية ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين. ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾ فعرفنا أن تأخير العقوبة على الكفار وما يعطيهم الله من سعة المال والقوة ليس فرحاً بهم أو استحساناً لحالهم، لكن المولى قد جعل لكل شيء أجل وكتاب، وجعل عالم العقوبة يكون في الآخرة، وقد يعجل بعض العقوبات في الدنيا للعاصي وللكافر أيضاً لأسباب هو أعلم بها، قال ﷻ ﴿وربك الغفور ذو الرحمة... العذاب﴾ أي لأسرع

به ﴿بل لهم موعد... موئلا﴾ المقصود أن اللهﷻ قد جعل في هذا العالم وللبشرية كلهـا إنـسها وجنهـا يـوم آخر وجعل يوم القيامة موعداً للحساب وللعقوبة وللثواب وارتفاع الدرجات والمراتب وللقصاص كـما ورد في تفسير بعض الآيات في سورة عمَّ قال أن اللهﷻ إذا بعث العباد يوم القيامة في المحشر الأكبر أول ما يبدأ فصل القصاص بين البهائم فيؤتى بالشاة الجلحاء والقرناء، والشاة الجلحاء التي ليست فيهـا قـرون، فتشتكي هذه التي لم يأتي بها قرون بأن الشاة ذات القرون قد نطحتها في الـدنيا، قـال في التفـسير: «إن الله يقول أنا أحكم الحاكمين» يقول للشاة التي ليست لها قرون يضع لها قرون من النار، فيقول انطحـي هـذه الشاة كما نطحتك في الدنيا فتنطحها ثم يقول كونوا تراب أو كوني تراب، فتصبح تراب، يوم يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً، فهذا المقصود به أن الآخرة كل شيء يؤجل إليها سواء كان بالنسبة لما يفعلـه الإنـسان من معاصيه وكفره وظلمه لنفسه وللناس فقال الله ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلـم نفـس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسـبين﴾، ولعـل في هـذا بالنـسبة لنـا كمـسلمين رحمة، لأن الإنسان تقع منه المعصية والانحراف والخطأ فإذا تـاب تـاب الله عليـه، وإن رجـع وصـدق في رجوعه غفر الله له، وأما الكافر يملي الله له ويزيده من النعم حتى يزداد في المعصية والعتو والنفـور حتـى يستوفي أجله، فإذا جاء وقت الأجل أظهر الله معاني العذاب والعقاب من عند الموت إلى البرزخ إلى القـبر إلى ما بعد ذلك إلى يوم الحشر والنشر ثم بعد ذلك يكون والعياذ بالله المصير الأبدي إلى النار.

فمن هنا نعلم أن اللهﷻ غفور رحيم ومـن معـاني الرحمـة والمغفـرة تأجيـل العـذاب حتـى عـلى غـير المسلمين لما يأخر عذابهم وقد ورد في بعض الروايات عن هذا المعنى أن رجلـين أحـدهم مـسلم والآخـر كافر كانا في بلدة من البلاد، حضرهما الموت، فالرجل المؤمن حضره الموت والكافر كذلك، فتمنى الكافر عند موته سمكة، كان يقول لأولاده هاتوا لي سمك أريد أن آكل سمكة عند موته وهـو يحتـضر، فـذهبوا إلى البحر فوجدوا السمكة عادها خرجت طرية من البحر، فأخذوها وطبخوها وأكلها ذلك الكافر حتى شبع ثم مات، وفي نفس الوقت واللحظة كان الرجل المسلم في بيته يحتضر المؤمن يحتضر، فتمنى شيء من الزيت أو الدهن، فأشار إلى أولاده أن يأتوا إليه بالزيت وكان في البيت موجود، فقامـت زوجتـه أو أهلـه فبعث الله الفأرة فجاءت إلى زجاجة الزيت فرمتها على الأرض وانكسرت فمات الرجل المـؤمن ولم يـذق بعد هذا الزيت الذي يتمناه عند الموت، فضجت الملائكة وقالت: يا رب هذا عبدك المؤمن الـذي يعبـدك ويعمل العمل الصالح تمنى أن يأخذ جرعة من الزيت عند موته فحركت الفـأرة لتكـسر زجاجـة الزيـت ليموت الرجل وفي قلبه حسرة أنه لم ينل ما تمناه، وذاك عبدك الكافر الفاجر تمنى سمكة فـأمرت الملائكـة أن يحركوا البحر حتى يأتي السمك إلى قرب الساحل فيصاد فيجده الرجل فيطبخ له وياكله ويموت هنيئاً

شبع، كيف ذاك؟ تعطي الكافر ولا تعطي المؤمن؟ قالﷻ: انظروا يا عبادي: انظروا ماذا أعددت لعبـدي المؤمن بهذه الحسرة التي اكتسبها يوم لم يجد ما تمناه، فإن هذا العبد يريد الله أن يرفعه درجـات في الجنـة لا يصل إليها إلا بهذه الحسرة فلم يعطه الله هذه الجرعة من الزيت، قال: انظـروا كـم لعبـدي الـصالح مـن مراتب في الجنة بعد أن مات وفي قلبه حسرة على شيء لم يحصله، وأما هذا الكافر فإن له حسنات في الـدنيا يعمل عمل طيب مع الناس وهو كافر، فقال المولى: إن هذا العبد الكافر له حسنات في الدنيا، ولا أريد أن يموت وينتقل إلى الآخرة وعندي له شيء، لكني أعطيته ما تمنـاه حتـى لا يـأتي إلي إلا وقـد صـار مـؤهلاً لجهنم، فانظروا كم له في جهنم من الدركات والعذاب بعد أن استوفى ما له.

هذا يعلمنا أن الله أعلم بالعباد، فقد يتعب المؤمن وقد يصير المؤمن في فقر وجـوع وضـنك، عليـه أن يرضى بقضاء الله ويفرح به وكذلك قد يعطي الله الكافر والفاسق وكل شيء من عنده وهو الذي يحاسـب العباد فيمنع هذا ويعطي هذا وما شيء مثل الرضا، لهذا قالﷻ: ﴿لو يؤاخـذهم بـما كـسبوا﴾ أي الكفـار ﴿لعجّل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً﴾ ما في مهـرب فكيـف بـايروحوا النـاس أو يذهبوا؟ هل يستطيع أحد أن يخبئ نفسه في مكان كيلا يخرج يوم الحشر والنـشر؟ هـل تـستطيع امـرأة أن تذهب إلى مكان آخر وتهرب عن ربها؟ لا يقدر أحد أن يذهب إلى مكان، ﴿لن يجدوا من دونه موئلا﴾ لا مكان آخر فيه ملجأ ولا منجى، لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، فلهذا يجمع العباد كلهم، حتى ورد في الحديث أن رجلاً من بني إسرائيل كان مسلماً ولكنه عليه ذنوب كثيرة، فماذا فعـل؟ قـال لأولاده: إذا أنـا مت وجاءني الموت فأحرقوا جسمي، ثم اجمعوا الرماد وذروه في يوم ريح شـديدة حتـى يتفـرق في الـدنيا والوجود، لماذا؟ قالوا لأنه كان خايف من ربه أن يعذبه فقال فعل هذا العمل، فنفذ أولاده وصيته مـع أن ** الوصية لا تنفذ، لو واحد وصى أن يحرق لا تنفذ وصيته لأن الوصية ينبغي أن تكون مرتبطة بالـشرع والشرع لا يجيز الحرق بل الدفن لكن هؤلاء في بني إسرائيل نفذوا وصيته وحرقوه وجمعوا الرمـاد وذروه في يوم ريح شديدة حتى تفرق في كل مكان ورد في الحديث أن اللهﷻ قال للريح قفي، وقفت الريح، قـال لأجزاء الجسم اجتمعي، فاجتمعت كل أجزاء الجسم وذراته، فقال له مولانا: يا عبدي: لم فعلـت هكـذا، وأمرت بحرقك وذرك في الريح؟ قال: يا رب خوفاً من غضبك وعقابك. قال: هـل اسـتغفرتني؟ قـال: نعم. قال: قد غفرت لك. ما دمت استغفرتني قد غفرت لك بعد فعلك هذا، فهذا يعلمنا أن اللهﷻ كتـب الرحمة على نفسه للعباد ولكن ليس المقصود بالرحمة أن الإنسان يستمر في التجاوز والإعـراض والكـسب الخطأ هذا بالنسبة للمؤمن والمسلم، أما بالنسبة للكافر فالأمر واضح أنه ما لـه رحمـة في الآخـرة، إنـما قـد يحصل على شيء في الدنيا مما يسهل له أمر معيشته وحياته أو قضاء الحاجات أو غير ذلك، فالآخرة ما فيها

ملجأ ولا مهرب ولا أحد يقدر يهربوه بعيد من موقع العذاب أو يجد منفذ، قال‌ﷻ: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا.. بسلطان﴾ بعض أهل العلم فسرها بأن الله يجمع كل أهل السماوات يدورو على أهل الأرض سبع حلقات، ثم يجري العقاب والحساب، يقول حد يقدر يهرب؟ لا أحد، مالنا من ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، لهذا وجب الاعتبار والادكار والتوبة والتذكر لهذا الأمر، حتى يموت وهو على توبة ويجد له مكانة عند ربهﷻ، ثم قالﷻ مخاطباً نبينا محمدﷺ عن الأمم السابقة: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾ واحد لما يتفكر في الزمن الماضي أو الزمن القريب مننا، عندنا في بلدنا هذه كم أناس ظلمت، وفعلت الشر، وقتلت، وحكمت، وأخذت أموال الناس بالباطل، ذهبو.. انظروا كيف الظلم لا يبقي شيء، ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكم موعدا﴾ فالذي يرسل المواعيد للهلاك ليس العباد بل الله، لكن قد يأتي الهلاك بين العباد بأيدي العباد، لكن من المحرك؟ هو الله، من المسبب؟ هو الله، فما من ظالم إلا وقصمه الله، وما من متجاوز على الله إلا وأهلكه الله، ﴿وتلك القرى﴾ إذا نظرنا في القرآن بما أخبر عن قوم لوط وقوم صالح وقوم شعيب أين ذهبوا؟ كلهم أهلكوا وأبيدوا عن الأرض وأهلكهم الله في ظروف خطيرة لما ❊❊ كلام ❊❊

❊❊ النصيحة مشروطة بالحكم والموعظة الحسنة لأجل نتحبب إلى الدين ونحبب أنفسنا إلى الاتباع ونحبب نساءنا وأولادنا وأهل أوطاننا إلى السلوك هكذا يكون وتكون النصيحة، حتى مع العصاة، الله تعالى كتب المعصية على البعض، فصارت المعصية والعياذ بالله تشغله بليله ونهاره، كيف نعمل معه؟ هكذا نحتقره؟ لا، بل ندعوه إلى الله باللطف والحسنى، قيل أن سيدنا الإمام أبو حنيفة‌ﷺ وهو صاحب مذهب، لكن عرف كيف ينصح الناس، قالوا كان له جار يضرب العود ويغني، إذا جاء أبو حنيفة مع الطاولة بايدرس قام هو شل العود يخزيهم خزى ويضرب بالعود، قالوا له الطلبة: يا شيخنا هذا الرجال جارك ما يستحي إذا جينا نتعلم هو يضرب بحقه العود هذا؟ قال: هذا جارنا وله حق علينا لا تأذوه، واستمر على هذه الحال حتى أراد الله يوم من الأيام معاد له صوت، فسأل أبو حنيفة: أين هو معاد نسمعه يغني، قالوا له: قد سجنوه بعد ما حصلوه سكران، قال أبو حنيفة: وجبت الشفاعة. وذهب بنفسه إلى الحاكم وقال له هذا جاري أشفع فيه أخرجه من السجن، فأخرجه من السجن، وقال له خذه معك، فجاء بالرجل هذا في الطريق يقول له يا فلان كنت دائماً تغني ونسمعك تقول في الأغنية «أضاعوني ❊❊ أضاعوا بيوم كريهة وسداد رأي❊❊» أترانا أضعناك؟ قال لا يا أبا حنيفة جزاك الله خير، وبسبب هذا الأدب والخلق مع العاصي هذا الرجل صار من تلاميذ أبو حنيفة، لماذا؟ لأنه ما صاح فوقه ولا آذاه، لكن استجلبه باللطف وإذا الناس حصلوا اللطف بايرجعوا للدين، المهم لا تكون شدة مخرجة عن اللطف

والأدب مع أمة محمد، فالعاصي يعصي بأمر الله والطائع يطيع بأمر الله وكلنا تحت أمـره وقـضائه وقـدره، فمن أطاع الله عليه أن يتأدب في طاعته، ومن عـصى فليرجـوا مـن الله أن يتـوب عليـه ويرحمـه، وهكـذا تستقيم قناة الاتباع كما سمعتم في كتاب الله مما صار في الأمم السابقة والأمم اللاحقة.

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في الدين ويعلمنا التأويل ويسلك بنا خير الـسبيل ويـدخلنا مـع ** اللهـم ارحمنا والحاضرين والحاضرات برحمة من عندك يظهر أثرها على الأقـوال والأفعـال ووالنيـات والآمـال واصلح البلاد والعباد وارفع ما حل بهذه الأمة من البلاد والحروب والفتن والإحن ظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين بسر أسرار الفاتحة إلى حضرة النبي.

قـال الله في كتابـه العزيـز: ﴿وإذ قـال موسـى لفتـاه لا أبـرح حتـى أبلـغ مجمـع البحـرين أو أمـضي حقباً...علماً﴾ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، هذه الآيات مـن سـياق سـورة الكهف، و سبقت معنا الآيات الأولى التي قد مر معنا شرحها، وفي هذه الآيات التي استمعنا إليهـا تـشير إلى مسألة القصة في القرآن وأن للقصة في القرآن مكانة عظيمة وخاصـة أن القـرآن قـد اعتنـى بالقـصص المتعلقة بالصالحين والأنبياء والأولياء كما أيضاً اعتنى بالقصص التي تخبر عن أخبار المنحـرفين والمرتـدين وكذلك الأمم التي سلكت طريق الطواغيت والكفر والانحراف وكل من أولئك الفـريقين بـين القـرآن حالهم وشرح نهايتهم، والقصة لها موقع عظيم في نفوس الناس، فالإنسان يميل إلى القصص ويفـرح بهـا ويرتاح إليها، ولهذا أفضل القصص ما جاء في كتاب الله أو على لسان رسـول اللهﷺ، والقـصة جنـد مـن جنود الله، وعبارة عن وسيلة تعبير وخبر تصل إلى ذهن السامع فتحدث عنده تأثراً بمجريـات الأحـوال عند الماضين ومجريات أحوال الأنبياء وما يدور في أخبارهم وأحوالهم وأعمالهـم وصـفاتهم ومـا مـنحهم الله ﷻ من العلم والصبر وكل هذا فيه أسوة وقدوة وتعلم لتستفيد المرأة والرجل أن من سـبق مـن الأمـم والعلماء والأنبياء كانوا تمر عليهم المحن والمصاعب فكيـف يعـالجون الأمـور ويتلقـون القـضاء والقـدر بنفس راضية وكيف يمنحهم الله ﷻ التوفيق، فهذا سيدنا موسى عليه السلام هو أول أنبياء بني إسرائيل، وقد أنزل الله عليه التوراة الألواح، وكان موسى عليه السلام كما هو معروف في بداية حكايتـه وقـصته نـشأ وتربـى في بيـت فرعون، وأجريت في كتب السيرة والتراجم أخبار موسى عليه السلام من قبل ولادته وبعد ولادتـه وسـتأتي معنـا في كثير من آيات الله ﷻ في السور القادمة، فسيدنا موسـى بعثـه الله ﷻ إلى بنـي إسرائيـل بـالتوراة والعلـم والهداية كما بعثه إلى أهل زمنه وعصره لأن الفترة التي بعث فيها موسى عليه السلام كان هنـاك عـصر الفراعنـة في مصر، وكان عصر استبداد وظلم، وفي نفس الوقت كان عصراً من العصور التي أبرز فيها حكامها نصيب من الحضارة ومظاهر الحياة والتخطيط الزراعي وغيرها مما كان في ذلك العصر، لكن كان هـذا التخطـيط الزراعي والتحول الحضاري ليس على أساس شرعي أو ديني، وكان ملكهم فرعون رجـل كـافر طـاغي بلغ به الكفر والطغيان أن يدعي الربوبية والألوهية والعياذ بـالله، وقـد وصـف الله ﷻ حالـه، وجـرت في الآيات الكريمة أخبار كثيرة عن هذا الرجل الظالم حتى أهلكـه الله وأخـرج موسـى وقومـه إلى صـحراء سيناء ونجاهم الله منه، وفي مرة من المرات وموسى مع قومه في هـذا الموقـع مـن صـحراء سـيناء جـاءت أخبار هذه الآيات التي نسمعها: ﴿وإذا قل موسى لفتاه... حقباً﴾ قال أهل العلم أن بدايـة القـصة كـان سببها أن موسى عليه السلام خطب في بني إسرائيل خطبة بليغة تأثر بها بنو إسرائيـل فكـان أحـداً سـأله وقال: يا موسى: هل أحد أعلم منك؟ يعني في هذا الزمن والعصر، فسيدنا موسى لما يعلـم أنـه هـو نبـي

ذلك الزمان قال: لا. قال إن التوراة وجبريل ينزل عليه فمن سيكون أعلم منه؟ على حسب فهمه وعلمه، فعتب الله عليه، حيث لم يرد العلم لله، ولم يقل (الله أعلم)، انظروا كيف الأدب مع الله وإنما قال لما سـألوه هل أحد أعلم منك قال لا، ونزل جبريل عليه السلام وقال له إن عبدنا خـضر في مجمـع البحـرين أعلـم منك، وهذا العبد سيدنا الخضر رجل من عباد الله الصالحين على ما قاله أهل العلم، ومنهم مـن قـال أنـه نبي من الأنبياء لم يبعث لأحد لأنه معلوم أن النبي غير الرسول، وأن النبي هو الذي يوحى إليه بـشرع ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو الذي أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، فمنهم من قال أن الخضر عليه السلام نبي وليس برسول أرسل لأحد، وكثير من أنبياء بني إسرائيل كانوا ليسو أهل رسالة إنما أهل نبـوة، فهـذا قول من أقوال أهل العلم، وقول آخر هو أن الخضر عبد من عباد الله حسب مـا جـاء في الآيـة، ﴿فوجـد عبداً من عبادنا﴾ ولكن العبودية ينطوي تحتهـا النبـي والرسـول والـصالح والطـالح وغـيرهم، قـال في التفسير أن سيدنا موسى عليه السلام لما جاءه جبريل وقال له: إن عبدنا الخضر في مجمع البحرين أعلم منك. عـزم موسى عليه السلام أن يذهب ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ وهو يوشع بن نون تلميذه وتابعه ﴿لا أبرح﴾ لن أقف حتى أبلغ مجمع البحرين وأسافر إلى هذا المكان الذي يسمى مجمع البحرين أي يلتقي فيه بحر فارس وبحر الروم، هذا ما يسمى مجمع البحرين مما يلي جهة المشرق، هكذا ذكر أهل العلم، قـال موسـى لفتـاه سأسافر حتى أبلغ هذا المكان الذي يوجد فيه الخضر أو أمضي حقباً أي أظل أسافر حقبـاً وأزمانـاً طويلـة وسنوات طويلة حتى ألتقي بهذا الرجل الصالح العالم الذي هو أعلـم منـي، وفي هـذه الآيـة مـن الفهـم والفوائد ما يدل على أنه ليس أحد يكتفي بعلمه، وليس أحد يقتنع إن كان صادقاً بما معه، فـالعلم واسـع وفوق كل ذي علم عليم، فالله تعالى يعدد المواهب ويعطي عباده من العلم ما لامزيد عليه، لهـذا موسـى عليه السلام كان نبي بني إسرائيل ونبي ذلك الزمان كان يوحى إليه وينزل عليه جبريل، ومع ذلك عنـدما سـمع مـن جبريل أن هناك رجلاً عالماً أعلم منه ما قال ساكتفي بعلمي وذاك يكتفي بعلمه، ولم يقل له جبريـل إن الله يأمرك أن تسافر، فقط قال له إن ربنا يقول بأن عبدنا الخضر في مجمع البحرين أعلم منك، فعزم لأجـل أن نعلم أن أهل الحق والصدق يحبون طلب العلم من أهله وممن يوصف بالعلم، قـال موسـى هـذه الكلمـة لفتاه يوشع بن نون: لن أبقى ولن أجلس حتى أصل إلى هذا المكان – مجمع البحرين – أو أن أسافر حقبـاً – أي سنوات طويلة – وقد ذكر بعض أهل العلم أن الحقب الواحد يـساوي أربعـين عامـاً أو سـبعين في بعض الروايات، فكم سيسافر هذا الإنسان حتى يبلغ؟ فلما عزم على السفر هو وتابعه يوشع بن نون أخذ معهم في السفر حوت، وهذا الحوت كانوا يأكلون منه، كان حوتاً من السمك مطبوخ يـأكلون منـه، فلـما بلغا مجمع بينهما، سافروا وأخذوا مسافة حتى بلغوا إلى المكان المحدد الذي قرره لهم جبريل، وبالطبع هـم

لا يعرفون الطريق ولا الأماكن لكن الله جعل لهم علامة أو إشارة قال لهم جبريل: إذا فقدتم الحوت فأنتم في ذلك المكان الذي فيه الرجل المطلوب، فسافروا في طريقهم، فلما بلغوا مجمع بينهما – أي مجمع البحرين – جلسا يأكلان، وبعد أن فرغا من أكلهما أخذا أدواتهما والحوت تسلل ونزل في البحر، أحياه الله فخرج إلى البحر وذهب، والتابع يوشع بن نون رآه لكن نسي أن يخبر سيدنا موسى، أو بمعنى آخر أنساه الله لحكمة يريدها، فلما توجهوا من مجمع البحرين وساروا مسافة أخرى، لأنه قال ﴿فاتخذ سبيله في البحر سربا﴾ يعني اتخذ له طريق السرب أي الطريق، ومع العلم كما ذكرنا لكم أن هذا الحوت كان مشوي، فخرج من النكتة – الزنبيل – ودخل في البحر، ودخل الماء فرآه التابع لكن الله ألقى عليه النسيان، فلما جاوزا – خرجا من مجمع البحرين وسارا مدة من الطريق – قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا... نصباً، أي أن المسافة الإضافية التي ساروها في الطريق متجاوزين موقع الخضر شعروا بالتعب، أظهر الله عليهم التعب، بينما المسافات الأولى التي ساروا فيها من مصر إلى مجمع البحرين ما كان يحسوا فيها بالتعب حكمة من الله، لكن في هذا الموقع الذي فقدوا فيه السمكة أو الحوت سافروا الرحلة الإضافية قال موسى: آتنا غداءنا.. نصباً، يعني تعباً، قال يوشع بن نون: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة، يعني هل تذكر لما جلسنا إلى جانب الصخرة فإني نسيت الحوت وذهب عن بالي أن أذكرك وما أنسانيه إلا الشيطان أي أن هذا جاء النسيان من أثر الشيطان في نفسي فلم أخبرك بالقصة التي رأيتها، وقد قيل أن يوشع بن نون لما رأى الحوت خرج كان يتابعه ورأى كيف استرب إلى الماء وصار الماء حوله مثل الطار أي المكان الذي دخل فيه وقف في ذلك المكان والماء اجتمع حوله ولم يمر عليه، ﴿واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾ أي كان الأمر الذي حصل من هذا الحوت أنه خرج من المكتل ورجع حياً بعد أن كان مشوياً، ودخل البحر، هذا أمر عجيب وغريب بالنسبة للعقل الإنسان، لكن المعجزة الإلهية لا ينبغي أن يعترض عليها الإنسان فهي حق، فتعجب يوشع من أمر هذا الحوت الذي دخل البحر بعد أن عادت إليه الحياة، قال له سيدنا موسى ﴿ذلك ما كنا نبغ﴾ هاذا ما كنا نريده ونطلبه، لأن علامة المكان الذي نقف فيه ونجد الرجل فيه حيث نفقد الحوت، ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾ أي رجعا على الطريق يتتبعان الأثر الذي هو أثرهما حتى بلغا إلى ذلك المكان الذي فقد فيه الحوت.

قالﷻ مخبراً عن موسى وصاحبه ماذا حصل لهما بعد العودة إلى الصخرة، ﴿فوجدا عبداً من عبادنا﴾ رجلاً صالحاً ممن منحه اللهﷻ نصيباً من الرحمة والعلم، فبين المولى صفة هذا الرجل أنه عبد من العباد، والعبودية مرتبة عظيمة يعطيها اللهﷻ من عرف حق المعبودﷻ، وذلك مرتبة من المراتب، ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ وهبناه نعمة عظيمة وفضلاً كبيراً، ومنها الكرامات التي أظهرها الله على يديه، وهي التي

سنقرأها في الآيات، فليس لأحد في هذا الكون من تصرف أو اختيار إلا أن كل شيء من الله وإلى الله، لهذا وصف الله تعالى هذا العبد الذي منحه نصيباً من العلم، أن عنده من ربه رحمة، ويفسر معنى الرحمة بالنعم التي وهبها اللهﷻ له، وعلمناه من لدنا علماً ، أي عنده علم خاص لا يعلمه أحد من الناس فإن المولىﷻ علمه عظيم وعطاءه لعطائه عظيم ويهب لعباده من العلم ما لا يهب لغيرهم، وقد يعطي لأحد العباد نوعاً من العلم لا يعطيه غيره، كما هو في سيدنا سليمان ووالده سيدنا داود، فقد ورد في القرآن ﴿ففهمناها سليمان وكلاً آتينا علماً وحكما﴾ فللهﷻ في أوليائه وأنبيائه وعباده من العلم اللدني ما يتناسب مع أوضاع العباد، لذلك قالﷻ مخبراً عن حال الخضر ﴿من لدنا﴾ من عندنا ومنا ﴿علماً﴾ يسموه العلم اللدني، وهو غير العلم الكسبي، فالكسبي هو ما يتعلمه أحدهم عند مدرس ويقرأ قرآن عنده ويتدرج في التعليم كما نفهمه في حياة الناس، يبدأ الرجل لا يعرف ثم يتعلم هذا أمي ثم تمحى أميته هذا يسمى علم كسبي، والعلم الكسبي أن يبذل الإنسان جهد بالقراءة والكتابة التعلم والمطالعة حتى يفهم، أما العلم اللدني أو الوهبي فهو ما يقذفه الله في قلب عبد من عباده من خلال تجربة أو تفكر أو حكم يمنحها الله عبد من العباد في موقف من المواقف نتيجة لصلاحه وتقواه، وهذا لا يتأتى إلا بتوفيق اللهﷻ، ويسمى أيضاً العلم الرباني، وهو ثمرة الإخلاص والتقوى، فإذا كان العبد مخلصاً لله في عمله وقوله وفعله حفظ نفسه وبصره وسمعه يمنحه اللهﷻ هذا العلم اللدني، فهو يأتي ثمرة للإخلاص والعبادة كما ورد في الحديث الشريف «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل» بعد الفرائض «حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به...» إلى آخر الحديث، فهذا يسمى علماً لدنياً، وهو علم يورثه الله لمن أخلصه العبودية لهﷻ، وهو لا ينال بالكسب والمشقة، بل هبة من الرحمنﷻ للعباد الذين خصهم بالقرب والولاية والكرامة.

فعندما نأتي وننظر إلى هذا الوصف العظيم في هذه الآيات الكريمة:

١- أن هذا الخضر عبد من عباد الله.

٢- آتاه الله رحمة وكرامة وعطاء ونعم سبحان المعطي.

وهكذا ينبغي لكل واحد منا أن يسأل ربنا أن يعطينا كما يعطيهم، ويهيء لأرواحنا وقلوبنا وأنفسنا علم من عنده يقذف في قلوبنا وصدورنا مع التقوى والإخلاص والأمانة، فهذه كلها عطاءات عظيمة، والذي أعطى الخضر وموسى ومن سبق ومن لحق ليس ببخيلﷻ، فهو المعطي كما يقولون في المثل «الساقي باقي»، لكن كيف الاستعداد عند العباد؟ هل نحن عندنا شيء من الاستعداد لفيض الله وعطائه ونوره ولمنحه؟ أم والعياذ بالله في غاية من غايات الإعراض، فالمعرض والعاصي والمتذبذب والمتشكك

والمنازع لنفسه ولغيره لا ينال هذا النصيب، فإذا أراد الإنسان أن ينال نصيباً من هذا العلم العظيم الموصوف في كتابه الله فعليه أن يهيء عقله وقلبه وروحه للعمل الصالح، وهو اتباع الأوامر واجتناب النواهي، أعطانا الله واجبات وفرض علينا فرائض وألزمنا بإلزامات نتبعها ونلتزم بها قدر إمكاننا واستعدادنا، نهانا عن منهيات وحرم علينا محرمات وكره علينا مكروهات ينبغي علينا أن نتجنبها، ثم طلب منا مستحبات ودعانا إلى مندوبات فعلينا أن نعمل بها، وهكذا يحافظ الإنسان على هذه فإن من ثمرات الإخلاص وصدق العبودية لله تعالى أن يمنحه الله نصيباً من الحكمة ﴿ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا﴾ ومن الحكمة العلم اللدني كما هو في مثل هذا المعنى، ثم بعد ذلك بين الله أنه أعطى هذا العبد رحمة من عنده وعلمه من عنده علماً خاصاً، وهو العلم الرباني الذي لا يوجد في الكتب بل يلهمه الله ﷻ إلى قلوب العارفين والأولياء المتقين إذا صدقوا مع ربهم والمقصود هنا بهذا المعنى كيلا يفهم البعض المدلول خطئاً، المقصود بالعلم الرباني هو الفتح الإلهي فيما هو في علم الظاهر أو الباطن، مثلاً قد يسأل سائل أو يقول قائل معنى ذلك أن الله تعالى أعطى أحدهم علماً ربانياً هل يزيد عنده علماً لا نعرفه في الشريعة؟ هل يحصل عنده شيء واجب غير ما أوجب على الناس؟ هل يعرف في أمور العبادات والصلاة أكثر مما في الشريعة؟ لا، الأمور الشرعية واحدة والفرضية كذلك والمسنونات والمندوبات والمكروهات والمعاصي، فما كان حراماً على عامة الناس فهو حرام على الأولياء والصالحين والأنبياء، وما كان حلالاً والمتقين فيما هو معروف بالنص العام للكل فهو أيضاً مسموحاً للناس بعمومهم إلا ما خص به الأنبياء من باب الخصوصية، إذن بالمقصود هنا بالعلم اللدني أنه ﷻ يمنح العبد حكمة من الحكم قد يكون المستعجل أو صاحب العلم القليل أو المندفع أو صاحب المعرفة المحدودة يفهمها خطأ ولا يدركها، مثل الكرامات مثلاً، أحدنا قد لا يعرف الكرامة ولا تجري له ولا يحسها، قال له ولي من أولياء الله جرت له كرامة فقال هذا كذب، هنا الغلط، لأن هذا العلم الذي جرى لذلك العبد لا يجري لك، لكن هو يسمى علم لدني جاء إلى العبد بواسطة الإخلاص، وهو ما يفرق به بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وعصموا أنفسهم وبين من يعمل الصالحات ويعصي الله، قال ﷻ ﴿أفحسب الذين اجترحوا السيئات... سواء﴾ في محياهم ومماتهم؟ لا يتأتى، فالعبد الذي يقوم الليل ويصوم النهار، ويحفظ جوارحه ولا يأكل الحرام ودائماً خشوع مع الله أيستوي مع من يأكل الرشوة ولا يحفظ نظره ولسانه؟ لا يستوي، ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ فمن هذا السبب لما حصل الفرق في العمل بين العبد الصالح والعبد العاصي جاء بمدلول العلم اللدني، والعلم اللدني كما سمعتم هو ان الله ﷻ يعطي هذا العبد شيء من العلوم الربانية يسمونها مثلاً الاستغراق أو الحضور، تجد صلاة العبد الصالح غير صلاتنا نحن التي كلها

(كرمعة) الواحد مننا يصلي ما يدري كم صلى ثلاث أم أربع أم خمس أو ست، بسبب أن صلاتنا صلاة عباد يدخلون إلى الدين والصلاة وهم مشغولين وعندهم قصور في معرفة حق المنعم، أما العبد الذي منحه الله العلم اللدني بحكم طول عمله في الصلاح والصلاة والعبادة تكون صلاته أكثر حضور، فيحافظ على السنن والهيئات وصلاح الكيفيات، حتى أن بعضهم لا يدخل الصلاة إلا بعمامته وسواكه باستخدام كل السنن رغبة في المدد الإلهي، فإذا عرفنا الفرق بين العمل عرفنا الفرق في مدلول العلم اللدني، هذا المقصود بمسألة العلم اللدني أن الله ﷻ يمنح العبد الصالح هذه المرتبة، سيدنا موسى عليه السلام منحه الله من العلم اللدني ومن العلم الباطن والظاهر، والمقصود بالعلم الظاهر علم الشريعة المكلف به كل إنسان، وليس أحد يخرج عن دائرة الشريعة، وأما علم الباطن فهو ثمرات علم الشريعة، فعلم الشريعة مثلاً الصلاة فإن العبد إذا واظب على الصلاة وأصلح معناها دخل في مدلول ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ فيصير العبد الصالح الذي استغرق عبادة الظاهر حتى بلغ إلى الباطن إذا دخل الصلاة يحصل عنده خوف من الله وحضور واستغراق واستئناس، أليس النبي ﷺ يقول في الحديث «إذا ** أمر» إذا خاف من شيء أو شغله قال «أرحنا بها يا بلال...»، إذا ضاق عليه أمر من أمور الدنيا كان الحبيب ﷺ يأمر بالصلاة، ما السبب؟ لأن الله ﷻ جعل له في الصلاة راحة، وما جعلت له في الصلاة إلا لأنه من الرجال الذين أظهر الله لهم سر العبادة وسر باطن ما في الصلاة، أما صلاتنا نحن فالواحد منا معاده مصدق متى بايخرج من صلاته، من هنا نعرف معنى الظاهر والباطن، فالظاهر أنا أصلي الآن أربع ركعات وأنا مستعجل وخلصت الله وقلت الله يتقبل، وإنسان صلى أربع ركعات مثلي لكنه استغرق في معانيها وسواكها وعبادتها وكل ما فيها من ذكر فهذا يظهر الله له سر الذكر والقراءة ويظهر هذا على باطنه بإزالة الفحشاء والمنكر، وهذه مرتبة يسمونها مرتبة علم الباطن، لأن علم الباطن مبني على زوال آثار الغيبة والنميمة والحقد والحسد والكبر والرياء، وهذه هل حد منكم يستطيع أن يلمسها بيده ويبين لنا إيه هو الرياء والحقد والكبر؟ ما نعرفها ولا تعرف بالعين، لكن يحس بها الإنسان لما يجلس مع الناس ويعايشهم، فالغيبة أن تسمع من الناس كلام كأنه رصاص بما يغتاب بعضهم بعض، هذا من أمراض القلوب والباطن، الحقد من أمراض الباطن الداخلية والكبر والحسد كذلك، وكم من إنسان يصلي ويصوم وهو ملآن حقد وحسد، فنقول صلاتك هذه ظاهرة لكن لما تستمر فيها وتبلغ بها إلى مرتبة عالية تصبح مؤثرة على الباطن، فيصير باطنك معاد فيه غيبة ولا نميمة ولا حقد ولا حسد نتيجة قول الله ﷻ ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ فعرفنا أن سيدنا موسى عليه السلام قد أعطاه الله من العلم الكثير، لكن لأجل يبين له أن من العباد والعلوم علوم كثيرة ما تصل إليها الأفهام ولا الأذهان أن لله عباداً عندهم من

العلم اللدني الشيء الكثير، لذلك عندما ندخل في القصة ونسأل هل جاء موسى﵇ بكتاب ليقرأ على الخضر؟ هل الخضر فتح مدرسة ليعلم موسى القراءة أو الكتابة أو ينزل عليه آيات أو يشرح له شيء معين من الآيات الشرعية؟ لا، سنجد خلال القصة كلها أن مجرى القصة كان عبارة عن احتكاك حياة وسفر ومعالجة أمور متعلقة بشؤون الناس، فهذا يدل على أن العلوم متنوعة وان موسى﵇ الذي ينزل عليه جبريل بعلم التشريع لأجل تبليغه للناس وتعليمه نوع من أنواع العلم، والذي جاء به الخضر﵇ مع سيدنا موسى من التجارب والاختبارات والامتحانات التي مرت نوع من أنواع العلم، وهذه العلوم كلها التي مع موسى والخضر﵉ ما هي بجنب علم الله بشيء كما سيأتي معنا في سياق القصة، قال﷿ في آخر السورة ﴿قل لو كان البحر مداداً... مددا﴾ ويقول في آية أخرى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ هذا هو عطاء الله وفضله على عباده، قال﷿ ﴿فوجد عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا... علما﴾ بدأ الكلام بين سيدنا موسى والخضر﵉، قال له موسى: هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا؟ بلغني عنك نصيب من العلم وأن الله﷿ أعطاك علماً، فأريد أن أرافقك، دائماً ما يقول أهل العلم المرافقة توجب الموافقة، فإذا رافق الإنسان الشخص وعاش معه وجالسه سيتعلم منه نصيب من العلم، لذلك كثير من الذين يتعلمون العلم من غير مرافقة لمجرد السماع أو التعليم أو الإلقاء لا يأخذون معاني العلم كلها بل يأخذون الكلمات والحروف والإرشادات أما حقيقة العلم أن تكون هناك مرافقة، أتعرفون المرافقة؟ أي أن يكون جزء من العلم مبني على الملاحظة، مثلاً عندما نأتي ننظر في سيرة نساء النبي ﷺ فجزء من العلم أخذناه عنهن عن طريق المرافقة، لأنهن رافقن رسول الله ﷺ، ما نقدر نقول أن نساء النبي تعلمن عند الرسول، لا، هن رافقن الرسول وعايشنه وتمازجت حياتهن مع حياة الرسول ﷺ، فلذلك صار نصيب العلم الذي يأتي عن طريق نساء النبي ﷺ غير العلم الذي يأتي من خارج نساء النبي ﷺ، العلم الذي جاء عن أصحاب النبي الذين رافقوه وعاصروه وعايشوه غير العلم الذي يأتينا من الأشخاص الذين لم يعاصروه أو يعايشوه ولم يكونوا بين يديه ﷺ، لذلك قال موسى﵇: هل أتبعك وأرافقك وأسير معك على أن تعلمن مما علمت رشدا، ممكن أسافر معك وتأذن لي بمرافقتك لأقتبس من علمك ما يرشدني في حياتي، وهذه المخاطبة كما تلاحظون فيها شيء من الملاطفة والتواضع من نبي كريم على الله، وهكذا يدل على أن العلم لا يتأتى بالشدة والطغيان والأذى، اليوم في زمنكم هذا صار العلم للأسف ليس على أساس الآداب واكتساب الأخلاق، فلربما تجد الطالب أو الطالبة من التجاوز وقلة الأدب يتصرف تصرفاً سيئاً، بل يمكن أن تجد المدرس على تلك الصفة، نحن الآن في مدرسة عظيمة هي مدرسة القرآن ترينا هذا العجب بين اثنين من الرجال بين

نبي ورسول وبين عبد من عباد الله، وكيف سيدنا موسى في عظمى النبوة وهو يتكلم بهذا الأدب واللطف ويقول له تسمح لي أن أمشي معك وأرافقك لأجل أتعلم مما أعطاك الله من العلم، انظروا كيف نوع الأدب الذي يعلمنا أن هؤلاء الأنبياء على عظمتهم كيف كان يتكلم مثلهم أو أحدهم عندما يريد أن يطلب العلم، ثم يقول مما علمت رشدا، أي مما أعطاك الله من الإرشاد والمعرفة، وهذه إشارة إلى إدراك الطالب لما هو عند المعلم، قال له سيدنا الخضر مباشرة رد عليه وهذا فيه نوع من الاختبار والامتحان وإدراك مراتب العلم، لأن ليس كل من حمل دفتر وتعلم كلمتين قال أنا أعرف، فنحن في زماننا هذا فمن تقرأ كتاب أو كتابين أو اطلعت على كتاب أو دخلت الجامعة أو الثانوية منفشة ريشها ماحد كماها وإللي أصغر منها تشوف ما معها شيء، كل هذا عندما نوزنه بمقاييس العلم تجد أن كلتيهما لا يوجد عندها علم بل كبر، وهناك فرق بين العلم والكبر، أما العلم فيورث التواضع فكلما ازداد علماً ازداد تواضعاً، لماذا؟ لأن من يريد الشهادة يقول أنا كملت، لهذا عيالنا الآن في المدارس يقولوا فلان تخرج.. فلانة تخرجت.. تخرجت منين؟ إيه إللي تخرج هو بيضة؟ ما في تخرج إلا عندما يموت، من مات نقول خرج من الدنيا، أما العلم فمن المهد إلى اللحد، فمن أين أتت إلينا هذه التعاليم الجديدة؟ جاءت لنا من عند الكافر عندما أدخل إلينا المدارس وجاء بالتعليم الابتدائي والثانوي والجامعي وقال فلان متخرج، ما في شيء إلا التخرج يقولون فيه التحمل أن الطالب يتحمل مسئوليات التبليغ أنه يتعلم ويتربى حتى يبلغ إلى درجة التخرج من حيثيات تحمل المسئوليات الشرعية فيبدأ يدعو إلى الله ويعلم علم الفقه ويتصدر في العلوم، هذا يسموه متخرج عند أهل العلم وفي مدرسة القرآن فانظروا كيف سيدنا موسى عليه السلام نال هذه الكلمة الشديدة من أستاذه: إنك لن تستطيع معي صبراً، طيب كيف هذا الخضر يقول لسيدنا موسى هذا الكلام، هل جربه أو جالسه؟ لكن هذا يدل على أن نوعاً من أنواع العلم الذي منحه الله للعباد يبرز سلوك البشر ويتعرف من خلاله العبد الصالح على حال من يتعلم أو حال من يتفهم، قال أنا علمي ما باتصبر عليه وصعب عليك لأن نوع علمك تتعامل بظروف وأحوال علمية صحيحة لكن لا تتساوى مع ما عندي من العلم، قال له: إنك لن تستطيع. وانظروا كيف نفى نفياً كاملاً وقال لن تصبر على علمي يعني أنا باتصرف تصرفات إنت ما باتتحملها يمكن إنت ترافقني وتسافر معي وتشوف مني سلوك وترى مني تصرف وبعد تقوم قائمة علمك، لأن واحد مثلاً طالب علم تقول له سافر معي، سافر معك يعرف كلمتين رآك أخرت الصلاة أو قدمت الصلاة قامت حقته الكلمتين ذي قال وراك يا حبيب كنك ما صليت الصلاة في وقتها؟ هذه مثلها، قال له: إنك لن تستطيع فمعرفتك محدودة، ومدركاتك أقل، فربما اعترضت علي، يعني تعترض علي على غير معرفة أو على فهم خاطئ غير ما أعلمه، هكذا يتكلم

موسى‌عليه السلام والخضر، وإنك لم تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا؟ كيف باتصبر على شيء إنت مثلاً تشوفه منكر وأنا أراه حلالا؟ انظروا كيف كان السؤال والاختبار، وهذه فيها إشارة عند أهل العلم أنه إذا جاء واحد يتعلم عند أحد أولاً يختبره ويعرف حقيقة صبره وأدبه وتوجهه ثم بعد ذلك يمنحه الإذن بالتعلم، لهذا الذين تعلموا في سابق الزمان على هذه الطريق بلغوا مراتب عظمى من العلم، فالذين جاءوا إلى رسول الله لطلب العلم كانوا على هذه الصفة يبدأ الاختبار بالدخول إلى الإيمان ثم بتكليف الرسول لهم بكثير من الأمور الصعبة، مثلاً الصبر على الطعام، أو الدخول إلى بعض الأمور الواجبة التي يأمرهم بهاﷺ من التأديب والتهذيب، بل ربما بعضهم جلس ثلاثة أيام بلا طعام في مسجد رسول اللهﷺ، فكانوا يختبرونهم ثم تظهر حقيقة رغبتهم وطلبهم للعلم، فقال له: وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً، فمن يستطيع الصبر على شيء ما يعرف أساسه، قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. سأحاول ستجدني إن شاء الله وستراني صابر ولا أعصي أمر من أمورك، هكذا بدأت طريقة العلاقة بين سيدنا موسى والخضر‌عليه السلام على هذا الأساس وصل موسى فطلب من الخضر على أن يرافقه فقال له الخضر إنك ما تصبر ولا تقدر على سلوكي وأعمالي قال له أنا سأحاول قال لأ لأنك إنت ممن لا يؤمن بقضية العمل إلا بما يعلم، فأنت إذا رأيتني عملت شيء مخالف لما تعرف ربما تعرضت للكلام قال لا سأحاول أن أصبر ولا أعصي لك أمرا، انظروا كيف الشرط الجديد، إذن إذا التزمت باتبعني وتسمع مني وباتعايشني في هذه الحياة فلا تسألني عن شيء، أريدك فقط أن تستمع وتلاحظ وترى لكن أرجو أن لا تسألني، لا تقول ليه سويت هذا وعملت هذا ما سبب هذا، لا شرط العلم الموافقة والمتابعة وعدم المناقشة، وهذه شروط صعبة على إنسان منحه الله نصيباً من المعرفة والعلم، قال فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً، يعني إذا أنا كلمتك وكشفت لك سر عملي وقلت لك يا موسى انا عملت هذا لأجل كذا فلا بأس مالم فلا تبادرني بالسؤال على شيء من الأمور التي تراها غير موافقة لعلمك، فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم، هكذا قالوا كيف موسى قبل مثل هذا وهو عالم ؟ لن من شروط المتعلم على العالم أن يقبل شرط الانطواء والاستماع وأسلوب القبول، هكذا هي حقيقة المعرفة، وكان في الزمن الماضي أيام كانت الحياة العلمية في حضرموت واليمن والحجاز على أساس التعليم الشرعي كانوا هكذا يعملون العلماء، إذا جاء طالب العلم لا يقبلونه على علاته لا يقبلوه إلا باختبار، وربما أدخلوه في اختبارات شديدة، مثلاً كان بعض الشيوخ من العلماء الأكابر، إذا جاءه طالب العلم يقول أنا أبي من السلاطين والحكام أو رجل أهل مظاهر كبيرة، فهذا داخل بنخوة علمه وسلطته أو معرفته فيقول له ما عندي لك مكان في التعليم، قبل ما تتعلم لابد أن تدخل في أسلوب الخدمة، فكان من

أنواع العلم الخدمة، والخدمة هي أن يشتغل بعمل داخل المدرسة أو داخل موقع التعليم أو الرباط من واقع التعليم، فمثلاً يقول له عليك تغسل صحون الطلاب التي يأكلون فيها، عليك كل يوم، فالولد المتكبر أو ابن السلطان والحاكم لا يقبل، فإذا لم يقبل يقول له اذهب، من لا يقبل الخدمة لا نعطيه العلم، من يأتي ورأسه كبير (أنا ابن فلان) ما يطلب العلم، هكذا كان أسلوب الأدب، فيأتي الرجل أو الطالب وهو منكسر النفس أمام الأستاذ، فيكسر نفسه ويادبها ويهذبها ويأتي فيجعله مثل غيره من طلبة العلم، حتى أن أحدهم جاء إليه طالب علم متكبر لأنه صاحب مظهر، فقال الطالب: أريد أن أتعلم عندك، فقال له: ما نقدر ندخل طالب للعلم إلا بعد ما يخدم عندنا خدمة. فقال الطالب: إذا عندكم خدمة تتناسب معي بأخدم. فسكت منه، فقال له: أيوه معانا شيء واحد اتقدر له؟ قال الطالب: وما هي؟ قال المعلم: قال نحن عندنا في الحمام حجر الاستنجاء (العيال يستنجون بالحجارة) فهل تستطيع أن تغسل هذه الحجارة كل يوم وترجعها مكانها عندما قد نقبلك عندنا في التعليم. فكيف ترون هذا الكلام؟ أنتم الآن تتأففون من هذا وتستغربون، لأنكم جئتم وحصلتوا مدارس سهلة، يجيبوا الواحد البنت ولا الولد فيها يسجلون ويعطونه دفاتر ويدخل مبسوط ريض ويخرج كرتون لايعرف أدب ولا سلوك ولا خلق، كما بدأناكم تعودون ندخل ونخرج وهكذا، الفرق أنه يعرف كلمتين أو يتوظف أو يعرف يكتب ويقرأ، لكن الأولين كان طالب العلم ما هو علشان يقرأ ويكتب، بل لأجل ينسلخ من عاداته السيئة ويتحول إلى عاداته السليمة، لهذا كانت التربية هكذا، فهذا الولد قبل فتركه ثلاثة أيام ثم أخرجه من هذا المكان ووضعه في المكان المناسب عندما عرف أن نفسه انكسرت، وقد ورد في رواية عن سيدنا عمر بن عبد العزيزﷺ أنه كان ابن أمير وكان والده أمير مصر، وكان الأستاذ يشكو من عمر بن عبد العزيز أنه دائماً مشغول بثيابه وشعره، كان شعره كثيف ودائماً يمشطه وينظفه ويأتي إلى المدرسة وهو مهتم بشعره، فقال له الأستاذ: يا ولدي ما باتتعلم وأنت مشغول بشعرك. فكأن الولد ما رضي، فكتب رسالة إلى والده وقال له: إن ولدك عمر كثير الانشغال بمظهره ونحن نريده يتعلم العلم وإذا فرغ فلا يعنينا بعد ذلك أمره. فكتب أبوه إلى ولده والمدرس فكتب إلى الولد: إذا وصلك كتابي فاحلق رأسك كله، وكتب للمعلم إذا جاءك ولدي من بعد يوم كذا وكذا وعلى رأسه شعر فعليك أن تسيره لي، أي أرسله إلى عندي إلى مصر، فلما وصلت الرسالة إلى عمر بن عبد العزيز وسمع اللوم والتوبيخ ذهب وحلق رأسه فلما جاء صباح اليوم الثاني وهو مستح، لأن الولد المتعود ما يقبل، لكنه جاء مستحي عند المعلم، فقال له: حياؤك من حلق شعرك أفضل لي من كبرك أمام العلم. تعال تعلم، فمن ذلك الحين تعلم الأدب والتواضع واللطف وصار من؟ صار عمر بن عبد العزيز، إذا ذكرت الرجال في الأزمان يذكرون عمر بن عبد العزيز مع

الخلفاء الأربعة، إذا ذكروا الخلفاء الأربعة قالوا الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز، لكنها لم تأت هكـذا، بل جاءت بالتأديب والتهذيب والتعليم والتعلم، فعرفنا أن هؤلاء الذين تأدبوا وتعلموا وأحسنوا الموافقة والمرافقة يظهر الله لهم شرف الاتباع، وفي قصة موسى ﷺ من العبر والفوائد والعظات الشيء الكثير الكثير، وإن شاء الله في الأسبوع القادم نكمل الدرس سائلين المولى ﷻ أن يجعلنا وإياكم ممن أخذ نصيب من علم الظاهر والباطن، اللهم افتح علينا بنصيب من الفتوح والمنوح التي فتحت بها على هؤلاء العباد الذين أصلحوا الجسد والروح، اجعل لنا نصيب من المعرفة والاتباع والصدق والتعرف والتشرف من معرفة هذا الكتاب العظيم، اللهم اجعل هذا القرآن العظيم حجة لنا لا علينا، وشاهد لنا لا علينا، واكتبنا ممن عرف هذا القرآن وتدبر معانيه وتأثر بما فيه، وادخلنا في بركة هذا الكتاب وامنحنا نصيباً من فهمه وعلمه ظاهراً وباطناً واحفظنا ومن معنا ومن حضر معنا من كل أذى وبلاء وشر، واحشرنا مع عبادك الصالحين في الدنيا والآخرة ظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

قال مولانا في كتابه العزيز في سورة الكهف ﴿قال موسى هل أتبعك...نفساً زكية... صبرا﴾ هذه الآيات الكريمة مكملة لما سبق درسه من أخبار قصة موسى‍ﷺ وقصة الخضر‍ﷺ، ومن أعجب القصص في القرآن هذه القصة، بل هي من أوسع الدروس وأشرف البركة التي بقيت في كتاب الله تتلى ويطلب قراءتها في كل جمعة وفي آخر الزمان إلى غير ذلك مما هو معلوم عن سورة الكهف نجد أن هذه السورة فيها من الحكايات والعبر والدروس والنفع ما لا مزيد عليه، وموسى‍ﷺ نبي بني إسرائيل الذي حمله الله‍ﷻ رسالة التوراة والألواح، وعانى من بني إسرائيل ما عانى، وتعب مع قومه تعباً وصفه كتاب الله في أكثر من آية وموقع، لكن موسى‍ﷺ كما جعله الله مرشداً ومعلماً ونبياً وهادياً لقومه وأهل عصره فقد أدخله الله في الاختبار والامتحان والابتلاء عن طريق العلم، وبينت لنا هذه القصة من سورة الكهف هذه المواقف مع الخضر‍ﷺ، والخضر‍ﷺ اختلف في أمره، فكثير من العلماء قالوا أنه نبي ولكن ليس ممن أرسل، ليس مرسلاً، والله‍ﷻ قد جعل الرسالة في الأنبياء وجعلها أيضاً فيمن يسمون بالرسل والنبي هو الذي ي وحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، أما الرسول فهو الذي أمر إليه بشرع وأمر بتبليغه، ومعلوم أن الأنبياء أكثر من الرسل، فالذين كانوا مرسلين إلى البشرية ليس للتبليغ أكثر من الأنبياء الذين أرسلوا للتبليغ، فعدد الأنبياء كما ذكرته بعض كتب أهل العلم الذين أرسلوا عموماً مع الرسل ١٢٥٠٠٠ نبي ورسول، بينما الرسل من هؤلاء فقط ٣١٣ وقيل ٣١٤ وقيل ٣١٥، هذا على اختلاف عند أهل العلم فيمن أرسل أو بمعنى آخر كلف بشرع وأمر بتبليغه، يعني صار مدرسة لعصره أو صار نبياً ورسولاً لأهل زمنه، وليس كل نبي برسول ولكن كل رسول نبي، وتطلق كلمة نبي ورسول على الأنبياء من حيث الرسالة وغير الرسالة، كلمة النبي، أما كلمة الرسول فلا تطلق إلا على من أرسل بشرع، ومن لم يرسل بشرع فلا يسمى بنبي ولا رسول بل يسمى نبي وهم كثير، وأقل نموذج منهم أصحاب أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام الذين ذكروا في سورة يوسف، سيدنا موسى‍ﷺ كما ورد في بعض الروايات أنه خطب في بني إسرائيل فسأله أحدهم وقال له: يا موسى: هل أحد أعلم منك؟ وكأنه أراد الله أن يجري على لسانه كلمة فقال لا ليس هناك أحد علمي على اعتبار أن الرسالة تنزل عليه، ومن هذا الذي سيكون في عصره أعلم منه؟ وجبريل لا ينزل في ذلك العصر إلا على موسى، فعتب الله عليه، فبالنسبة لمراتب المراقبة فيما يتعلق بالأنبياء والأصفياء والأولياء له معهم عتاب في كل ما يتعلق بأمر الآداب والأخلاق، ومعلوم أن أدب الأنبياء مع الحق‍ﷻ من أعلى درجات الادب لا يساويه أدب عند أحد من العباد مطلقاً، ذلك لأن جبريل‍ﷺ دائماً ما يربطهم بمراتب الحق والعبودية التي هم فيها مع مولاهم‍ﷻ وسيدنا موسى لما عرف أن الله قد عتب عليه كونه لم يرد العلم لله ولم يقل الله أعلم، ولم يقل أن الله تعالى أعلم، فعتب الله

عليه من باب التأديب والتأنيب فيما بين الحقﷻ وعبده، فجاءه جبريلعليه السلام وقال له: يا موسى إن في مجمع البحرين بجانب الصخرة لنا عبد أعلم منك، هناك عبد من عباد الله أكثر منك علماً، وهذه إشارة تشير إلى مجرى التنافس فيما يتعلق بالتفاوت هو العلم، ومسألة العلم موقعها عظيم في رسالات الأنبياء، والأنبياء لم يبعثوا إلى هذا العالم إلا لأجل تجديد معاني العلم وتحديد وترسيخ العمل به والخدمة له، لهذا قال له لنا عبد أعلم، ولم يقبل أعبد أو أفضل منك، أو يذكر له مزية من المزايا لكن ذكر له المزية التي أراد أن يدخل عليه منها من باب التأنيب والعتاب فقال (أعلم منك) وكما تسمعون في الآيات التي جاءت من قبل أنهعليه السلام قال لفتاه: ﴿لا أبرح حتى أبلغ... حقباً﴾ خلاص بلغني عن ربي أن في مجمع البحرين رجل عنده علم أكثر من علمي وأفضل فلابد أن أذهب إليه أو أمضي حقباً، أو يضيع عمري كله في الطريق كي أصل إلى هذا الإنسان فأنتفع به وأستفيد منه، وهذا يدل على أن مراتب العلم لا تنقطع ولا تنتهي ولا تنحصر بشهادة ولا تنحصر بالتخرج والاطلاع وبما يفهمه الإنسان عن نفسه، فمن قرأ كتاب أو اطلع على مسائل أو حفظ القرآن أو سافر ورجع من بعض البلدان ولديه نصيب من العلم نفخ الشيطان في صوره وقلبه وقال أنا خريج، أو فلان متخرج، وهذه الألفاظ دخلت على أمة الإسلام من الكفار لأن ما عندهم رجاء في العلم الواسع وليس لهم نصيب من العلم اللدني، وعندهم العلم المنقطع والمحدود والعلم الذي يتلقونه من خلال النصوص والعبارات والأرقام، وبعد ذلك يرون أن من حفظ هذا العلم فقد انتهى علمه بهذا العلم الذي هو فيه، لكن ليس ذلك الأصل في الإسلام، فالإسلام يرى ويضع لنا أن العلم لا ينقطع كما تسمعون في المثل «اطلب العلم من المهد إلى اللحد» وبعضهم قالوا حتى في اللحد لابد أن تنال نصيب مما لم تعرف عنه من قبل، باعتباره جزء من العلم إلا أنه رفع عنك التكليف، بالنسبة لعالم البرزخ، فسيدنا موسىعليه السلام على هذا المستوى من الإدراك والإحساس بعظمة العلم الذي ينزله اللهﷻ على قلوب عباده ثم لأن سيدنا موسىعليه السلام هو مقياس العلم في عصره ومرجع للشريعة والرسالة وكل شيء يرجع إليه، فكونه أن في عصره وزمنه رجل أعلم منه يعني ذلك أن كثير من المسائل المعقدة التي يحتاج موسى لمعالجتها لابد أن يستفيدها من غيره، فذهب موسىعليه السلام والتقى بهذا الرجل وبدأت كثير من الكلام معه مع الخضرعليه السلام كما ورد في الآية على اعتبار أن موسى جاء طالباً للعلم، ﴿فوجد عبداً من عبادنا.. رحمة من عندنا﴾ فالله أدرج العلم في الرحمة، وأدرج المعرفة في الرحمة، وأدرج الإرادة في الرحمة، ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ حيث أن هناك تلازم بين الرحمة والعلم، فمن كان عالماً وقد والعياذ بالله انتزعت منه معاني الرحمة فلن يكون علمه إلا غضب ومصيبة وضرر عليه وعلى غيره، قال ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ ومعلوم أن العندية التي وضعها الله لهذا العبد أن الرحمة التي وصلت إليه ليست مكتسبة لكنها موهوبة من الحقﷻ

﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ وبالطبع ما من علم إلا وهو من الحقﷻ سواء كان بواسطة أو بغيرها، فالأصل في العلوم هو الحق، وفوق كل ذي علم عليم، ويطلب العلم بحقيقته بالدعاء والسلوك والأدب والتواضع فهمتم معنى في حقيقته، أما في صورته فلا يتأتى أن تعرف العلم إلا بالكتب وبالشيوخ وأن تتلقاه من مصادره، فاللهﷻ جعل للعلم مصدرين: الأول هو ما يتعلق بالتلقي عن طريق الشيوخ أو العلماء أو الكتب أو الوسائل، أما الأمر الثاني من العلم: فهو ما يفتح به على العبد أو المريد أو الشيخ أو عبد من عباد الله تعالى مما يسمى بالعلم اللدني ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ وغالباً ما يكون هذا العلم اللدني بعد الاستقامة والطاعة والإنابة وارتقاء الإنسان في مجال الطاعة لله والعبودية له فيفجر له أنهار المعرفة من خلال القرآن والسُنَّة ومن خلال ما يجتمع له من علوم الأرض.

بدأ سيدنا موسى عليه السلام بعد أن التقى بهذا الرجل فقال له هل أتبعك، يعني أنا لي مطلب وأنت ذا مرتبة عليا، ولاشك أن الخضر علم أن موسى سيأتي إليه، كما ذكرت لكم أن الخلاف عند أهل العلم هذا المصدر من مصادر العلم من أين جاء، فإن كان نبياً فقط انقطع الإشكال، باعتبار أن الأنبياء ينزل عليهم جبريل ويوحى إليهم ويصل إليهم الأمر عن طريق الإلهام أو رؤيا المنام أو غير ذلك من وسائل العطاء ووسائله المعلومة، أما إن كان ليس بنبي (عبداً صالحاً) لم يخصص نبوته ولم يظهرها أو يبرزها، لكن أهل العلم قالوا وإن لم تبرز هذه النبوة على مجال اللفظ الظاهر في القرآن فإن كل العبارات التي وردت في كتاب الله تشير إلى أنه كان يتلقى عن الحقﷻ ولم يكن التلقي إلا بواسطته، فلا يمكن التلقي بين العباد والحق إلا بواسطة جبريل، هذه الحجج التي ذكروها أهل العلم، أما كثير من أهل الولاية والنظر والعلم الباطن وأهل السر وخاصة أهل التصوف فقد قالوا أن الخضر ليس نبي ولا توجد قرينة في القرآن تؤكد ذلك، أما كون أهل العلم قد جعلوا من العبارات التي وردت على لسان الخضر أنها تشير إلى نبوته فهذا مجرد غلبة ظن فيما ترجح عندهم، وإلا فإن اللهﷻ ليس بمانع عبد من عباده أن يمنحه علم من العلوم فليس هناك قاطع شرعي، وكثير من أهل العلم الذين قالوا أنه نبي وكيلا يفتح باب الخروج عن دائرة الأدب مع الأنبياء لأنها أعلى درجة من درجات التلقي بلا شك، ثم يأتي بعدهم الأولياء، وكثير من أهل التصوف من هذا الباب دخلوا إلى مداخل حرجة ومنهم من ظن أن التلقي مباشرة يكون من الحقﷻ حتى ورد في بعض العبارات التي كثير من أهل هذا الزمان والعصر يرد عليها ويتعرض لها كقول بعضهم: «أخذ قلبي عن ربي» أو «فهم قلبي عن ربي» أو بما معناه، فهذا المعنى من حيث العلم صحيح لأنه علم لدني، والعلم اللدني هو فتح من الله تعالى لعبد من عباده في آية أو فهم أو حل مشكلة أو نصيب من الحكمة ﴿ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا﴾ أما أن يتلقى من الرب بلا واسطة هكذا من حيث

المخاطبة أو المقابلة فهذا لا يتأتى إلا بواسطة جبريل أو لبعض لأنبياء الذين نص القرآن على ذلك كما نص بالإسراء لسيدنا محمد رسول الله ﷺ أو كما نص على ذلك في مخاطبة موسى عليه السلام في الطور بحجاب، فهذه نص عليها القرآن ولا خلاف عليها، أما غير ذلك فينبغي أن يسد هذا الباب حتى لا يدخل الشيطان منه فيتكلم الناس بأشياء قد تخرجهم عن دائرة الأدب مع الله، وسلفنا وعلماءنا وشيوخنا في حضرموت يقولون أن كلا الوجهين صحيح، أي محتمل، سواء كان نبياً أو ولياً، فالمسألة ليست مسألة تفاوت أو تفاضل، فالمسألة مسألة تقرير فهذا شيء حصل وأجراه الله فلماذا نعترض ونقول لا هذا نبي وهذا يقول لا هذا ولي، فيدخلون في جدال الأمة في غنى عنه ولا يعود على المسلمين بفائدة، إذن إن كان ولياً فالعطاء من الله أو نبياً فالعطاء أيضاً من الله ﷻ ونستفيد مما جرى من الوقائع كفائدة وعلم يعود علينا بالنفع، فمن باب الأدب والسلوك ما بين المريد والشيخ والمتعلم والمعلم وفي هذه إشارة إلى أن كل سلسلة الأنبياء تعلموا الآداب والأخلاق في التلقي والطلب، فأول ما وصل إليه قال له موسى عليه السلام هل أتبعك، أي هل تقبلني أن أكون تابعاً لك على أن تعلمن مما علمت رشداً؟ أنت عندك علم وأنا أريد أن أتعلم وأكون تابعاً لك ليس نداً ولا مثل ولا أتيتك كنبي أو رجل يرى في نفسه مقاماً، بل جاء متعلم في الطلب والأخذ بشروط، وعلمني مما علمت رشداً فالله أرشدك إلى الخير والمعرفة والعلوم فعلمني، أما الجواب فلم يقل له من أنت ومن أين جئت ولم يفتح له ملف كما نحن نفتح للطلاب ملف ونقول له من أنت وما انتماءك الاجتماعي وكم عمرك فهذه المسائل عبارة عن تقييد زمني لمصالح الدنيا والعلاقة، لكن انظروا كيف هذا الرجل رد على موسى بهذا الرد الشديد ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ أنت ما تصلح للتعليم، كيف ترون أن أحداً يقول لموسى عليه السلام أنت ما فيك صبر ولا تستطيع الارتباط والأخذ ولا لديك شروط طالب العلم والتلقي، والمفروض أن يقول له: كيف عرفت أني لا أملك شروط التلقي؟ هذا يدل على أن مراتب الرجولة التي بلغها الأنبياء والخضر عليه السلام هي مراتب عين الأدب الذي تربوا به من خلال علاقتهم بربهم على نفس المعنى والمنوال التي يقول فيها الرسول ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»، فصار سلوكهم وارتباطهم ببعضهم على هذا المقام والمكانة، وكل عبد صدق في الارتباط مع الله ينال نصيب من أمرين، أحدهما: صدق الأدب مع الله والعباد، والثاني: قوة العبارة والقدرة على اختراق صدور الآخرين وتحريك ما في نفوسهم من ضعف وعجز حتى يحس كل منهم أن المتكلم والمتحدث فعلاً له قوة روحية تربطه بالله ﷻ فكم مقدار التأثر عندما يقول له إنك لم تستطيع معي صبراً بعد أن تعذب بسفره من مكان بعيد، وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً؟ أنت أضعف من أن تحس أو تدرك وتعلم وتستوعب الشيء الذي لم تحيط به ولم يسبق لك به علم وعرفت له دليل ولا برهان ولا نظر، فلن تأخذ هذا المعنى فعلمي خارج

عن هذه الدائرة والمعرفة التي أنت تتكلم بها، قالها سيدنا موسى ﷺ وهذا الحوار أول مقابلة بين سيدنا موسى وهذا المعلم الخضر ﷺ: ستجدني إن شاء الله صابراً، وهذه كانت عظيمة لسيدنا موسى ﷺ، سأكون لك طالباً ومتلقياً على غاية من غايات الأدب والصدق والاتباع، فلن أعصي لك أمراً مهما كان عظيماً أو دقيقاً أو جليلاً، عندها جاءت الموافقة فقال له: فإن اتبعتني وما دام عندك الاستعداد للتلقي للعلم وخوض التجربة والالتزام فلا تسألني عن شيء، والعجيب أن نصف العلم السؤال ولا ينفع العلم بدون سؤال، لكن هذا العلم قال له أنا ما عندي إجاباته فلا تسألني، وهذا يدل على أن الإنسان في حالة الاختبار والامتحان قد ينزل على قلبه وسمعه شيء من المعرفة تؤثر على أعصابه وانفعاله، فإن كان كثير الغضب يتعلم الهدوء، أو بارداً يتعلم النشاط، فنرى سيدنا الخضر ﷺ دخل على سيدنا موسى من باب الطبع وليس من باب العلم، فسيدنا موسى كان سريع الانفعال، حتى ورد في بعض الروايات أنه إذا غضب وقف شعره كالمسامير في جسمه من شدة غضبه ﷺ، هذه صفة أودعها الله فيه فلا يغضب إلا لأجل الله، لكن في هذا المجال كيف يأتي معنى الأدب والتلقي، قال: إن اتبعتني وأنت الآن ستدخل أول درس من الدروس فلا تسألني، أنا باتصرف وباعلمك وسأكون لك قدوة وستكون تابعاً لي بشرط أن لا تسألني عن أي شيء وإن عظم عليك، فقط انظر واتبع وأمسك لسانك، تضع كل واحد مننا عنده نسبة من العقل والإدراك وربما كان عندك نسبة من العلم تعرف بها المنكر والمعروف وكون هذا الشيخ أو المعلم أو المربي أو النبي يفعل شيء أعتقد يقيناً أنه منكر وخطأ ثم أسكت فهذا مخالف للعلم والشرع ولما فهمته وتلقيت، وهذه مرتبة عجيبة من مراتب ودرجات العلم التي يجعل فيها المولى التفاوت في العباد، لهذا بدأت الرحلة، فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة، دائماً القرآن من وظائفه الإجمال أي يأتي بالعبارة مختصرة ومجملة، وعندما نفتح التفسير نجد أن لكل آية صفحة أو صفحتين من الشرح، لأن القرآن وظيفته الإجمال ومعجز ودائماً ما يملك صفات الديمومة، ثم يريد من كل إنسان عنده عقل ولب وإدراك أن يوسع مشهد النظر ويذهب ليبحث عن الشروط والمعاني ويستفيدها من خلال فهم الآية ولو كانت قليلة في عباراتها، حتى إذا ركبا في السفينة وذكر أهل العلم أنهم ساروا على الساحل سيدنا موسى والخضر ﷺ فعرف الناس الخضر وكان معروفاً في ذلك الزمن فأركبوهم في السفينة لأنهم كانوا يريدون الانتقال من مكان إلى آخر وذلك بدون أجرة لمعرفتهم بالخضر وركب معه سيدنا موسى ﷺ فسارت بهم السفينة مسافة من الزمن وكانت من رحلة إلى مدينة أخرى، فأثناء الرحلة في البحر فجأة قام سيدنا الخضر إلى السفينة وكانت فيها ألواح أخذ يقلعها حتى دخل الماء، فهذا العمل ورفيقه وتلميذه رآه وهم وسط البحر أمر ليس مستقبحاً فقط بل يجب أن يقبض فاعله ولا يمكن قبول ذلك مهما عظم حال

الفاعل، فغضب سيدنا موسى عليه السلام وقال: أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً، ولم يسكت فقال له أن المنكر الذي فعله عظيم، فكان أول اعتراض على شيخه، فكان سيدنا موسى آمر بالمعروف وناه عن المنكر، وقد أرسله الله لبني إسرائيل كي يؤدبهم، فيجد أول تجربة وفي حالة الموت والخطر يقلع اللوح، قال أهل العلم: قال لما قلع اللوح وضع ثوبه فهدأ البحر ولم يدخل الماء، لكن في نفس الوقت رأى سيدنا موسى هذا العمل منكر، فرد عليه الخضر عليه السلام: ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبراً ولست مؤهلاً للفهم والتعليم والاستفادة؟ جاءت كبيرة من الخضر لسيدنا موسى، هذه مراتب العلم، لهذا لو يتأمل الإنسان في عظمة هذه القصص والسور فالقرآن لا يأتي بها عبثاً، فأنتم قد تجلسون ساعة أمام التلفاز من أجل مسلسل تكتبون أسماءه وأسماء ممثليه ومخرجيه ومصوريه وكم يخسرون ويدفعون عليه وغالب ما يدفعون لهم غرض فيه وهو الانحراف، وغرض آخر هو التجارة أو الابتزاز والعياذ بالله وغيرها من المفاسد هذا ما يشاهدونه أولادنا وبناتنا وإخواننا في القصة المقروءة والمسموعة والمرئية، فهذه قصة أليس كذلك؟ وهي واقعية حقيقية تشير إلى أشرف معاني القصص لأنها جاءت في أعلى درجات الرجال، الذين هم الأنبياء عليهم السلام، أو بمعنى آخر من بلغوا مرتبة النبوة وهي الصديقية الكبرى، فانظروا كيف تصف لنا هذه الآيات التحول والتسلسل والتنقل وكم فيها من مقدار العلم والخشية والتأدب والعطاء الإلهي، قال ﷻ ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ وكان كلاماً خطيراً، أي أنك قد نقضت العهد الذي بيني وبينك، ولا عندك صبر ولا تستطيع أن تكون طالب علم وتستفيد، مع العلم أن ما حصل من موسى عليه السلام ومن الخضر عليه السلام لم يكن بينهم كتاب، فلم يكن علم تلقي كما هو معروف عند الناس أن يأتي فيقرأ عليه أو يستمع منه أو يأخذ عنه أو يملي عليه، لأن موسى عليه السلام قد تجاوز هذه المرحلة فقد منحه الله من العلم ما فيه الكفاية، لكن المرتبة التي يريد الله بها أن ينبه ويعاتب سيدنا موسى أن هذا العالم فيه من العلوم ما لا تدري ولا تعلم ولا مزيد عليه وما عندك ليس إلا الشيء اليسير، في التفسير أنهم لما ركبوا في السفينة جاء طائر فوقف على حرف السفينة ثم نقر في الماء فأخذ قطرات، فقال الخضر لموسى عليه السلام من باب الرمز: «ما علمي وعلمك من علم الله إلا كما أخذ الله من هذا الماء» فلا يمكن احتواء هذه العلوم التي أودعها الله في العالم، يقول ﷻ ﴿لو كان البحر مداداً لكلمات ربي...﴾ وهذا أكبر مثال عجيب، فمن يريد مراتب العلم في هذا الوجود فلو كان البحر مداد والأشجار كلها أقلام لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا، ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام... ما نفدت كلمات الله﴾ هذه عظمة العلم، فكيف ترون أحدكم عندما يستلم شهادة الجامعة أو الكلية أو أي شهادة فكم مقدار النفخة التي يصاب بها والفرح؟ ما السبب؟ لأنه لم يطلب العلم، ولو طلب العلم لم يكن ليفتخر أو

ليحس بهذه الكبرياء الكاذب، ولم يكن في هذا الفخر، إنما طلب المال بالعلم والمرتبة بالعلم والجاه بالعلم، ومادام منقطع عن العلم يكون على صفة الافتخار والانتفاخ الصوري على غير معنى كالورم، فمراتب العلم التي يريدها الله أن يطلب العلم للعلم فلا يفخر به ولا يستشعر عظمة ما معه ولا يقول قد وصلت إلى درجة كبرى بل يستمر، وهكذا سمعنا في قصة موسى(عليه السلام)، قال(عليه السلام): ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت﴾ والنسيان له حكمه، وقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» وفيه إشارة أن الإنسان يخطئ ويحصل منه الزلل، لكن غالباً من في مرتبة النبوة والصديقية قد لا يحصل منه الفعل العكسي عمداً وإن عظم إلا أن يكون النسيان، ﴿ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ لهذا قالوا أنه نسيان، ثم قال أن هذا الأمر الذي سلط عليه أكبر من مستوى إحساسي وإدراكي وتقبلي وتحملي فلا ترهقني فلا تكلفني في أنواع العلم ما هو فوق الطاقة والاستعداد والإمكانية التي لدي، فمستوى إدراكي وإحساسي وفهمي والتلقي عندي أدنى من هذا الحد، هذا ليس علماً بل اختباراً صعباً، أعطني شيء أستطيع أن أتعامل معه وأدرك أبعاده، ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾ نزلوا من السفينة ودخلوا مدينة من المدن ووجدوا أطفالاً يلعبون، وكلهم متقاربون في سن الشباب، دخل سيدنا الخضر في موقع اللعب والأطفال يلعبون فوجد ولداً وضيئاً في أحسن عمر الشباب فقبض عليه وخنقه وقتله، سيدنا موسى(عليه السلام) لعل الأولى كانت أسهل عليه من الثانية، فقال له: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس﴾ هل خرجت معك لأجل تعلمني أو تشركني في القتل والذنوب والمحن؟ هذا ظاهر العلم بلا شك، أولاً كنت باتغرق الناس وقبلناها والعفو منك، فقد نسيت ولا ترهقني أكثر من هذا، خرجت إلى الطريق فقتلت إنسان ﴿قتلت نفساً زكية﴾ ولد صغير لم يعص الله بعد ولا زال في مستوى الطهارة والنزاهة ويقول سيدنا موسى هذا على اعتبار أنها حجة، فهو يعرف أن الخضر قد يرتكب أشياء عجيبة ومستوى العلم الذي لديه غير الذي في مستواه، لكن إن كان القتيل كبيراً يكون مقتله بسبب معصية، أو ارتكاب خطيئة يستحق عليها القتل، لكنه طفل يلعب مع الأطفال ونفس زكية بغير نفس فلم يراه يقتل أحد أو ضر أحد، فكيف يقتله بغير نفس؟ ففي الأولى والثانية حكم، ولو وقف عند مستوى الاستقباح والاستنكار لكفاه، مثلاً إن قال: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس﴾ وكفى، فهذه فيها سؤال يرد عليه، وفي الأولى لو قال: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ وكفى، لكن في كل مرة عليه السلام يضع حكماً، ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ لا يجتمع عليه أهل الطباع السليمة، ﴿لقد جئت شيئاً إمرا﴾ شيئاً خبيثاً منكراً، فرد عليه الخضر(عليه السلام): ﴿ألم أقل...﴾ مستوى علمك يا موسى لا يلتقي مع مستوى علمي، وهذا الكلام لو نظرنا إليه في كثير من حياة البشر من باب الاستطراد في حياة البشرية فالله(عز وجل) جعل علوم البشرية أنواع حتى في حياة الناس الأولياء والصالحين، فبعض الناس أعطاه

الله نصيب من الجذب، ولا أعني بذلك الغرام أو الخروج عن دائرة العقل، بل قد يبلغ الرجل المأخوذ مثل سيدنا أويس القرني وهذا مثال قوي كي تفهموه، فسيدنا أويس القرني كانوا يسمونه مجنوناً في عصره، وقد كان كذلك في مستوى نظر قومه وأصحابه لا يقبل سيدنا عمر وعلي، وأهل العقول السليمة في مستوى فهمهم من سلامة عقلهم يقررون أن هذا الرجل قد جن وأخذ ولا يليق أن يتفاهم مع القوم، فإن كان هذا موجوداً فيما يتعلق بالبشر أنفسهم وسلوكهم، لأنه لما التقى بسيدنا عمر وعلي لم يسمح لهم بالحوار والكلام، بل حتى لما سألوه حاول يغيب عليهم، فقال لهم أنا عبد الله ليس فلان ولم يعرفهم بنفسه، ولما عرفهم وعرفوه لم يطل معهم النظر ولم يجالسهم ويناقشهم ولم يقبل منهم المال، حتى أن سيدنا عمر سكت سكوتاً المتأثر ويضرب درته بالأرض ويقول «من يأخذها مني» من يأخذ مني الخلافة؟ لا أريدها لما سمع الكلام من أويس القرني الذي هو في مستوى عموم الخلق مجنون، لهذا يجب على كل واحد منكم ومنا ألا نفخر بما نعلم ولا نستقبح ما نسمع، فإن سمعت من كرامات الأولياء والمجاذيب وعما يدور في عالم الله لا تستقبحه، فإن شاهدت منكراً وأنت من أهل الميزان العلمي فاستقبحه بما يلزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن ضع في حسابك أن العالم ملآن بعلوم يأتي عن طريق الأولياء، وعلم يأتي عن طريق المشعوذين، وعلم يأتي عن طريق علماء الفلك، أو الجرة، التنجيم، السحر، الجن، الإيحاء، الإلهام، وخذ لك من العلوم الكثير، فماذا لديك؟ هناك علوم عصرية تأتي عن طريق الكفار بواسطة التنويم، فالدنيا ملآنة علم، بينما أحدهم لا معه شيء ويرى نفسه شيخ العلماء، فإذا دخل المسجد لم يريح أحد، وإن طلع المنبر لم يترك أمة من أذى لسانه بالحكم والكفر والتشريك والتبديع، ما علمك وما نوع التلقي الذي تلقيته، عند من تعلمت؟ هؤلاء أنبياء بلغوا مرتبة المكافحة مع الحقﷻ وفوق هذا يبتليهم الله عن طريق العلم أن ما عندهم من العلم قليل، وأن كلما ازداد الإنسان صبراً وحلماً وتوسعاً وتجربة اتسع علمه، وباتساع العلم يتسع الحال والنفع، وتستوعب هذه الأمة التي جعلها الله في هذه الأمة على نماذج مذاهب وأفكار وعقول، اليوم عندما تدخل منزلاً ترى كل فرد فيه على رأي، أو قرية تجد كل واحد لوحده، أو مدينة تجد كل واحد على جانب، بسبب أنماط ابتلاء وبعضها سوء إيصال للمعرفة، فكيف تتعامل مع هذه الأمة وتستفيد من هذه القصص وتدخل في هذا المدلول الذي بينه اللهﷻ في مثل هذه السورة عن سيدنا موسى عليه السلام.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل العلم النافع ويرزقنا نصيب من الفهم والحكمة والاتصال بعلم العلماء وبركة الأولياء والارتباط بها وهبه لهؤلاء الرجال الكمّل الصالحين ظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال ﷻ مخبراً عما جرى لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿ألم أقل لك إنك لم تستطيع معي صبراً. قال إن سألتك عن شيء... عذرا. أقرب رحما﴾ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، سبق لنا في هذه السورة المباركة أن قرأنا آخر درس في شهر شعبان حول ما هيأه الله ﷻ من اللقاء بين سيدنا موسى والخضر، وما أجرى الله تعالى في هذه السورة بين هذين الفردين من عجائب المصادفات والأقضية والأقدار، وقد ورد في الآية كما سمعنا من قبل كيف أن الخضر عليه السلام اختبر سيدنا موسى في بعض المسائل وأدخله فيما يسمى عند أهل العلم بالتربية والالتزام، وكان موسى عليه السلام قد علم علماً من ربه وهو علم النبوة، ولكن مولانا قال في كتابه ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ فأراد أن يبرز للأمة عموماً وللأنبياء خصوصاً أن علم الله عظيم وأن لله عباداً ربما علموا من العلم أكثر مما يعلمه بعض الأنبياء، وقد اختلف في شخصية الخضر أنبي هو أم عبد لله صالح غير نبي، وهذا الخلاف طال خبره بين العلماء ومنهم من راى أنه نبي باعتبار أن الوحي كان ينزل عليه كما ورد في بعض الآيات، وبعضهم رجح بأنه عبد صالح ليس بنبي يوحى إليه، إنما كان الله يلهمه الخير، ولو كان في هذا الأمر شيء من حيث الفصل لفصل القرآن في ذلك لكن الإفادة كلها والاستفادة أن نتعلم أن لله في هذا الكون عجباً في الناس وفي العباد والأنبياء، فقد جاء موسى عليه السلام إلى مجمع البحرين وبدأ يتحرك مع الخضر بتلك القصة التي قد سمعتم طرفاً منها، فكان أول ما كان أنهم ركبوا في السفينة فجاء الخضر فخرق السفينة، فاعترض عليه موسى، لكن الله حفظ أهل السفينة لحكمة أرادها في ذلك الفعل، فكان الخضر يعاتب موسى ويقول له ألم أقل لك إنك لم تستطيع معي صبراً ولم تسكت وستعترض علي، فقال لا تؤاخذني بما نسيت فكانت الأولى نسيان من موسى عليه السلام وقال لا ترهقني من أمري عسراً أي لا تكلفني مشقة في مصاحبتي لك وعاملني باليسر لا بالعسر، فانطلقا في المرحلة الثانية وعبرا في مدينة فوجدوا أولاداً يلعبون وبينهم غلام كان أنضرهم وأحسنهم، فإذا بالخضر عليه السلام يمسك الطفل ويقتلع رأسه بيديه ويصرعه على الأرض، فلما رأى موسى عليه السلام هذا الفعل غضب وقال أقتلت نفساً زكية، ومعنى زكية أي طاهرة صغيرة لم ترتكب جرماً ولم تقتل نفساً حتى تقتل بها، لقد جئت شيئاً نكراً، فكان ينتقده ويحكم عليه، أي فعلت شيئاً منكراً عظيماً لا يمكن السكوت عنه، وأنى لموسى أن يسكت على منكر وهو نبي الله الذي عرف بشدة الغضب في الله؟ وموسى في هذه المرة لم يكن ناسياً كما كان في المرة الأولى، لكنه كان في غفلة عن الأمر أن المنكر الذي ارتكبه الخضر عليه السلام كما يعلم هو ليس بلازم بل أمر خطير ولا يسكت عنه ومنكر واضح، فرد على الخضر ليس نسياناً بل تعمداً لما رآه من ذلك الفعل الشنيع في نظره، فرد عليه الخضر وقال له إنك لا زلت

غير متمكن من الالتزام بالشرط الذي بيننا، فقال له موسى: ﴿إن سألتك عن شيء بعدها﴾ هذه المرة الأخيرة فإن وجدتني اعترضت عليك في مسألة ثالثة ستكون نهاية الصحبة ﴿فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً﴾ أي قد وصلت إلى مرحلة يصح لك فيها ترك مصاحبتي فأنت معذور لأني خالفتك ثلاثاً، فانطلقوا في رحلتهم، ﴿حتى أتيا أهل قرية استطعما أهلها...يضيفوهما﴾ قرية من قرى الشام فعبروا على أهلها وطلبوا من يعطيهم شيء من الطعام، لكن كان أهل تلك البلدة والعياذ بالله لا يكرمون الضيف، فلم يطعموهم ولا سقوهم الماء وامتنعوا عن إضافتهم، فمر الخضر عليه السلام في أرجاء المدينة حتى سار أمام جدار من الجدر وكاد هذا الجدار أن يسقط فوقف الخضر يسوي ذلك الجدار ويأتي بالحجارة كي يسنده ويعيده إلى ما يجب أن يكون عليه من الاستقامة، وفي رواية أن الله ﷻ قد أودع في يد الخضر سراً فمسح على ذلك الجدار واستقام، سيدنا موسى عليه السلام لما رأى هذا العمل من الخضر قال له ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾ لو كان الأمر يقتضي أن تصلح هذا الجدار لهؤلاء الذين لم يكرمونا أقل شيء خذ عليه أجرة، فكان هذا الكلام من موسى عليه السلام اعتراض، والمقصود من كلام موسى أنك لو أخذت الأجرة لاشترينا الطعام بدلاً عما حصل لنا من القوم، فكان رد الخضر عليه السلام: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ انقطع الأمل في استمرارك معي فأنت لم تصبر ولم تنجح فيما اتفقنا عليه، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً، من المسائل الثلاث التي اختبرتك فيها ولم تسكت سأريك ما هي العلل والحجج والبراهين التي جعلتني أفعل ذلك الفعل من حيث العلم وصحته ومن حيث جهلك أنت بما كنت عليه من الاعتراض، فقال: ﴿أما السفينة...غصباً﴾ هذه السفينة قمت بخرقها حتى تصبر معلولة وهناك ملك في طرف من أطراف الأرض هذه السفينة متوجهة إلى مينائه ومن عمل هذا الملك أن يخرج ويبحث عن السفن الصحيحة السليمة فيأخذها لنفسه، وإني فجرت هذه السفينة حتى تبقى محافظة لا يستطيع الظالم أن يأخذها لأنها كانت لجماعة من الفقراء الذين اشتركوا في شرائها وكانوا يستفيدون مما تأتي به من البحر، وهم جماعة من الضعفاء والبسطاء الأمراض، فأردت أن أعيبها حتى لا يغتصبها الملك الظالم، فاستفدنا من ذلك أن فعل الخضر عليه السلام كان له وجه شرعي، أما الغلام فكان أبواه مؤمنين، أما الغلام الذي قتلته واعترضت علي في ذلك كان فاجراً كافراً وله أبوين مؤمنين ولو عاش هذا الطفل وكبر سيكون سبباً في كفر أبيه وأمه، فأراد الله ﷻ أن يبقى أبواه على الإسلام فسخر الله الخضر فقتل ذلك الطفل لما قد سبق في سابق الأزل والعلم لدى الخضر مما علمه الله أن هذا الولد لا يمكن أن يعيش فلو عاش لكان سبباً في كفر أبويه، وقال القرآن مخبراً عن الخضر ﴿فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً... زكاة﴾ طهارة ﴿وأقرب رحماً﴾، وهكذا كان الأمر، السبب الثالث: ﴿وأما الجدار... لهما﴾ كان تحته كنز لطفلين يتيمين قد مات آبائهم السابقون،

قال أهل التفسير أن الأب السابع من جهة الأم كان صالحاً، فرفع الأحفاد صلاح الأجداد، وهذا فيه إشارة أن صلاح الآباء ينفع الأبناء، وأن تقوى الأصول تنفع الفروع، وأن عمل الآباء الذين ذهبوا إلى الله ﷻ يبقى أثره في أبنائهم ويمنح الله ﷻ الأولاد الحفظ والسلامة في الدنيا ببركة آبائهم الذين ماتوا، وهذا أمر واضح في كتاب الله، ﴿فأراد ربك أن يبلغا... رحمة من ربك.. وما فعلته عن أمري﴾ أي هذا الذي رايته من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ليس مبنياً على اجتهادي لكنه من أمر الله، وهذه المسألة التي جعلت العلماء يختلفون: كيف كان أمر الله للخضر إن لم يكن ينزل عليه جبريل؟ فالمعلوم أن الذي يوصل العلاقة بين الناس كالأنبياء وبين الحق ﷻ هم الأنبياء، فاعتبر بعض أهل العلم أن هذه الآية تشير إلى أن الخضر نبي، ومعلوم أن الأنبياء متنوعين فنبي مرسل ونبي غير مرسل، فلا بأس إذا قيل أن الخضر نبي غير مرسل، ولكن غالب أهل العلم أنه ليس بنبي مرسل ولا بنبي غير مرسل، إنما هو عبد من عباد الله الصالحين، وعلاقته بربه مبنية على الإلهام والتوفيق، ثم قال الخضر: ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ هذا هو تعليل وتحليل الأمور التي لم تستطع الصبر عليها وعارضتني فيها، هذا كله يبين أن في هذه الآيات التي استمعنا إليها وردت فيها هذه القصة إشارات عظيمة وفوائد علمية ينبغي أن نستفيدها، فمثلاً نستفيد من هذه الآيات الكريمة أن القرآن اعتنى بالقصة وأن للقصة أثر في ربط الناس بربهم ومعرفة حق الخالق، ثانياً: أن من القصص ما يبين كرامات الأنبياء ومعجزاتهم وكرامات الأولياء، فالأولياء لهم كرامات ثابتة وإذا قلنا أن الخضر عليه السلام هو عبد صالح هو فيعني أنه عبد من الأولياء الصالحين، وله كرامات أظهرها تعالى في هذه الاية، لكن لا ينبغي أحد أن يعتقد أن الأولياء أكبر من الأنبياء، فالترتيب المعروف أن الأنبياء أفضل، والأولياء يأتون في الدرجة الثانية بعد الأنبياء، ففي هذه القصة لا يعني تفضيل الولي على النبي إنما فيه تقرير لنوعية العلم فقط، ان الله ﷻ قد يجعل من العلم علماً لا يطلع عليه الأنبياء وقد يطلع عليه بعض عباده، مثل ما جرى للسيدة مريم عليها السلام، في قصتها مع زكريا وهي تشير إلى ولاية تلك المرأة وأنها من الصالحات، وأجرى الله على يدها من الكرامات ما أثبته القرآن، فهذه فوائد يستفيدها الإنسان من آيات الله ويستفيد منها ضرورة الصبر وأن التعلم لا يأتي بالعجلة والاستعجال، فالخضر عليه السلام يحث موسى على الصبر ففي الصبر فائدة وثمرات، وهكذا شأن العلم والتعلم، ومن الفوائد: ليس كل علم يكتب أو يقرأ، فإذا نظرنا إلى موسى عليه السلام مع الخضر وجدنا أن موسى كان في مرتبة المتعلم، والخضر في مرتبة العالم أو المعلم، لكن ليس هناك كتاب قرئ أو طرح من الخضر على موسى قد طرح، لكنها تجربة عملية، فعرفنا أن في التجارب العملية وفي الصحبة والسفر المشترك نوع من أنواع التعلم، وهذا أيضاً يبين لنا أن الله ﷻ أودع في سلوك الأولياء والصالحين

ومصاحبتهم والجلوس معهم ومعاشرتهم فائدة ونفعاً يستفيده الإنسان، وإذا كانت مصاحبة موسى للخضرعليه السلام قد بينت لنا هذه المعنى العظيم المشار إليه في هذه الآيات فكيف بمن صاحب الأنبياء سنوات وكيف بمن صاحب العلماء سنوات أخرى؟ فلنعلم بارك الله في الجميع أن الصحبة في العلم والاستفادة من تجارب أهل العلم تعود على الإنسان بنصيب وافر من المعارف العلمية والنظرية والمقصود بالنظرية أي التجربة التي تعود على الإنسان بالفوائد، لذلك بين أهل العلم أن العلم بالتعلم، وكثير من نماذج العلم يتأتى بمجالسة الأولياء والعلماء والصلحاء، فإنك أيها الطالب أو الطالبة تستطيع أن تكتسب من سلوك الصالحين وسلوك العلماء المتقين ومن الاقتداء بهم والنظر إلى أعمالهم وأحوالهم علماً أكثر مما تأخذه عن الكتاب والشريط والوسائل الأخرى، إذن هذه إحدى القصص العظيمة في كتاب الله، والتي جمع اللهﷻ فيها أنواعاً من الفوائد وألحقهاﷻ بقصة أخرى، وهي قصة ذي القرنين قالﷻ: ﴿ويسألونك.. ذكر﴾ وهنا ينبغي أن نتعلم أن السؤال نصف العلم والإجابة مكملة للنصف الآخر، ويجب على المسلم والمسلمة أن تتعلم السؤال في العلم ولكن السؤال في العلم ينبغي أن يكون بنية الاستفادة لا بنية الجدل، لذلك لما سأل الناس رسول اللهﷺ عن ذي القرنين، ومن هم الذين سألوه؟ قال في التفسير أن من سألوه هم اليهود، وهم أهل كتاب، وقد ورد في كتبهم أخباراً من أخبار ذي القرنين فسألوه عنه، فنزل القرآن يجيب عنهم: ﴿قل سأتلوا.. ذكر﴾ سأقص عليكم من نبأه وخبره قرآناً ووحياً من عند الله، هذا إشارة إلى أن الإسلام يعتني بالتاريخ وقصص الأفراد وبتراجم السابقين، كما نستفيد أن الإثبات أي التوثيق العلمي للتاريخ والأحداث أمر مشروع في الإسلام، وقد وثق الله لنا في القرآن قصصاً كبيرة وأحداثاً تاريخية صار المرجح لصحتها ورودها في كتاب اللهﷻ، فالأقوال فيها من الكذب والدس والنحل والتغيير الكثير من اقوال الناس، أما كلام الله فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيستفاد أن كتاب الله أعظم مصدر من مصادر التوثيق للتاريخ، فيتلو الإنسان القصص التاريخية عن موسى والخضر وأخبار ذي القرنين وهو متأكد تماماً أنها قصة يقينية وصحيحة بما ورد عنها في كتاب اللهﷻ، فقالﷻ: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين... ذكر﴾ وهنا قال أنه لن يأتي لنا بأخبار ذي القرنين كلها لكن بشيء من ذلك: ﴿إنا مكنا له في الأرض﴾ هو أحد الملوك ويسمى الاسكندر الأكبر المقدوني، عاش في العصور السالفة الماضية قبل الإسلام، كان رجل قوي الهمة شديد الشكيمة، كذلك يمتلك من الأموال والأسباب ما مكنته إلى غزو العالم، فيكاد يكون من الرجال الذين ملكوا العالم كله، لذلك هذا الاسكندر وصف الله خبره فقال: ﴿إنا مكناه في الأرض﴾ وما معنى مكناه؟ أي ملكناه أطراف الأرض ﴿وآتيناه من كل شيء سبباً﴾ أي يسرنا له أسباب الملك والسلطان والفتح والعمران وتكوين الجيوش وقيادتها،

وأعطاه الله من العلم المناسب لزمانه ما ساعده على استغلال أسباب المادة وتطويعها لمصلحة جيوشه وحكمه وملكه، وهو قد ملك المشرق والمغرب، قال أهل العلم كان ملكاً مؤمناً مكن الله له في الأرض فعدل وأصلح المجتمعات، وكانت مرحلة وجودها ما بين عيسى عليه السلام وسيدنا محمدﷺ، هذه مسألة مهمة، وهي أن كتب السماء كالتوراة والإنجيل لم تذكر ذا القرنين وأن قصة ذا القرنين لم تأت إلا في القرآن، لهذا كانت حياة هذا الملك في الفترة ما بين عيسى عليه السلام وحياة نبينا محمدﷺ، على كل حال من باب الاستفادة قال أهل العلم أن الذين ملكهم الله الأرض أربعة وملكوا العالم وكان حكمهم عالمياً في كل مكان هم أربعة: اثنان كفار واثنان مسلمين، أما المؤمنات فسليمان عليه السلام ابن داود، والثاني ذو القرنين، وأما الكافران فالنمرود والثاني بختنصر، وبختنصر هو أحد الملوك الذين آذوا وامتهنوا اليهود في العصور السابقة، وصف الله تعالى خبر هذا الملك (ذو القرنين) الذي منحه الله من كل شيء سبب ويسر له أسباب السفر في البر والبحر، وطبعاً في تلك العصور لم يكن فيها أسباب السفر بالجو، فأتبع سبباً أي جهز جيوشه وسلك طريقاً نحو جهة المغرب، حتى إذا بلغ مغرب الشمس أي وصل إلى الحد الذي يرى في آخر مساحة الأرض أنها تغرب فيها الشمس وجدها تغرب في عين حمئة، أي على حسب نظر العين عندما بلغ إلى نهاية موقع الأرض من جهة الغرب وجد أن الشمس تغرب في ماء وطين، طبعاً هذا ما لاحظه بعينه لكن الحقيقة غير ذلك، لكن هذا ما رآه وفسره في تلك اللحظة وهو واقف على أقصى حد من حدود الأرض من جهة الغرب ومد نظره إلى الأفق فرآى في نظره أن الشمس انطفأت ونزلت في ماء وطين، والشمس أعظم من هذا، ليست كذلك، لكن كما تعلمون أن كل أهل زمن وأهل كل عصر دائماً يفسرون الظواهر الطبيعية حسب مقتضى ما يفهمون من إدراك العقل، وأن إدراك العقل هو عامل مساعد على تعليل الظواهر وتفسيرها، فكان مقضي عقله وفهمه وهو ينظر إلى الشمس وطبعاً هي بعيدة عنه لكن هكذا نظر إليها أنها غربت في ماء وطين أي ماء حمئ، هذا حسب نظره أما الحقيقة فليست كذلك، لذلك وجدها تغرب في عين حمئة وفي هذه المنطقة وجد عندها قوماً، فلما وجد هؤلاء الناس لا يستطيعون ولا يفقهون قولاً، قلنا يا ذا القرنين هذه المنطقة في جهة الغرب لما وصل إليها ووجد عندها أمة قلنا يا ذا القرنين أي عن طريق الإلهام فاللهﷻ ألهمه أن يفعل فيهم ما هيأ الله له من الاختيار إما أن يعذبهم أو يتخذ فيهم حسناً، ﴿قلنا يا ذا القرنين.. حسنا﴾ إما أن تقتلهم أو تدعوهم إلى الإيمان، قال المفسرون أن أولئك القوم كانوا أمة كافرة، فأحس بإلهام ربه بدأ يفكر ماذا يفعل؟ ﴿أما من ظلم فسوف نعذبه﴾ من أصر على الكفر سوف يقتل ﴿ثم يرد إلى ربه... نكرا﴾ فالقتل ليس حلاً لكنه سينتقل إلى عالم الآخرة وسيجد حسابه عند ربه على كفره، و﴿أما من آمن وعمل صالحا... حسنا﴾ في الدنيا أو في

الآخرة، ﴿وسنقول ... يسرا﴾ سنيسر عليه في هذا الوجود والدنيا ولن نؤذيه أو نضره، هكذا كان يدور الفكر في عقل ذي القرنين، وهكذا فعل في أولئك القوم ما بينه القرآن من الحالتين من أسلم تركه وساعده على إقامة حياته في ذلك الموقع والذين كفروا قتلهم، ثم استمر في رحلته ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي سلك طريقاً بعسكره وجنده نحو المشرق، متحولاً من جهة الغرب قاطعاً الأرض من وسطها، فاستمر يسافر مدة من الزمن قال بعض أهل العلم أنها شهور، حتى بلغ مطلع الشمس، انظروا كيف القرآن يصف لنا أخبار أولئك لا يصف لنا مثلاً كيف تركيب الشمس أو تركيب الأرض بل الحال الذي جرى لأولئك، ويترك التفسير والتعليل للشمس والأرض ومسافة الشمس إلى الأرض يتركها للعلم، ﴿حتى بلغ مطلع الشمس﴾ وصل الاسكندر إلى أقصى المعمورة من جهة الشرق ولم يبق معه إلا أن يرى الشمس أمامه، فوجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً، وجد الشمس تشرق عليهم ليس عليهم من لباس ولا بناء ولا ما يسترهم من حر الشمس إنما أسراب تحت الأرض وأنفاق يدخلون إليها إذا طلعت الشمس وإذا غربت خرجوا لمعايشهم ومكاسبهم، وهنا يشير إلى أن هذه المنطقة التي وصل إليها كانت بلداً شديد الحرارة، فلما وصل إلى هناك ورأى حالهم وشكلهم وما كانوا عليه حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع.. ستراً.. خبراً، أي أن الله ﷻ قد أعطاه من العلم ما يمكن له أن يتصرف مع هؤلاء القوم بنفس الأسلوب الذي تصرف به مع أهل المغرب، يترك المؤمن ويقتل الكافر، واستمر على تلك الرحلة ثم أتبع سبباً أي واصل الرحلة الثالثة في طريق ثالثة بين المشرق والمغرب على جهة الشمال، وكان يسير في جبال شاهقة، حتى إذا بلغ مكاناً وهذه المنطقة وصفها الله بقوله ﴿بين السدين﴾ منطقة بين حاجزين عظيمين، قال أهل العلم أنها قريبة من أذربيجان وأرمينيا وهي مناطق لما يسمى الآن بالاتحاد السوفيتي، وبعضهم قال أنها منطقة غير معلومة على خارطة الأرض الآن لكنها موقع من الأرض، وهذا السد الذي وصل إليه هو الحاجز، كان حاجزاً بين الناس وأمة أخرى، فماذا وجد؟ ﴿وجد من دونهما قوماً.. قولاً﴾ وجد جماعة وأناس وقبائل لا يكادون يعرفون لسان من لسان البشر غير لسانهم، ولا يعرفون كلام الناس ولا يفقهون لغة الأمم، وهؤلاء لا يحتاجون في التوسط بينهم وبين الناس إلى ترجمان، فلا إمكانية لترجمة ما يقولون لانقطاعهم عن الناس، فقال له أهل تلك المنطقة الذين كانوا من جهة السد إلى جهة الأرض: ﴿يا ذا القرنين إن يأجوج.. مفسدون في الأرض﴾ خلف هذا السد أو الجبال جماعة يطلق عليهم يأجوج ومأجوج وهم مفسدون في الأرض كثيرو الإفساد من القتل والأذى والنهب والسلب وغيرها من أفعال الفساد، حتى قيل أنهم يأكلون لحوم البشر فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا حملوه معهم، وطلبوا من الاسكندر أو من سماه القرآن بذي القرنين قالوا ما دمت وصلت إلينا بهذا الجيش والعدد والعدة

نطلب منك أن تجعل بيننا وبين هذه القبائل المتوحشة سداً يمنعهم من الصعود إلينا ونحن نـدفع لـك مـا تريد من المال، أي نفرض لك أموال وضرائب سنوية تصل إليـك حيـث مـا كنـت مـن الأرض، قـالﷺ واصفاً ذلك الخبر، ويأجوج ومأجوج قبيلتان يقول بعض أهل العلم أنهم من بني آدم وسلالة آدم لكـنهم كانوا قبائل مشوهة الخلقـة وأشـكالها تميـل إلى التـشوه وتعـيش منفـردة ومعزولـة عـن العـالم والنـاس، ووصفهم بعض المفسرين بتفسير وأخبار وأقوال لا يستطيع أحد أن يجزم بها، فمنهم من يقول أن بعضهم عظيم الخلقة وبعضهم يقول أنهم قصار وأن أشكالهم كأشكال الفيلة وكل واحـد يـتكلم في هـذه المـسألة على حسب ما وصل إليه من الخبر ولم يفصح القرآن في ذلك بشيء، فلم يفـسر أشـكالهم ولا ألـوانهم ولا أحجامهم، إذن ليس هناك داع لأن نشغل أنفسنا بالشكل واللون والطول والعرض، لكن نعلم أنهم أمـة من الأمم وفي بعض الأقوال أنهم من بني آدم ومن ذريتهﷺ، لكنهم عاشوا في جانب مـن الأرض وهـم مشوهون ولديهم طباع غليظة كالبطش والأذى والتنكيل لمن وجدوه، فعرضوا عـلى ذي القـرنين مـسألة السد ﴿سداً. ما مكني... بقوة... ردمـاً﴾ اسـتجاب ذي القـرنين ورأى أن المـسألة خطـيرة ويـستحق أن يساعد أولئك فأمر جيوشه أن تتحرك وتعمل وأمر أهل تلك المنطقة أن يساعدوه وأكد لهم أنه سيبني سد يمنع وصول هذه الجماعات من يأجوج ومأجوج إلى المنطقة التي فيها الأناس الآخرين من بني آدم حتـى لا يحصل منهم ضرر، ﴿ما مكني.. خير﴾ كل ما معي سأبذله، أعينوني بقوة ولا أريـد مـنكم مـال لكـن أعينوني بالمال والرجال أجعل بينكم وبينهم ردماً، أي حاجزاً منيعاً حصيناً، ﴿أتوني زبر الحديد﴾ أي قطع الحديد الكبيرة فجمعوها له، فكان يضع قطع الحديد الضخمة بين الجبلين في الفتحة التي يخرجـوا منهـا، وكانت قطع الحديد تبنى كما يبنى الجدار حتى ارتفعت ووصلت لأعلى الجبـل، فقـال لهـم الآن نـصهرها بالنار، فركب المنافيخ وأشعل النيران قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً وجعل الحديـد المـتراكم كالنـار مـن كثرة الحرارة قال آتوني أفرغ عليه قطراً أي جاءوا له بالنحاس الذي ذاب مـن شـدة الحـرارة سـكبه فـوق الحديد، لأن الحديد لما نفخوا عليه الحرارة تماسك مع بعضه البعض، فصار سداً واحداً، فجاء فوقه وذاب عليه النحاس فسد ما بين الجبلين من الأسفل للأعلى، والتصق بعضه ببعض، وصعب عـلى كـل الفئـات سواء كان في فئة ذي القرنين أو يأجوج ومأجوج صعب عليهم الصعود على هذا السد، لأنـه كـان أملـساً نحاساً وحديداً أملسا، لا يستطيع أن يظهروا عليـه أو يحفـروا فيـه، ولم يـستطيعوا أن يـصنعوا فيـه شيء، ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾ ما استطاعوا أن نقبه من أسفل لصلابته وثخانته، وبهـذا الـسد المنيـع أغلـق ذي القرنين الطريق على يأجوج مأجوج، ثم قال: ﴿هذا رحمة ربي... ﴾ فإذا جاء وعد ربي ووعد بخروج هذه الجماعات من يأجوج ومأجوج وذلك قرب قيام الساعة موعد خروجهم من هذا الـسد وتأكـل وتـشرب

كل شيء على ظهر الأرض كما هو معلوم في علامات الساعة، فهذا السد الذي وضعه ذي القرنين فائدته محصورة لمن عاش في تلك المنطقة بل إن فائدته شملت كل أهل الأرض بحيث أن نسل يأجوج ومأجوج محصورون في ذلك المكان إلى اليوم ويأكلون ويشربون في تلك المنطقة المغلقة، لكن سيأتي يوم من أيام الله في مستقبل الزمان وقد ورد في علامات الساعة أنه سيكون في عصر عيسى عليه السلام فيفتحون هذه المنطقة وقد ورد في حديث النبي الذي ذكرته لكم في الأسبوع الماضي: «ويل للعرب من شر قد اقترب، لقد فتح الليلة من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا: (وحلق بين اصبعيه السبابة والإبهام)» فقد فتح من هذا الردم مثل دائرة اليد كعلامة رقم خمسة إذا وضع الإنسان سبابته وإبهامه بشكل دائري فقد فإن فتحة يأجج ومأجوج على عهد النبي كانت على تلك الشكل، فلا شك أنها الآن قد كبرت، وأن هذا الانفتاح سيزيد ويزيد حتى يأتي عصر عيسى عليه السلام فيكون هذه الفتحة تسمح بخروج يأجوج ومأجوج جميعاً من ذلك المكان فيكتسحوا جميع الأرض من مشرقها إلى مغربها، كما هو معلوم في علامات الساعة، قال ﷻ: ﴿هذا رحمة من ربي... حقاً.. يموج... جمعاً﴾ لا زالوا في ذلك المكان يموج بعضهم مع بعض يعيشون ويضطربون في ذلك المكان وإذا جاء يوم القيامة لا شك أن الله يجمعهم ويخرجون كغيرهم من الناس للحساب والعقاب كما هو معلوم فيما يتعلق بالناس جميعاً، إلى هنا نقف في هذا الموقف وإن شاء الله نتكلم عن باقي الآيات في الدرس القادم.

اللهم فقهنا في الدين وعلمنا التأويل واسلك بنا خير السبيل وأدخلنا مع خير جيل بمنك وفضلك يا أرحم الراحمين وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

﴿لا يستطيعون سمعاً... يحسنون صنعا... وزنا... حولا... مدادا... مددا...واحد... أحدا﴾ سبحانك مولانا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، هذه الآيات المباركة من آخر سورة الكهف، وهي ختام هذه السورة العظيمة الكريمة، السورة التي مرت معنا دروسها على فصول متعددة كل فصل من الفصول يحمل من آيات الله وعجائب قدرته ولطيف صنعه وحكمته وعبره التي أودعها في القصص القرآني وكذلك البيان النوراني المنزل على قلب حبيبنا ونبينا محمدﷺ بما لا مزيد عليه، فقالﷻ عن أولئك القوم الذين سبق الحديث عنهم من يأجوج ومأجوج وغيرهم من تلك الأمم التي عصت اللهﷻ ونكصت على الطريق وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً، تكلمت الآية الكريمة عن جهنم التي هي قسم يطلق على النار وعلى ما فيها من السعير والحميم والزقوم ومظاهر العذاب، والمعلوم أن جهنم اسم عام لكل النار، مع أن جهنم في الحقيقة هي أعلى طبقة من طبقات النار، وتليها بعد ذلك طبقات أخرى ذكرها أهل العلم، أعلاها جهنم وأسفلها والعياذ بالله الهاوية جنبنا الله وإياكم من حر نار جهنم والسعير ومن حر يوم القيامة، وهذا التخويف من الحقﷻ كما قال في القرآن وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً لأجل أن يتذكر الغافل ويتعلم الجاهل ويعلم الرجل والمرأة أن اللهﷻ قد أعد للصالحين في الآخرة نعيماً، وأعد للكفار والعاصين جحيماً، فتكلم عن هذا الجحيم الذي هو مجموع في نار جهنم التي تعرض يوم القيامة عرضاً شديداً، والمقصود هنا بالعرض أي أبرز الله جهنم وأظهرها للكافرين، وما يجمع الله الخلائق في ذلك المحشر العظيم والناس في كرب وخوف وقلق وعطش وعرق يموج بعضهم مع بعض كل منهم خائف على نفسه وخائف من عذاب ربه متذكراً ذنبه وما كان حاله في الدنيا، وتظهر جهنم يومئذ للكافرين وهي تتميز من الغيظ كما وصفها القرآن، فيشهدها أهل الجمع والناس فيموج بعضهم في بعض من الخوف وتندلع من تلك النار ألسنة اللهب التي وصفها اللهﷻ في سورة المرسلات ﴿كأنها جمالات صفر﴾ أي كأن الشرر الذي يخرج من جهنم يشبه الشرارة الجمل الكبير الأصفر من حجمها وضخامتها، هكذا ظهرت جهنم على هذه الصفة وظهرت لهم أهوالها وزبانيتها وهي تتميز من الغيظ يمسكها الملائكة بالسلاسل في ذلك العرض الكبير يوم القيامة، تخويفاً للكفار، وكذلك إيذاناً للأمم بوعد الله الذي لا يكذب، فأولئك القوم الذين كذبوا في الدنيا وكفروا بالله ونكصوا عن دعوة الحق وعرضوا أنفسهم والعياذ بالله في الدنيا لسخط الله، وصفهم الله في القرآن فقالﷻ: ﴿الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري﴾ كانت أعينهم الشحمية غافلة عن ذكر الله، وعليها هذا الغطاء من المعصية والكفر، غطى أي حجب عنها حقيقة ما يستحق المولى من العبد الذين كانت أعينهم في الدنيا محجوبة عن ذكر الله وعن الإسلام وعن اليقين وعن العمل الصالح، وإذا ما سمعوا النذير أو البشير أو الدعوة أو من يحذيهم

ويدعوهم إلى ربهم كانت أنفسهم التي شغلت بالغي والدنيا والكفر والمعصية لا تستطيع أن تساعدهم على السمع والقبول وحسن الاستجابة، هؤلاء هم الذين تعرض جهنم عليهم يوم القيامة وهي تتميز من الغيظ وهي تفور وتتلظى أمام أعينهم، هكذا يقول المولىﷻ منذراً للكافر والعاصي، ثم يقولﷻ: ﴿أفحسب الذين كفروا﴾ أولئك القوم من قريش ومن اليهود والنصارى والأمم التي كفرت بالله ولم تقبل دعوة رسول الله ﴿أفحسب الذين كفروا﴾ والكفر هو الخروج والمروق عن مراد الله تعالى في التوحيد وفيما دعا إليه من اتباع الأوامر واجتناب المناهي، هل ظن الكفار أن اتخاذهم الأصنام للعبادة وأشباههم وأمثالهم من دون اللهﷻ أنهم سيسلمون من جهنم ويبعدون من العذاب؟ أفحسبوا وظن هؤلاء القوم الذين طغوا وبغوا في الحياة الدنيا فقال بعضهم أن المسيح ابن الله، وقال بعضهم عزير ابن الله، وقال بعضهم مريم اتخذها الله صاحبة، وبعضهم والعياذ بالله قال أن الملائكة إناث وهم بنات الله، كل هذا الذي اندرج على ألسنة القوم في الجاهلية وما بعد ذلك ممن وصلت إليهم الدعوة فحرفوا حقيقة التوحيد، ومنهم من عبد الملائكة أو الذوات أو الشمس أو القمر أو النجوم أو النار أو الظواهر كل أولئك القوم في ذلك اليوم يوم القيامة المولى هكذا يقول ﴿أفحسب...أولياء﴾ هل اتخاذ عبد من عباد الله كعيسى أو عزير يجوز أن يكون رباً والله هو الحق والخالق والرازق؟ فهؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء أي ظنوا أن لله ولد أو صاحبة من الخَلْق فقد أعد الله لهم جهنم وعذاباً في طبقات جهنم كما قال ﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ هيأ للكفار جهنم وأعدها لهم كالمنازل والبيوت يرجعون إليها ويأوون، وهذا فيه تهكم وسخرية من الله تعالى على الكفار، فيقول أنه أعد لهم ضيافة كبيرة وهي والعياذ بالله حر النار يأتون إليه يوم السعير يوم القيامة بسبب بعدهم عن الله وكفرهم بآياته، ثم خاطب المولىﷻ حبيبنا ونبينا محمدﷺ: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا﴾ هل تريدون أن تعرفوا من الخاسر في الدنيا والآخرة؟ من تذهب أعمالهم سدى؟ من ضاع جدهم واجتهادهم في العمل في دنياهم ثم ذهب واضمحل؟ هؤلاء الذين ضاع سعيهم في الحياة الدنيا ** الخسارة في أعمالهم أي أولئك الكفار الذين خسروا في الدنيا والآخرة حيث ضل سعيهم في الحياة الدنيا أي بطلت ** بطلت أعمالهم في الدنيا لأنها لا ترضي اللهﷻ، لأن الكفر مهما كان لا تنفع معه الطاعة، فالكافر الذي كفر بالله وخرج عن طاعته وأشرك بالله كما في اليهود والنصارى لا تنفع معهم طاعة حتى لو آمنوا كما يقولون «آمنا بالله»، فلا يصح إيمانهم وهم يعتقدون هذه الاعتقادات الفاسدة، حيث يقولون عزير ابن الله تعالى الله عن ذلك، أو عيسى ابن الله تعالى الله عن ذلك، ويتخذون من دون الله تعالى شركاء من الخلق، وقيل أن هذه الآية نزلت في القسيسين والرهبان وهم علماء اليهود والنصارى الذين كانوا يعملون طقوساً وعبادات في كنائسهم

ويقولوا أن هذه العبادة تنفعهم عند الله وهي في الأصل لا تقبل منهم، والسبب في ذلك فساد عقيدتهم، وهم يحسبون أولئك القوم من الكفار أنهم يحسنون صنعاً، يظنون فيما يفعلون ويرثوه من آبائهم الذين انحرفوا في أعمالهم وكذبوا التوراة والإنجيل يظنون فيما يفعلون حتى اليوم وهم يتعبدون الله على خطأ في كنائسهم ويعتقدون في عزير والمسيح ومريم ما لا يجب أن يعتقد هؤلاء يحسبون فيما يفعلون أنهم يحسنون صنعا أي أن عملهم صحيح وأنهم على حق رد الله على ذلك قال أولئك أي هؤلاء الذين كفروا بالله واتخذوا لله ند وهو خلقهم والعياذ بالله شبهوا مولاهم بالبشر أن له ارتباط بمريمعليها السلام وكل هذا خروج عن طاعة الله وكفر بياح أي خالص، فقال أولئك الذين كفروا بآيات ربهم فالمولى له معجزات في خلقه وآيات فكيف تتخذون عيسى رباً وهو ليس بذلك وإنما آية من آيات الله، حيث قالﷻ لسيدتنا مريمعليها السلام عندما جاءها جبريل وظهر لها في صورة رجل فنفخ في جيبها فحملت بعيسىعليه السلام قالت: ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. قال إنما أنا رسول ربك... آية للناس﴾ آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً، فالنصارى الذين اعتقدوا أن عيسى جاء من غير أب هكذا بحمل الأم اعتبروا في عقولهم وتدبيرهم أن عيسى ابن الله تعالى الله عن ذلك فكفروا بهذا التصور والتعليل والتحليل، مهما كان اعتقادهم بعد ذلك في توراتهم أو إنجيلهم فسبب الانحراف عند اليهود والنصارى أنهم جعلوا الأنبياء لله شركاء، وهذا هو عين الكفر، لهذا قال المولى ﴿أولئك﴾ من اليهود والنصارى الذين اعتقدوا الثلاثية وهي أن الآلهة تقوم على ثلاثة أشياء: الله، عيسى ومريم، نسأل اللهﷻ الحفظ والسلامة مما يعتقدون أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه أي كذبوا بالآخرة ولقاء الله والحساب والعقاب ولو كانوا قد آمنوا ما قالوا هذا الكلام الباطل الذي رده كتاب الله، فحبطت أعمالهم بكفرهم بالقرآن وبالبعث والنشور لا تنفعهم الأعمال فلوا صلوا في كنائسهم أو دعوا الله في معابدهم أو اعتقدوا أنهم مؤمنون فهذا كله محبط أي باطل من أساسه، لا يقبل منهم عمل ولا يقبل الله عملاً من كافر أو مشرك أو اتخذ نداً وهو خلقه، فحبطت أعمالهم في الدنيا ويوم القيامة كذلك، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا، اللهﷻ جعل للعباد في الآخرة موازين وجعل لهم مراتب وأفضليات، يفضل بعض الناس على بعض وبعض الأنبياء على بعض وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ومراتب متنوعة ومقامات متعددة كل هذا يحصل في الآخرة على حسب أعمال الناس يتفاوتون في الدرجات عند الله، أما الكفار الذين كفروا بربهم ولم يقوموا بحق الله فلا يقام لهم شيء ﴿لا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ لأن الكفار رأوا أنفسهم عظماء في الدنيا وعلمهم كبير ولهم قيمة ووزن في الحياة وربما خرجوا على الناس هذه القيمة الاجتماعية والوزن لكنهم يوم القيامة لا يساوون عند الله شيء لا بعلمهم ولا اختراعهم واكتشافهم ولا بكيفياتهم ولا بما صنعوا في هذا العالم لا يقدم عند الله أدنى

شيء لهم يعتبرون مردة كفار ليس لهم عند الله أي قيمة أو وزن، حتى ورد في الحديث عن النبيﷺ يـؤتى يوم القيامة بالرجل الطويل الأكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة، وهذا معلوم في الـدنيا كلهـا التي يتنافس فيها الناس ويتحاربوا ويقتتل ويتنازع وكل يدفع من ماله وذاته ووقته في سـبيل الـدنيا، قـال الحبيبﷺ: «لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» فإن الله خلق الـدنيا ولم ينظر إليها وجعلها ** ﴿إنا جعلنا ما على الأرض... عملا﴾ فالغاية في هذا الوجود رضا الله بما دعانا إليه، والوسيلة في هذا الوجود هو العمل الصالح والأعمال الـصالحة هـي التـي فيهـا التنـافس والمراتـب والصدق مع الله والإخلاص في العمـل لـه والتوجـه إليهـا في الليـل والنهـار والـسر والعلانيـة والتوبـة والرجوع إليه والصدق في الذكر والشكر والفكر، هذه مراتب عظيمة لهذا قالﷻ عن أولئك الذين كفروا أنه لا يقام لهم يوم القيامة وزناً، لماذا؟ ذلك جزاؤهم جهنم ليس لهـم في الآخـرة جـزاء ولا حـسنات ولا فضائل ولا رصيد محفوظ أبداً، مالهم إلا والعياذ بالله جهنم يـصلونها وبـئس المـصير بـما كفـروا وكـذبوا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا، كيف بعض الله تعالى الرسل وأنزل الآيات وجعل جبريل يتنزل من ملكـوت الله إلى عالم الأرض يحمل للبشرية والناس القرآن والتوراة والإنجيل والزبور والصحف أوامر المولى مراد الله في الأمم أنزلها جبريل إلى الأنبياء، فما لهؤلاء الذين ظنـوا واعتقـدوا أن قلـوبهم وعقـولهم سـتكون في علمها أفضل من الله وأكبر إدراكاً من الحق، فذهبوا يكفرون بالله ويتخذون له آلهة، فجعلـوا عيـسى ابنـاً ومريم صاحبة لله كذباً وبهتاناً، ويقولون كما ورد في القرآن وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النـصارى المسيح ابن الله، ما أعظم التوحيد لله وتجرد العبادة له ما أعظم أن يعتقد الإنسان أن هـذا العـالم لـيس فيـه أحد يضر أو ينفع إلا بإذن الله، هذه عقيدة حبيبنا ونبينا محمدﷺ، فالذين كذبوا بالرسل وكذبوا بالآيـات وجعلوا الرسالات سخرية يسخرون منها ويهزأون منها ليس لهم من جزاء في الآخرة إلا النار وليس لهـم قيمة ولا وزن، وإن كانوا في الدنيا يعتقدون أو يرون أنفسهم أن لهم قيمة ووزنا في الحياة، ثم عـرج اللهﷻ في كتابه مخبراً عن المؤمنين كي يبين لنا المعادلة في الآخرة والمعادلة عـلى العمـل في الـدنيا فالكفـار كفـروا واليهود والنصارى نزلت عليهم كتب فحرفوا وخرجوا عن دائـرة الأدب مـع الله ولم يعرفـوا حـق الله في عبادته وعقائده، فكان نصيبهم وجزاؤهم جهنم، لكن ما هو حال المؤمنين والصالحين والرجال والنـساء الذين عرفوا معنـى الإيـمان بـالله فأحـسنوا الاعتقـاد في ربهـم وأحـسنوا الاعتقـاد الـشرعي في أنبيـائهم وأوليائهم وعرفوا المراتب التي أودع الله فيها سر العلاقة بين العباد وربهم بـما جـاء بـه الـشرع والكتـاب والسُنَّة، أين محل هؤلاء؟ هكذا قالﷻ: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أقاموا الصلاة آتـوا الزكـاة صاموا رمضان حجوا البيت أحسنوا العلاقة بربهم قاموا ببر الوالـدين وصـلوا الأرحـام قـاموا بحقـوق

الجيران وحفظوا ألسنتهم من الغيبة والنميمة والوقيعة حافظوا على أنفسهم من المعاصي وإن وقع أحدهم في معصية تاب منها ورجع إلى الله وأناب واستغفر هؤلاء إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا، مصيرهم في الآخرة مراتب الجنة وأعلى درجاتها وهي الفردوس، وقد ورد في الحديث عن النبيﷺ إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، اللهم اجعلنا من أهلها، فالفردوس أعلى مقامات الجنة ومراتبها، والجنة مراتب يترقى فيها الناس على حسب أعمالهم، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات من الرجا لوالنساء وماتوا على الإيمان والعمل الصالح وأكثروا من التوبة ومن الرجوع إلى الله ولم يقعوا فيما يضرهم في دينهم واعتقادهم فلم جنات الفردوس، وليست واحد بل جنان، دلالة على كثرة منازل الصالحين في الآخرة وتعدد مواقعهم وما أعده لهم من الحور العين والولدان والألبسة والفواكه والأنهار والجنان وغيرها من النعيم المقيم في ذلك العالم العظيم، ﴿نزلاً﴾ مأوى ومثوى وموقعاً أخيراً يرتاحون فيه، فالذين يسافر يبحث عن الموقع الأخير الذي يرتاح فيه والراحة الحقيقية والمتع الصحيحة واللذائذ والمشتهيات التي يتمتع بها الإنسان رجلاً وامرأة على أقصى غاية من الراحة والمعين هي الجنة، ففي الجنة راحة لا تنقطع ولذائذ وبركات إلهية، أما الدنيا فينقطع فيها كل شيء، إن نام لا يسترد كل نومه فلابد أن يقوم، وإن وجد متعة أو شهوة حلال ربما لا تدوم، كالنوم في سرور ويوم في قلق، ويوم يعتريه الضيق ويحمل هموم الدنيا ومشاكل الحياة، فلا يدوم في الحياة الدنيا حال، ما استقام للإنسان في الحياة الدنيا حال واحد ما يعيش الإنسان دائماً في حالة سرور الدنيا يعتريها الهم والغم والحزن والقلق وغيرها مما يمر على الإنسان في الوجود، أما الآخرة والجنة وموقع الراحة في ذلك العالم العظيم الذي يصل إليه الصلحاء والصالحات والمؤمنين والمؤمنات وهذا عندما يصلوا إليه ينقطع الهم، قالﷻ: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِل... سرر متقابلين﴾، وفي آية: ﴿لا فيها غول... عين﴾ هؤلاء الذين يبلغون تلك المواطن ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم برحمته وفضله وكرمه، يحسون معنى الراحة لأن ليس في الراحة انقطاع وليس في اللذة انتهاء يحسون معاني الاستئناس ومعاني الراحة الظاهرة والباطنة لأن الجنة لا تقارن بالدنيا أما سمعتم حديث النبيﷺ وهو يتكلم عن الجنة: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» بعض الناس عندما يسافر ويأتي يصف ما رآه بعينه وما سمعه بأذنه هذا يكون على أساس أنه يصف لنا شيء ما عرفناه، أما الجنة فلو وصفها الناس ما وصفوها، فهي فوق الوصف، كل راحات الجنة فوق الوصف، وكل نعيمها فوق الوصف، لا يعرفه الناس حتى يصلون إليه، ولا يتعرفون عليه إلا بعد دخولهم فيه، فهو نعيم متجدد ومستمر نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهله، قالﷻ عن النزل أي البيوت التي أعدها في الفردوس للصالحين: ﴿خالدين فيها.. حولا﴾ الخلود معناه البقاء الأبدي الدائم، ما يريد

أن يخرج منها أو يتحول، الآن أحدنا ربما ذهب إلى بلدة أو سكن لكن إن رأى بيتا آخر يقول أفضل أن يكون لي بيت مثل هذا، أو يسافر إلى بلدة يقول أريد أن أذهب إلى مكان آخر، بطبيعة حال الإنسان بعدم الاستقرار في الدنيا، أما الجنة فبمجرد أن يصل الإنسان إلى بيته ومنزله وما أعده الله له في ذلك النعيم لا يفكر بغيره ولا يفكر حتى فيما يتعلق بمعته من زوجاته الرجل من الحور العين المرأة من رجلها وزوجها الذي ألفته في الدنيا وماتت وهي مؤمنة وهو مؤمن ثم التقيا في الجنة يعيشون في الجنة كل منهم على غاية من النعمة والمتعة، قالﷺ ﴿قاصرت الطرف﴾ لا تفكر في غير الزوج وراحته والنعيم الذي منحها الله في ذلك العالم، ففي الدنيا قد يحصل غير ذلك، قد تضيق المرأة فتفكر بغير زوجها، قد يضيق الرجل فيفكر بغير زوجته، بطبيعة حال الإنسان وتقلباته في الدنيا، أما الآخرة فلا، ﴿خالدين فيها.. حولا﴾ لا يريدون أن يتحولوا منها، اليوم في الدنيا بعض الناس يتمنون الموت من هم أو ضيق أو مشاكل معاصيه وفتن الدنيا ومحنها وبلائها ومسئولياتها كثير من الناس، وفي الدنيا هذه أناس قد يقعون في أشد من ذلك فينتحر بعضهم كما تسمعون ينتحر يأتيه ضيق أو هم فينتحر يقتل نفسه وهو كفر والعياذ بالله وموت على غير الإسلام، فما الذي أدى إلى ذلك؟ لأنه لا يريد الحياة، لا فالجنة لا أحد يكون فيها يائس من رحمة الله، فمن وصل الجنة ودخل الفردوس وجنة المأوى وجنة الخلد أو أي مرتبة من مراتب الجنان لا يريد أن يخرج منها ولا يتحول عنها ولا بديل عنها لأنها نعمة من الله وعطاء وبركة منهﷺ فلا يكون ولا يخطر على قلب من دخل الجنة أنه يريد ❊❊ أن عطائه في الآخرة وعن نعم الآخرة والجنة وعن منح المؤمنين مراتب الجنة، هذا علم عجيب وعظيم، كما أخبر القرآن عن النار وأهوالها وعذابها ومراتب العذاب وعما يحل بهم من الألم والضيق والصياح حتى يصيحون في النار ويتعذبون ويصرخون ويدعون ربهم أن يتوب عليهم ويخرجهم لا يرد عليهم بشيء، لا يجدوا أي مغيث ولا نصير، وصف الله هذا كله في القرآن كما وصف لنا عظمة هذا الكون والعالم الخالد العظيم سبحانه وصف لنا السماوات والأرض والنجوم وقصص الصالحين وأخبار الأنبياء ووصف الخضر وما عاناه موسى من قومه ووصف يأجوج ومأجوج وذي القرنين واسكندر الأكبر كلها عجائب في كتاب الله، قالﷺ: ﴿قل لو كان البحر... ربي﴾ لو أن البحر هذا الذي نعرفه والملآنة بالمياه لو كانت مداد ﴿لنفد البحر... ربي﴾ لو أن الناس تريد أن تكتب من علم الله وعظمة ما أودعه في هذا العالم والقرآن أحد هذه الكتب فلو أرادت أن تكتب وتتكلم وتقص وتخبر لنفد البحر لو كان مداد، وكلمات الله لا تنتهي وعطائه لا ينفد وفتحه لا ينقطع، ﴿ولو جئنا.. مددا﴾ فلو كان خلف البحر سبعة أبحر كما ورد في الآية الأخرى ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام... الله﴾ هذا النظر العظيم للعلم ولما منحه الله تعالى في هذا العالم من بركات القرآن وشرف الدعوة وحسن الاتباع

لحبيبنا ونبينا وما أعده الله لنا في هذه الدنيا من خيرات العمل وما أعده في الآخرة من خيرات الجزاء يحتاج منا ومنكم أجمعين إلى طول النظر وحسن التفكر في عطاء الله تعالى الذي لا ينقطع ولا يزال مدد الله مستمر وخيره وعطائه ولو جاء الناس يكتبون ويؤلفون ويشرحون ويتكلمون عن فيض الله وعطائه وملكه بمقدار البحور وفوقها مثلها وأكثر منها لا ينقطع مدد الله ولا تنقطع مراتب العلم التي وضعها الله تعالى في هذا العالم الموجود المرئي وغير المرئي، قل يا محمد للناس إنما أنا بشر مثلكم، اللهﷻ يبين أن شرف الرسالة كان في الإنسان وشرف التنزل للقرآن على لسان حبيبنا محمد سيد ولد عدنان، الذي ظهر في هذا العالم من العنصر البشري من أب وأم لم يكنﷺ بملك ولا بمخلوق مجرد عن ذاتياته البشرية، بل هو بشر وتفخر البشرية بأن يكون منها محمد بن عبد الله، كما تفخر بأن الإنسانية فيها الأنبياء، وأن يجعل الله تعالى الأنبياء من الناس كما ورد في القرآن ﴿ولو جعلناه ملكاً.. رجلا﴾ لو كانت الرسالة في الملائكة وأراد الله أن يبعثهم لحول الملاك إلى رجل لأن الرسالة تأتي إلى الأمم من جنس أهلها وأصحابها، فشرف الله الرسالة بهذه البشرية المباركة ﴿إنما أنا بشر.. يوحى إلي﴾ أي أن النبي في صفاته وتركيبه وما منحه الله من الصورة الخلقية بشر مثل الناس، لكن تميزت هذه البشرية بالنقاء والطهر والعفة والعصمة وبنظر اللهﷻ إليها فاعطاها نصيباً من النور وشرفها على بقية عناصر البشر بسلامة العنصر والنسب والذات وبالوقاية والبركة والرسالة والوحي، إنما أنا رجل... يوحى، ومن أوحي إليه فمرتبته عظيمة الأنبياء الذين أوحى الله إليهم بالرسالات مرتبتهم عظيمة ومكانتهم عظيمة، فجعلهم الله تعالى رسلاً للناس ومنقذين وطرقاً للهداية، أما مسألة الألوهية والخلق فهي خاصة بالله فالنبي بشر والرسالة كرامة أما الإله فهو الحق الواحد ﴿إنما إلهكم إله واحد﴾ ليس بنبي لا يرتقي النبي إلى مرتبة الألوهية كما أخطأ اليهود في عزير وأخطأ النصارى في المسيح فجعلوا عيسى رباً وعزير ربا، والعياذ بالله، يقول مولانا ليسو كذلك، أخبر أمتك أنك بشر وجنس منهم وجزء منهم وتركيبك الإنساني مثل البشر إنما كرمتك بالوحي والرسالة والدعوة هذا هو الشرف العظيم، لهذا قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليه أنما إلهكم إله واحد الذي خلق الأنبياء والأصفياء والأتقياء والعالم وذرات الوجود وأنفاس الخلائق هو الله الواحد المالك المعطي المبدئ المعيد الذي يجب علينا أن نعرف حق توحيده وأنه الحق الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، نتحبب إليه بحسن العبادة وبالرجاء فيه والتوسل إليهﷻ أن يغفر الذنوب ويستر العيوب ويصلح الشأن نتوجه إليه لأنه لا أحد في هذا العالم يغفر الذنوب إلا هو، هل أحد يغفر الذنوب غير الله؟ هل أحد ينزل المطر ويشفي ويميت غير الله؟ ليس أحد في هذا العالم إلا اللهﷻ، فعرفنا حقيقة معنى تفرد الإله بالعبودية له والتوحيد ومعرفة صفاتهﷻ وما يليق بكماله وجماله ونتعرف ونتعلم ما يليق

بجماله وجلال وعلم وبركة أنبيائه وأصفيائه وأتقيائه من عباده الـصالحين ولا نخلـط كـما خلـط اليهـود والنصارى، فيجب أن تستقيم قناة هذه الأمة في العلم والاعتقاد على مراد الله في توسط الأمور التـي دعـا إليها مولانا في كتابه، ﴿بشر مثلكم .. واحد.. لقاء ربه﴾ من الذي لا يرجوا لقاء ربه؟ هل أحد يعتقد أنـه لن يموت ولن يحاسب ولن يبعث ولن يجمع الخلائق يوم القيامـة ويكـذب بالحساب والعقـاب والجنـة والنار؟ من كان على تلك الصفة فهذا كافر محض خالص، وهناك أناس كذبوا، هذه بلادكم اليمن المباركة ما كان فيها أناس أيام الإلحاد يقولون ما في رب مرة واحد وخلطـوا الأمـور خلـط، وهكـذا تـأتي أنـاس تخالف الشريعة والدعوة المحمدية تنكر وجود المولى والرسالات والقرآن فهـذا كفـر بـواح خـالص، أمـا الحقيقة فمن كان يرجو لقاء ربه أنت مؤمن تعلم أنك ستموت وستحاسب وتبعث وتعرض أعمالك على الله وتريد الجنة وتخاف النار فاعلم ﴿فليعمل عملاً صالحا﴾ لابد يكـون عمـل صـالح وفي ليلـك عمـل صالح وفي نهارك عمل صالح وفي السر والجهر لأن العمل غير الـصالح لا ينفـع ﴿ولا يـشرك.. أحـدا﴾ وإذا عبدت الله وصليت له وأيقنت به وتحققت أعمالـك في هـذا الوجـود فاجعلهـا خالـصة لله، فاجعـل كلامك لله وسلوكك ولا تشرك من أجل الناس أو تفعله لأجلهم أو تصلي لأجلهـم أو تـتعلم مـن أجـل الشهادة وتؤدي العمل كي تجد فيه أجر الدنيا ثـم ينقطـع عملـك، لا اعمـل عملـك لله واخلـص لـه في أعمالك الدينية والدنيوية، ولا يشرك في عبادة ربه أحدا، أي ليس من أحد في هذا العـالم يـستحق العبـادة التي هي فعلاً عبادة من صلاة وصيام ورجاء وخوف واستغاثة وغيرها مما يجب على كل إنسان أن يعملـه في مراتب التعبد فلا تكون إلا لله ﷻ.

نسأل الله التوفيق والعصمة والحفظ لنا ولكم، وقد ختمت هذه السورة المباركة بهذه الآية، فنسأل الله تعالى أن يجعل ختامها ختام خير ويجعلنا وإياكم في دوائر أهل الخير ويربطنا بهذا القرآن ويجعلنا من أهلـه ويمنحنا الإخلاص في عبادتنا له وعاداتنا ولا يحصل لنا الرياء وأن نبتغي بكل ما نعمله رضا الله.

اللهم تقبل منا الأعمال واجعلها خالـصة لوجهـك بمنـك وفـضلك يـا رب العـالمين، وصـل اللهـم بجلالك وجمالك على حبيبك ونبيك محمدﷺ وارزقنا كمال المتابعة له ظـاهراً وباطنـاً بـسر أسرار الفاتحـة وإلى حضرة النبي.